الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

الزفاف في تلمسان

دراسة فنية أنتروبولوجية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

إعداد الطالبة:

نصيرة قشيوش

تحت إشراف:

أ.د. عكاشة شايف

لجنة المناقشة:

أ.د. محمد سعيـــــدي	أستـــاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيســا
أ.د. عكاشة شايـــــف	أستـــاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفــا
د. مليكة بن منصور	أستـــاذة محاضـــرة	جامعة تلمسان	عضــوا
أ.د. حمو بن أحمـــد	أستـــاذ التعليم العالي	جامعة وهران	عضــوا
أ.د صفية مطهـــري	أستاذة محاضـــــرة	جامعة وهران	عضــوا
د. جازية فرقـــاني	أستاذة محاضـــــرة	جامعة وهران	عضــوا

السنة الجامعية: 2009-2010

إهداء

إلى من أدين لهما بالحب و العرفان:

ولي نعمتي . .والدي العزيز أتمنى له طول العمر و والدتي الحبيبة أتمنى لها الصحة والعافية.

إلى من كان معي في كل خطوات هذا البحث بكل تشجيع و حماس إلى زوجي الكريم.

إلى أخواتي و كل أفراد العائلة ،على ما قدموه لي من تشجيعات معنوية

إلى زهور عمري و الشموع التي أنارت حياتي إلى أبنائي نهاد، عماد و إيناس.

إلى كل زملائي و أصدقائي الأوفياء

أهدي ثمرة هذا الجهد

شكر و تقدير

إلى من وجهني إلى الصواب بتوجيهاته القيمة و الذي ساعدني في انجاز هذا البحث الذي لم يبخل بثقافته و لا بوقته و لا بالأخذ بيدي كلما زلت قدمي فلا يسعني إلا أن انوه بجهده و لطفه و صبره على طيلة المدة التي قضيتها معه .

بكامل احتراماتي و تقديراتي اهدي له بحثي المتواضع إلى أستاذي الكريم "شايف عكاشة"

كما اهديه إلى كل الأساتذة الكرام أعضاء اللجنة الموقرة التي قبلت عناء قراءة و مناقشة هذا البحث المتواضع .

إن الانتقال من ادوار (العزوبة) إلى ادوار الزواج يتضمن نوعا من الاحتفال، و يعتبر هذا الاحتفال الذي يكون جزءا من النسق الاجتماعي أمرا شائعا في جميع المجتمعات و إن اختلفت صوره و أشكاله،و من خلاله يكتسب الفرد حقوقا، وتفرض عليه التزامات جديدة نتيجة لحصوله على هذه المكانة.

و يعتبر حفل الزفاف بالنسبة لبعض الناس مناسبة "محزنة" إذ يفقد الفرد بانتهائه حريته و انطلاقه و ينتقل إلى سنوات تحمل المسؤولية. و تنظر جماعات أخرى إلى حفل الزفاف سعادة كبيرة،حيث يعتبرون هذا الحفل بداية فترة السعادة و الاستقرار في الحياة.

و الزفاف هو الاحتفال الذي يلي عقد القران، و الذي يدعى إلى حضوره أقارب العريس و أقارب العروس و الأصدقاء، و عادة ما يصاحب الحفل الموسيقى و الغناء و الرقص و تناول الأطعمة و المشروبات.

إلا أن طبيعة هذا الاحتفال تختلف من منطقة لأخرى، و قد حصرت البحث في منطقة تلمسان بحكم انتمائي إلى هذه المنطقة ذاتها،و موضوعه هو: الزفاف في تلمسان، دراسة فنية انتربولوجية.

و قد تضافرت أسباب عدة دفعتني إلى الخوض فيه و من أبرزها أن:

الزفاف يتسم في الوسط الشعبي التلمساني (منطقة تلمسان) بسمات تميزه و تطبعه بطابع ذي نكهة تكاد تكون متفردة. و تتجلى تلك السمات المميزة في خضوع الزفاف خضوعا يكاد يكون تاما لعادات اجتماعية معينة، تتضمن قيما خاصة يتمسك بها الشعب تمسكا شديدا حتى يمكن القول إنها أصبحت، بعد أن تأصلت جذورها و رسخت، من المسلمات التي حبكت حبكا في نسيج الثقافة، وصارت من لب التراث الثقافي.

و تكرار هذه العادات و التواجد العفوي لها في مناسبة الزفاف يتطلب منا الكشف عن دلالاتها و رموزها و البحث عن جذورها الدفينة في نفوس أهالي منطقة تلمسان.

كما انه من أهم الأسباب التي دفعتني في البحث في هذا الموضوع بالذات هو تدوين و تسجيل تلك العادات و الممارسات خشية من أن تضيع و تنسى، ورغبة في الحفاظ عليها ليتلقاها الخلف عند السلف، و خاصة و أن ظاهرة الزفاف في مجتمع البحث تعرف خصوصية تميزها عن باقي المدن الأخرى في الطقوس و الممارسات الشعبية.

و البحث في هذا الموضوع يطرح الإشكالية التالية:

ما طبيعة هذه الخصوصية ؟ما هي الأصول و الآليات التي تتحكم فيها؟ وما هي التغيرات التي حدثت مقارنة بالماضي؟

للإجابة على هذه التساؤلات اقترحنا الفرضيات التالية:

-تلمسان كانت ملتقى لحضارات متنوعة و قد أدى ذلك الاحتكاك إلى امتزاج العناصر الثقافية و خلق صور جديدة و مبتكرة.

-وصلنا الآن إلى مرحلة حيث ازداد الاتصال بين الثقافات المختلفة وليس هناك مجتمع لم يؤثر و لم يخضع لتأثير التكنولوجيا.مما أدى هذا إلى التغير والتحول في بعض العادات.

-ليس هناك ثقافة جامدة فهناك أخد و عطاء و هناك تقليد و عصرنة. إلا أن تلمسان مدينة عريقة و محافظة تنحو نحو القديم أكثر من الجديد.

و قد اشتملت دراستي هاته على ثلاثة فصول. تناولت في **الفصل الأول** أنواع الاختيار.فهل يختار الخطيب الخطيبة بنفسه أم يكون الاختيار اجتماعيا اسريا؟و هل يكون زواجه افتراضي(داخلي) أم يكون اغترابي(خارجي)؟

بعد ذلك حاولت تقديم المقاييس و الشروط التي يجب أن تتوفر في شريكة الحياة، ثم تعرضت للخطبة الرسمية و ما يتبعها من إجراءات أخرى كتقديم المهر، و قراءة الفاتحة، و حفلة "الملاك" و مراسيم إقامتها،و الزيارات التفقدية، و ختمت هذا الفصل بعقد القران.

أما **الفصل الثاني**، فكان عملا ميدانيا. فكنت ألاحظ و أسجل و أصور كل ما يتعلق بالاحتفال في كل من يوم "الحناء"، و"العرس"، و"الصباحية" و"الحمام" وأجريت مقارنة بين ما يجري في المدينة و بين ما يجري في الريف.لان مراسيم الاحتفال في المدينة تختلف –أحيانا– عن طقوس الاحتفال في الريف.

و خصصت **الفصل الأخير** لدراسة الممارسات الشعبية الخاصة بالزفاف. و كان جزء منها يخص العروسين معا كظاهرة ربط الحناء، ظاهرة "الربيط" وظاهرة رمي الماء، و ظاهرة حرق البخور. و الجزء الآخر يتضمن ممارسات خاصة بدخول العروس إلى بيت الزوجية كحمل التمائم والحروز، حمل العروس و تخطي العتبة، تغطية العروس، تكسير البيض ونثر المكسرات والسكريات ساعة وصول الموكب إلى بيت العريس. أما الجزء المتبقي من هذا الفصل فقدمت فيه بعض الطقوس الخاصة بوصول العريس إلى بيته في ليلة عرسه كمسح وجهه بالمنديل، مروره تحت رجلي أمه، وإدخال الذهب (خيط اللويز) في عنقه.

كما حاولت أن أقدم بعض التفسيرات لهذه الممارسات أي لماذا يقومون بهذه الطقوس في هذه الليلة (الزفاف) و ما هي رموزها و دلالاتها؟ و هل هذه الممارسات مقتصرة على منطقة تلمسان و من ثم على المجتمع الجزائري فقط أم هناك شعوب أخرى تمارسها؟

و ختمت هذا الفصل بتقديم بعض الأسباب التي جعلت الأسرة تتخلى عن موروثاتها و تعتنق عادات أخرى دخيلة غريبة الأطوار مجهولة الأصل.

و إذا كان لكل بحث منهج خاص، فقد دفعتني الدراسة إلى اعتماد منهجين رئيسيين: وهما المنهج الاثنوغرافي والمنهج التاريخي، فالمنهج الاثنوغرافي حاولت من خلاله وصف المظاهر الاجتماعية للاحتفال بالزفاف. أما المنهج التاريخي فكان حين حاولت الكشف عن المنشأ التاريخي لمختلف التراث الشعبي التلمساني وصولا إلى فهم التطور الذي طرا على كل عنصر من تلك العناصر سواء كانت عادة معينة أو معتقد أو أغنية ،أو قطعة من قطع الزي الشعبي .

و إذا كان صدق البحوث و قيمتها يتوقفان على الاختيار السليم للطرق والأدوات التي تمتلك الشروط العلمية و المنهجية من اجل الوصول إلي أهدافنا المسطرة فان الانطلاق في بحثنا هنا كانت من الملاحظة بالمشاركة فلقد كانت أداة أساسية في دراستنا.

إن هذا العمل هو مجرد لبنة صغيرة تضاف إلى صرح البحث العلمي، كما قد يكون بذرة لبحوث لاحقة لان موضوع الزفاف واسع و مثير و يبقى مجاله مفتوحا لدراسات أخرى.

و أخيرا اشكر كل من ساعدني في جمع المادة، و اشكر أيضا والدي اللذين طالما أمداني بالنصح و المثابرة على هذا العمل، كما لا يسعني إلا أن انوه بمجهود أعضاء لجنة المناقشة على آرائهم و تقييمهم لهذا البحث. كما لا يفوتني أيضا إلا أن أتقدم بالشكر والتقدير لأستاذي الدكتور عكاشة شايف الذي ساعدني كثيرا على انجاز هذا البحث فإليه اكرر ثانية عرفاني بالجميل.

الفصل الأول: مرحلة الخطوبة

المبحث الأول: الخطبة التمهيدية

1. الاختيار للزّواج
   - الاختيار الأسري
   - الاختيار الشخصي
2. أنواع الزّواج
   - الزّواج الداخلي
   - الزّواج الخارجي

المبحث الثاني: قواعد و مقاييس اختيار شريكة الحياة

1. الحسب والنّسب
2. الخلق والجمال
3. المهارة
4. صغر السن (الزواج المبكر)
5. البكارة

المبحث الثالث: الخطبة الرسميّة

1. المهر
2. قراءة الفاتحة
3. حفلة الإملاك (الملاك)
4. الزيارات التفقدية (التّفقيدة)
5. عقد القران

لكل مجتمع ثقافة و الثقافة كما يعرفها كلود ليفي ستروس كالتالي:

"يمكن اعتبار كل ثقافة مجموع أنساق رمزية تتصدرها اللغة و قواعد التزاوج والعلاقات الاقتصادية و الفن و العلم و الدين. كل هذه الأنساق تهدف إلى التعبير عن بعض أوجه الحقيقة الطبيعية و الحقيقة الاجتماعية، و أكثر من ذلك إلى التعبير عن العلاقات التي تربطها كل من هاتين الحقيقتين بالثانية، و تلك التي تربط بها الأنساق الرمزية ذاتها بعضها ببعض."[1]

و هذه الأنساق هي مجموع عادات شعب ما مطبوعة دوما بأسلوب ما تحكمها معايير و قواعد عرفية و ذلك لتنظيم سلوك الأفراد حتى لا تعم الفوضى و العشوائية حياة الجماعة.فالزواج مثلا نظام اجتماعي له قواعده و معاييره من بداية الإقدام عليه كالخطبة إلى غاية اختتامه أي عند الاحتفال به.

[1] دنيس كوش –مفهوم اثقافة في العلوم الاجتماعية –ترجمة منير السعيداني –مركز دراسات الوحدة العربية –مراجعة الطاهر لبيب –لبنان –ط1 2007–ص78(نقلا عن Claude Levi-Strauss-Introduction à l'œuvre de Marcel Mauss_Paris –Press Universtaire de France-1950-pXIX.

المبحث الأول: الخطبة التمهيدية

يعدّ الزّواج في المجتمعات الإسلامية عموما والمجتمعات العربية خصوصا نظاما اجتماعيا يساهم «بنصيب كبير في تنظيم الجماعة، و هو يقوم على تفضيل العلاقة الدّائمة بين الطّرفين، و الرغبة في الحياة المشتركة. و ممّا يشجّع على ذلك احتقار الجماعة لمن ينصرف عنه»[1]، «لكونه علاقة اجتماعية جوهريّة، و هو من النّاحية التّاريخية يعتبر أول عقدة في شبكة العلاقات الاجتماعية تتيح لمجتمع معين أن يؤدّي نشاطه المشترك». [2]

و يشترط في الرّابطة الزّوجيّة لكي تكون زواجا أن تتم تبعا للشروط التي يحددها العرف أو القانون، مهما كان شكل هذا العرف أو هذا القانون و التي تتطلب موافقة الطرفين المعنيين أو موافقة الأولياء[3]، ذلك لأن « كل مجتمع معاصر بما في ذلك المجتمعات التي تخلع على نفسها الصفة (المدنية)، و لا يتم فيها اتحاد الجنسين إلا على أساس قيمة خلقية معينة، هي الزواج الذي يبارك إتحاديهما بإشهار طبقا لخطة دينية رمزية، و بهذا الإشهار يأخذ اتحاد الرجل و المرأة كلّ معناه الاجتماعي»[4] .

نستخلص من كلّ ما سبق أن المقبل على الزواج مقيّد ببعض القواعد والمعايير التّي يجب أن يخضع لها إذا أراد اقتحام الحياة الزوجيّة، لأن الزّواج نظام اجتماعي و ليس نظاما فرديا. و مع ذلك فإنّ الزّواج يختلف

---

(1) عبد الحميد لطفي – علم الاجتماع – دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت – 1981 – ص 100.

(2) مالك بن نبي – ميلاد مجتمع – شبكة العلاقات الاجتماعية – تر عبد الصبور شاهين – ج1 – دار الفكر مشق – ط2 – 1974 – ص49.

(3) عبد الحميد لطفي – المرجع السّابق – ص100.

(4) مالك بن نبي – المرجع السّابق – ص49.

باختلاف المجتمعات في أشكاله، وعادات الاحتفال به بطرق يقرّها المجتمع، و يفرضها على أفراده، و ترتكز هذه الاختلافات على القيم السّائدة التّي تميّز الطّابع المحلّي لثقافة ما عن الثّقافات الأخرى.

و الزّواج في منطقة تلمسان يتمّ على حسب خطوات معيّنة هي: الخطبة ثم عقد القران ثمّ الزفاف[1].

و بعد تتبّعي لمراحل الزّواج في هذه المنطقة، وجدت أن كل مرحلة لها خطواتها اللاّزمة و المفروضة على المقبل على الزّواج، حيث تتدخّل العادات الشعبيّة في كلّ مرحلة من هذه المراحل و التّي سنتطرق إلى كلّ واحد منها لاحقًا. و المرحلة الأولى التّي تكون كخطوة مبدئيّة لاقتحام هذا المشروع هي: الخطبة. و هي المرحلة التّمهيدية التّي تمليها جملة من الأفكار و الشّروط، لاختيار زوجة المستقبل(الكنه)[2] و التي يفرضها المجتمع بصفة عامّة والأولياء بصفة خاصّة.

1-الاختيار للزّواج:

أ- الاختيار الأسري

[1] لقد توسعت في هذا الموضوع في بحث الماجستير الموسوم بـ:الزواج من خلال الأمثال الشعبية،(قشيوش نصيرة).

[2] ***الكنه***: امرأة الابن و امرأة الأخ، أراد امرأته فسماها كنّتها لأنه آخوهما في الإسلام، و منه حديث ابن العاص: فجاء يتعاهد كنته أي امرأة ابنه. (ابن منظور – لسان العرب- دار صادر بيروت – المجلّد الثّالث عشر-الطبعة الأولى1955 –ص362.

جرت العادة أن يتجنّب الحديث مع الأبناء، فيما يتعلّق بأمور الزّواج عند العائلات المحافظة، فالاختيار يكون من اختصاص الأولياء، و ما على الأبناء و البنات إلاّ الطّاعة وذلك خشية من النّتيجة السيّئة التي ستلحق بهم، إذا لم يأخذوا برأي و رضا الوالدين.

نستشفّ من هذا أنّ الابن قاصر في نظر الأولياء، و لا يعرف مصلحته (أي نجاح زواجه) إلاّ بواسطتهم. كما تتجلّى هنا مرتبة الأولياء، و مكانتهم في العائلة و تزعمهم أغلبية السلطات، و الضرر الذّي سيلحق بالأبناء إذا لم ينقذوا الأمر. فالعصيان في هذه الحالة يكون عصيانين: عصيان الوالدين من جهة، و عصيان الدّين من جهة أخرى.

ذلك أن الزّواج مهمة عائلية و ليست فردية، إذ أن للأبوين الحق في اختيار زوجة الابن (الكنه) كما يرجع إليهما أمر تحديد الزّفاف[1].

يعني هذا أنّ الفرد يوجد داخل مجموعة محددة، و من ثم فهو مطالب بالمحافظة على عاداتها، وتقاليدها.

ب- الاختيار الشخصي

[1] فوزية العطية – المرأة و التغير الاجتماعي في الوطن العربي – معهد البحوث و الدراسات العربية ببغداد – 1983 – ص 75

و يلاحظ[1] وجود نمط آخر من أنواع الاختيار عند الإقدام على الزواج ألا وهو الاختيار الفردي الحر[2] وهو« أن ينتقي الشخص شريكته بمقاييسه، و رغباته، و إرادته.»[3]

فقد يرى الأبناء أنه باختيارهم الفردي للشريك و المبني على العاطفة المتبادلة سوف يضمنون التّوازن في حياتهم الزوجيّة المقبلة. [4]

و يعني هذا كله أن عملية الزواج تواجه في المجتمع الجزائري بعاملين متعارضين [5]:

-**عامل قيد**، بحيث لا تنجح عملية الزواج إلا برضا الأولياء، و من ثم خضوع المقبل (المقبلة) على الزّواج للأولياء.

-**عامل حبّ**، بحيث لا تنجح عملية الزواج إلا بتراضي الطرفين و تبادل الحب بينهما.

و يلاحظ أنّه حاليا يغلب اختيار الفرد لشريكة حياته بنفسه على الاختيار الأسري (الأولياء) وظهور هذا النمط من الاختيار لا يلغي النمط الأول وهو النمط العائلي، بل إنه يظل سائدا في كثير من البيئات خاصّة في المجتمعات الريفية.

---

(1) ROGER MUCHIELLI – Psychologie de la vie conjugale 3ème édition – les éditions ESF 1980- p23.

(2) علاء الدّين كفافي – الإرشاد و العلاج النّفسي الأسري – المنظور النفسي الاتصالي – ط1 – دار الفكر العربي – القاهرة 1999 – ص22.

(3) مسعودة كمال– مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري – ديوان المطبوعات الجامعية – 1986–ص 96.

(4) مسعودة كمال – مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري – ديوان المطبوعات الجامعية – 1986 – ص 90

(5) مصطفى بوتفشونت – العائلة الجزائرية – التطور الخصائص الحديثة – ترجمة أحمد دمري – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1984 – ص 37–56.

وحتى إذا كان الفرد يختار بنفسه شريك حياته لا يمكن أن يغفل الاعتبارات الاجتماعية والثقافية لأن « الزواج نظام يحقق أهدافا اجتماعية وثقافية واقتصادية بجانب الأهداف الخاصّة أو الشخصيّة»[1].

لا بّد إذا أن تكون هناك مشورة بين الأولياء و الأبناء في مثل هذه الأمور لأنهم يمثلون الخبرة و التجربة.

وقد يرجع الإقدام بكثرة على الاختيار الشخصي أثناء الزّواج إلى: تطّور المجتمع بما فيه من التفتّح عند العائلة على المجتمعات الأخرى

وتحوّلها من ممتدّة إلى نوويّة (مستقلة). ممّا أدى إلى تحرّر الابن من سيطرة أبيه، ليتولّى هذه المهمة بنفسه، وخروج الفتاة إلى العمل والدّراسة أتيح لها الفرصة للاختلاط و التعارف، زيادة على ذلك يبقى التمسك بالدّين الإسلامي الذي ينص على أخذ الرأي وتراضي الطّرفين لإتمام مشروع الزّواج. وكأن الرّجوع إلى الأهل ما هو إلا مباركة للمجتمع على هذا الاختيار.

و بناء على هذا يمكن القول إن سلطة الأسرة في المجتمع الجزائري عامة والتلمساني خاصة قد ضعفت في مجال اختيار العروس، إذ أصبح الاختيار الفردي يحل محل النّمط الأول (الاختيار العائلي) مسانـدا مشورة الأولياء إضافة إلى أنّ الابن يحتاج المساعدة المادية التي تقدمها له أسرته قبل و أثناء الزفاف.

2-أنواع الزّواج:

إضافة إلى نوع اختيار الزوج، فالزواج في منطقة تلمسان يكون داخليا كما يكون خارجيا.

---

[1] علاء الدين كفاني – المرجع السّابق –ص 422.

أ- الـــزّواج الـــدّاخـــلي الافتراضي (الـــزواج بالأقـــارب):

وهـــو أحسن فرص الزواج و أكثر استمرارية عند الكثير من العائلات التلمسانية و العربية عامة، و بالأخص الزواج من«بنت العم» أو «بنت الخال».

ولعـــل مـــــن أســـبـــاب هذا النجاح، هو أن هذا النوع من الزواج يكون مأمون السلوك، فضلا عن أنه لا يكلف الراغب في الزواج البحث عن نسب الفتاة وحسبها، كما قد يكون الإقدام على هـــذا الـــزّواج بـــدافـــع الحفاظ على المـــلكـــيـــة أي تأكـــيد بقاء الإرث داخل مجموعة القرابة.[1]

و ممّـــا تـــجـــب الإشارة إليه أيضا أنّ الـــزّواج يحـــمـــي بـــنـــات القـــرابـــة من أن تصبح عوانس « لأنّ الـــفتـــاة إذا تقـــدّم بـــهـــا الـــسنّ، فـــقـــد تـــفكر في طرق أخرى غير شرعية.»[2] ممّا لا يجـــلب العار لأسرتها فحسب بل للعائلة الكبرى كلها.

وعـــليه فإنّ – مـــن باب الاحتياط لما قد يحدث من خلل في هيكل الشرف العائلي – يصبح الزواج من الفتاة القريبة ليس مستحبا فحسب بـــل واجـــبًا.[3]

كمـــا قـــد يـــكون هـــذا الـــزّواج رغـــبـــة في التماسك العائلي، والاعتداد بالعصبيّة الأسريّة [4] و العصبية تكون من خلال الالتحام بالنسب أو في ما معناه. فكثيرا ما ترى بعض العائلات نفسها أرقى مـــن غيرها، مما يجعلها تخشى اختلاط التقاليد، و العادات عند الزواج من خلال العائلة، مما

---

[1] محمد رياض – الإنسان دراسة في النوع و الحضارة – دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت – ص 492.

[2] فوزية دياب – القيم و العادات الاجتماعية – دار النهضة للطباعة و النشر – بيروت – 1980 – ص 151.

[3] للتوسع أنظر: محمد بشير بحث في أبعاد الثقافة العمالية لدى عمال المؤسسة الوطنية للنسيجية – رسالة لنيل شهادة الماجستير – مكتبة معهد الثقافة الشعبية – جامعة تلمسان 1991-1992-ص64- 74

[4] فوزية دياب – المرجع السابق – ص 151.

يعني عـــدم وجود مكانة للغريب بينها، وهذا ما يشجعها على التشبّث بالـــزواج الـــدّاخـــلي.[1]

وهـــــذا الـــنـــوع مـــن الـــزّواج لا يـــوجـــد فـــي الـــرّيـــف فـــقـــط كـــمـــا هو الحال – مثلا – في مصر، وإنّمـــا هـــو يوجد في المدينة أيضا، و ممّـــا يؤكد هذا في تلمسان كون هده الظاهرة تعد عادة ثابتة–إلى حد ما– بحيث لا يتزوج الرجل الـــتّـــلمـــساني بغير قريبته إلا نادرا.[2]

هـــــذا مـــــا ينـــطبـــق عـــلى اخـــتـــيار شـــريكة الحياة، أمّا فـــيـــما يـــتعلّق بشـــريـــك الحياة، فإن العائلة تفضل أن يكون الخطيب من داخلها أيضا، و إذ كانت ظاهرة اختيار العريس في هذه المـــنـــطـــقة تـــبـــقى عمـــليّة ضمـــنية أو مستثيرة، ممّا يـــعني أن عـــصمة الخطوبة تبقى في يد الرجل، و هذا ما يجعل العـــائـــلة تحاول أن تبحث –بطريقة غير مباشرة– داخل العائلة الكبرى عن خطيب يناسب طموح بنتهم.

و نستنـــتج من مضامين أمثال الداعين إلى الـــزّواج الـــدّاخلي التعصب القبلي[3] وهذا من مخلفات الاعتقادات السائـــدة فـــي هـــذه المنطقة. إضافة إلى الأسباب الأخرى التي ذكرناها كالحفاظ على الإرث ومشكل العنوسة وحفظ الشرف.

نصل من هذا كله إلى نتيجـــــة مؤدّاهـــا أن الزّواج الداخلي في هذه المنطقة يخضع لقاعدة مفادها أن عملية الزواج تبقى محصورة داخل مجموعة واحدة، و أن أي خروج عن هذه المجموعة لا يشكل – في حقيقة الأمر– خرقا

---

[1] فوزية دياب – المرجع السابق– ص151.

[2] للتوسع أنظر: CHAULET (cl) : la terre, les frères et l'argent – ALGER-OPU-1987-P205.

[3] للتوسع أنظر: احمد عاطف غيث – دراسات في علم الاجتماع القروي –دار النهضة للطباعة و النشر بيروت – ص 128.

للمجموعة الأم، بقدر ما هو يمثل حيــزّا تربطه علاقة ما بالمجموعة الأمّ [1] ويعني هذا أيضا أنّ ما يظهر– فــي بعض الأحيان – من تمرد على هذه العادة داخل العائلة المغلقة فهو مجرد محاولة انفصال إذ يــبــقى مآلها الفشل كون العائلة ستعارض هذا التمرد بمقاطعة العريس، مما يؤدي بها غالبا إلى الافتراق و مــن ثم الطلاق.

ب– الــزّواج الــــخــــارجــي:

لقد كان أهــل تــلــمــسان لا يتزوجون مــن الــمــرأة الــغــريــبة (البرانية) إلاّ فــي حالات نــاذرة. وكــثــيرا ما كــان يــلــقى هــذا الــنــوع مــن الــــزّواج مــعــارضة شــديــدة مــن قــبل العــائــلــــة.

و بــالرغــم مــن عــدم تــرحــيب أهــل تــلــمسان بــهــذا النوع من الزّواج إلاّ أنــهــم بدأوا يســمحون به، و ذلك بسبب ضعف العصبية القبلية، و انتشار التعليم الذي كان له دور كبير في تغير الأفكار، و المفاهيم وتقلص السلطة العائلية ممّا أتــاحت للــفــرد الاختــيــار الــشخصي الحــر.

و إذا كان الزّواج الدّاخلي هو، الــذّي « يــحافظ...على تماسك الوحدة القرابــيــة أيــا كانت (أسرة، عضدا، بطنا، عشيرة...)، و تدعيمها من طرف المصاهرة بذوي القربى مع ما في هذه المصاهرة من حفاظ على ثروة الوحدة القرابية من أن تبدد بانتقالها مــن النسب إلى وحدات في حالة الزواج الخارجي. فإنّه يــؤدّي هــو الآخر إلى تدعيم الجماعات القرابية عــن طــريق توســع دائــرة قرابتها بــالمصــاهرة مــن جمــاعات أخــرى جديــدة مــع

---

[1] للتوسع أنظر:

ALI KOUAOUCI – Familles, femmes et contraception contribution à une étude sociologique de la famille Algérienne – ALGER –CENEAP – PNUAP -1992 – P112 -113

مـــا يصـــحب هـــذه العلاقات الزوجية من مصالح، و روابط اقتصادية واجتماعية كثيرة و مـــتـــنوّعـــة.[1]

بـــالإضافة إلى ما ســـبـــق، فـــإنّ الـــبحـــوث العلـــمية تـــؤكـــد أنّ كـــثـــيـــرا مـــا ينـــتج عن الزواج من القريبة (الزواج الداخلي) عاهات وأمراض وراثية. [2]

[1] صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي – تقديم أحمد محمد خليفة – دار النهضة العربية القاهرة – 1974– ص60.

[2] للتوسع انظر-Domart(A)-Encyclopedie Medicale Imp –Herisseyet-Jombart –Paris 1981-p260

المبحث الثاني : قواعد ومقاييس اختيار شريكة الحياة

بعد أخـــد الـــقـــرار للدخول في الحياة الزوجية، يليه قرار آخر هو الشّروط و المقاييس التي يجب أن تتوفر في شريكة الحياة.

فـمـا هـي قـواعـد و معايـير الاختيار للـزّواج فـي منطـقـة تـلـمسان؟

الزّواج فـي المجـتـمع التّلـمساني يتّسم بسمات تميزّه، وتطبعه بطابع خاصّ. و تتجلّى تلك السّمات المميّزة في خضوع الزّواج خضوعا تاما لعادات و تقاليد معيّنة، تتضمّن قيما و معايير يتمسك بها أهل تلمسان تمسكا شديدا.

إن هذه العادات توجّه سلوك الفرد توجيها تلقائيا، شبه آلي، يعفيه من عناء التّفكير، ويوفر عليه كثيرا من الوقت و الجهد، فهي تقدّم للفرد عددا كـبـيـرا مـن مخـتـلف الأنماط السّلوكية المحدّدة من قبل، و ما عليه إلاّ أن يمتثل لها، و يرعاها لأنّها ترشده إلى ما يجب و ما يجـوز، و ما هو حلال، و ما هو حرام، و ما هو فاضل، و ما هو رذيل، و ما يفعل، و كيف يفعل؟ أي ترشـده إلى الطّرق التّي اتّفق الناس عليها و تعـارفـوا عـليها، فصارت عادات شعبيّـة يستحسنونها، و يستهجنون سواها.»[1]

و من جملة الآراء التي تمليها العادات الشعبية – في منـطـقـة تلمسان– عند الإقدام على عميلة الخطبـة: أخـد الوقت الكافي لاختيار شريكة الحياة، و ذلك للتأكد من حسن أخـلاقـهـا، و الـبـحـث في أصلها وفصلها، و سنها و جمالها و مالهـا.إنّ عنصر الزّمان في عملية البحث عن الزّوجة ليس هدفا في ذاته بقد رما هو وسيلة للتحقق من خصال الزّوجة.

---

[1] بن مشرنن نور الدين – عادات الّزواج و الإنجاب في تلمسان روافدها و وظائفها – رسالة ماجستير – معهد الثقافة الشعبية – تلمسان1999 2000 ص 84.

غير أنّ عمليّة البحث هذه لا يتحكم فيها عنصر الـــزمـــان فحسب و إنّما لعنصر المكان حضور أيضا. إذ أنّ عمليّة البحث التّي تتطلّب حيّزا طويلا من الزمن، تتطلب أيضا حيّزا واسعا من المكان، بمعنى أنّ عمليّة الخطبـــة تطـــول بتوفّر، و تعدّد العائلات التي يشترط أن يزورها أولياء الزوج قصد البحث عـــن الـــزّوجة المناسبة التّي تجعل الزواج يدوم و يستمـــرّ طبقا للمثل الشعبي: « **زواج لبدة تفـــتـــاش عـــــام**»[1]

1-الـحـسب و الـنّـسب:

من عادة الأسر- في منطقة تلمسان- أن تنتقي الفتاة ذات الحسب والـــنـــسب، سواء أكان الاختيار من اختصاصها، أو من اختصاص أبنائها. ولعل ما يؤكّد هذه الفرضية أمثال شعبية يدور مجالها في هذا الموضوع و منها قولهم: « **خذ بنت الحسب و النسب**».[2]

إنّ الـــعـــبارتيـــن «الحسب والنّسب» ناطقتان بهياكل ثقافية معيّنة. فمدلول كلمتي الحسب والنسب هـــو المعيار الأساسي في ضبط التراتبية الاجتماعية المحلية في الجزائر.

إنّ معيار الحسب يعني مباشرة الثروة، أما معيار النسب فيعني الأجيال المكونة لقبيلة البنت، و ما تمتاز به من شرف و مكانة اجتماعيّة.

و من ثمّ، فحسن السّـــمعة، و طيب الأصل صفات تزيد من قيمة الخطيبة، و عليه فهي – كما تقول فوزية دياب تحمل من صفاتهم الحسنة، وأخلاقهم الطيّبة، و بذلك تستطيع أن تكون زوجة صالحة، و مربية فاضلة.[3]

---

[1] للتوسع أنظر: عبد المالك مرتاض – عناصر التراث الشعبي في «اللاّز» دراسة في المعتقدات و الأمثال الشعبية – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – ص 46.

[2] مثل شعبي يترد في منطقة تلمـــسان

[3] فوزية دياب – المرجع السّابق – ص260

و نستخلص من المثل السابق « **خذ بنت الحسب و النسب**» أن الخطبة خاصة بالرجل دون المرأة. لأن القبيلة ذكوريّة، فأهل الذكر لهم الحقّ – وحدهم– في خطبة المرأة و العكس غير صحيح.

كما نستخلص أيضا أنّ الزواج عمليّة مدروسة بحيث إذا تزوّج الرّجل من بنت الحسب و النّسب، تكون نسبة نجاح زواجه أعلى ممّا لو تزوّج بمن لا يتوفر فيها هذا الشّرط :النسب و الحسب

و ما يؤكد قولنا هذا ما تنص علية الشريعة الإسلامية و ما تأمر به، فعن ***عائشة رضي الله*** عنها قالت: ***قال رسول الله*** ﷺ:« **أطلبوا مواضع الأكفاء لنطفكم، فإن الرجل ربّما أشبه أخواله.**»[1]

كما أوصي عثمان بن أبي العاص الثقفي أولاده في تخير النطف، و تجنب عرق السوء فقال: « **يا بني إن النكاح مغترس فلينظر امرء حيث يضع غرسه، و العرق السّوء قلمّا ينجب، فتخيّروا و لو بعد حين.**»[2]

و نصل من كلّ ما سبق، إلى أنّ المقبل على الزّواج، واجب عليه الاختيار على أساس عراقة الأصل، لأنّ الوراثة تلعب دورا في ذلك، و لأن الزّواج مشروع اجتماعي، وهو لا يخص الفردين اللذين سيرتبطان بعقد الزواج فقط، ولكن تزاوج بين أسرتي الرّجل و المرأة أيضا في الوقت نفسه، حيث تنشأ روابط المصاهرة بين الأسرتين في الوقت الذّي تمّ عقد القران بين الرّجل و المرأة. [3] لذلك وجب اختيار الزّوجة الصّالحة، التّي تنشأ في

---

[1] رواه بن عدي- و ابن عساكر (فلسفة الزواج و بناء الأسرة في الإسلام – عبد الحميد خزار – ص71)

[2] المرجع نفسه- ص 72.

[3] علاء الدّين كفافي – المرجع السّابق – ص 417

بيئة صالحة، و تنحدر من أصل كريم، و أجداد و أمجاد، لآن شخصيتها تنعكس في شخصية ابنها، و الأصل مرآة للفرع.

أمّا الشّطر الثّاني من المثل السابق« **خذ بنت الحسب و النسب**» يأمر باختيار الفتاة الغنية لأن الحسب يدل على الثروة (المال)، و لتعاسة الحظّ أصبح أغلب الشبّان في منطقة تلمسان يقدمون بكثرة على التزّوج بالفتاة الغنية، حتى و إن تجردت من بعض المقاييس الأخرى كالجمال و الخلق و غيرها...

و من خلال استقصاء المعلومات، توصّلنا إلى الأسباب التي تجعل شبان اليوم يفضلون الزواج من المرأة الغنية و لعل من أهمها:

1. يكلف الزواج أموالا باهظة لترتيب أموره، و تحضير مستلزماته (الذهب، الأثاث)، و لذا وجب الزواج بالفتاة الثرية من أجل مساعدة الّزوج على سدّ حاجيات و متطلبات الحياة الّزوجية.
2. توطيد العلاقة مع العائلات الغنية التّي ترفع من شأنهم، و تعلى من قيمهم.
3. مساعدة الزوج على الإعالة حتى بعد الزواج.

وهذا ما تعبر عنه (نظرية التبادل أو الاختيار العقلاني) حيث تنطلق من فكرة أساسية تتلخص في أن العلاقات المتبادلة بين الناس تهدف في المقام الأول إلى الحصول على الحد الأقصى من المنفعة، وهي لذلك تركز على الإجراءات العقلانية التي يتبعونها في تقرير أفعالهم فالشخص يختار ما يجلب له اكبر قدر من الإشباع و المنفعة [1].

إلاّ أنّ هناك نوعا آخرا من الشبّان يرفضون الزّواج من الفتاة الغنية، لأنّ هذا النّوع من الزواج في نظرهم مكلّف، و ماله الفشل.

---

[1] احمد سالم الأحمر–علم اجتماع الأسرة بين التنظير و الواقع المستمر–دار الكتاب الجديد المتحدة –لبنان –الطبعة الأولى–2004–ص84.

فالطريقة العقلانية المؤكدة بالشرط و التبصرّ هي الزّواج من الطبقات الاجتماعية ذات المستوى المشابه، غير أنّ العادة جعلت النّاس يقبلون الزّواج من بنات الأغنياء، طلبا لاكتساب السّعادة و العيش الرّغيد، و هذا ما يؤكدّه عمر كحالة حيث أشار إلـــى أنّ «الـــفـــتاة الغنية تستطيع أن تساعد زوجها فـــي الحياة المعيشية إذ هي تعدّ نفسها، و ما تملكه ملكا لزوجها.»[1].

و لعل ما استنتجناه أنّ الزواج آهل للفشل إذا بني أساسا على المال (الحسب) لأنّه يصبح بذلك تجارة دنيئة، كثيرا ما تؤدي بصاحبها إلى الهلاك والضياع. و يؤكد هذا احمد سالم الأحمر في قوله

"إن حدوث خلل في توازن عمليات تبادل المصالح بين طرفي الزواج، أو لعدم توزيع المكاسب أو المكافآت بين الزوجين بطريقة عادلة، و شعور احد الطرفين بأنه يعطي الكثير بينما يحصل بالمقابل على القليل، و أن تكلفة هذا العطاء تفوق بكثير الفوائد الحاصلة، أو التي كانت متوقعة من الزواج، فيقرر طلب الطلاق و إنهاء الزواج".[2]

و قد ارتفعت نســـبة الطلاق بمنطقة تلمسان – و ذلك بسبب ما ذكر سابقا أو لعدم تكافؤ و توافق شخصيات الأزواج- لدرجة أنّها وصلت إلـــى 911 حالة من سنة 1989-2002 أي 52,33:[3]

أما النتيجة المتوصل إليها من كلّ ما سبق فهي:

إن الزّواج لا يجب أن يكون من أجل المنفعة الخاصّة أو المصلحة الذّاتية، و إنّما ينبغي أن يكون قائما على علاقة حبّ، يجمعها التّآلف والتآنس، ويمكن أن نؤكّد هذا بالمرجعية الدينة التّي تمثّلت في أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله

---

[1] عمر رضا كحالة- الـــزّواج سلسلة بحوث اجتماعية – الجزء الأول – سوريا 1984 – ص 275.

[2] المرجع السابق-ص92

[3] للتوسع انظر ساجي علام -نظام تعدد الزوجات بين التشريع و الواقع- دراسة ميدانية – ولاية تلمسان نموذجا- رسالة دكتوراه -جامعة تلمسان -2005-2006-ص287

عليه و سلم عن أنس رضي الله عنه: «**من تزوّج امرأة لعزّها، لم يزده الله إلاّ ذلاّ و من تزوّجها لمالها لم يزده الله إلاّ فقرا، و من تزوّجها لحسبها لم يزده الله إلاّ دناءة، و من تزوّج امرأة لم يرد بها إلاّ أن يغضّ ببصره، و يحصن فرجه، أو يظلّ رحمه، بارك الله له فيها أو بارك لها فيه.**» [1]

يظهر من هذا أنّ النّاس في اختيارهم الزّوجة و تفضيلهم بعض النّساء على بعض مختلفون: منهم من يرغب في ذات الحسب الوافر و الثروة الواسعة لكي تعينه على مطالب الحياة، و منهم من يطمئنّ إلى ذات النّسب الشّريف، ومنهم من لا يرضى إلاّ بذات الأخـــلاق المكتسبة أو الموروثةّ، مقيـــاسه في ذلك سلوك وتفكير أمّ المخطوبة طبقا للمثل التالي: « ***متخطبش البنت حتّى تشوف أمّها***»[2].

معنى هذا أنّ كلّ أمّ تجسّد مثالا تقتدي به ابنتها بأنّه، أحسن مثال. فالبنت صورة للأمّ أي أنّ الفرع صورة للأصل.

مـــع الإشـــارة إلى أنّ هذا المبدأ لا يقتصر على عائلة المقبل على الزّواج، و إنّما تراعيه أيضا عائلة المقبلة على الـــزّواج. بمعنى أنّ من حقّ أولياء المرأة أن يرفضوا طلب الـــرّجـــل، إذ لم يتوفّر فيه هذان الشّرطان وهما: الحسب و النّسب، بالإضافة إلى شرط العمل و الرّزانة و حسن التّدبير. فسواء أكان المؤهّل للزّواج ذكـــرا أم أنثى، فإنه ينصح بالتّفكير و التدبّر، وجمع المال لمجابهة المسؤولية الأسرية.

---

[1] عبد الحميد خزّار– المرجع السابق – ص 78– رواه الطّبراني في الأوسط التّرغيب و التّرهيب، كتاب النّكاح

[2] مثل متداول في منطقة تلمسان.

2-الخلــق و الجــمال:

الإنسان كائن جمالي، يعشق الجمال، و يتطلّبه و ما ذلك إلا لأنّ الجمال نزعة فطريّة فيه. و ما دامت كذلك، فهي قديمة قدم الإنسان، بل إنّ الله سبحانه وتعالى جميل و يحب الجمال.[1]

والجمال صفة تحمل في طيّاتها معاني شتّى، تختلف باختلاف الأذواق والميول، والمدارك الشخصيّة، إذ هناك من يرتاح إلى الجمال الجسدي (الظّاهري)، و لا يولي أهميّة للجمال الرّوحي (السّلوك)، بينما لا يرتاح الآخر للجمال الجسدي في غياب الجمال الرّوحي، ممّا يجعل هذا الصّنف من النّاس يشترط توفّر الجمال بعنصريه المادّي و الرّوحي.

إلاّ أنّ ما تجب الإشارة إليــه أنّ مقاييس الجمال تختلف باختلاف الثّقافات، و قد أشارت إلى هذا فوزية دياب أثناء بحثها الميداني حيث تقول: «فهناك ثقافات ترى الجمال في المرأة البدينة ذات الصّدر العريض، و هناك من يرى الجمـــــال الأمثل في البيضاء ذات العيون الزّرقاء، و الشّعر الأصفر، أو في السمراء ذات العيون السّوداء المسترسل في هيفاء القدّ ممشوقة الــقــوام ذات الصدر المرفوع، و هكذا فالنّاس فيما يعشقون مذاهب.»[2]

إلاّ أنّ هــذه المــقاييس لا تعني أنّها تختلــف باختلاف الثّقافــات فــحسب، بل يــعني أيــضا أنّها « تختلف في الثقافة الواحدة، و في المجتمع الواحد، باختلاف أقاليمه المحلية أي باختلاف ثقافاته الجــزئية الفرعية، وباختلاف الطّبقات، و باختلاف الجماعات المهنية الخ.» [3]

---

[1] عليّ عبد المعطي محمّد – جماليات الفنّ – المناهج و المذاهب و النّظريات– دار المعرفة الجماليّة – الإسكندرية – 1998 – ص24.

[2] فوزية دياب – المرجع السّابق – ص60

[3] المرجع نفسه – ص 61

ويفضل أهل منطقة تلمسان الفتاة البيضاء، وهي صفة مستحبّة جدّا في العروس، لدرجة أنّها تغطّي الكثير من العيوب. إضافة إلى هذا، فهناك صفة أخرى تزيد المرأة جمالا ألا و هي: حسن الشّعر.

زيادة على الصفتين اللتين ذكرناهما سابقا، هناك صفة أخرى لا تقل عنهما أهمية في منطقة تلمسان، وخاصة في الريف ألا وهي امتلاء الجسم. فامتلاء الجسم يزيد من قيمة العروس الجمالية، لأنّه رمز للخير والعزّ والصحّة.

و قد توصّلت إلى هذا فوزية دياب من خلال بحثها عند اختيار المرأة في مصر: « القيم والعادات الاجتماعية » فتقول: « *والجمال عند الرّيفيّين مقرون بالقوّة، والصحّة، وسلامة الجسم، وحيويته وتلك أمور إذا توافرت في العروس، فإنّ الزّوج يضمن أمّا قويّة تتحمّل عبء خلف الأولاد وتربيتهم، كما تتحمّل أيضا القيام بأعمال البيت والغيط* [1]»[2]

و نفهم ممّا سبق، أنّ اختيار المرأة الممتلئة ليس لقضاء شهوة أو منفعة ذاتيّة، و إنّما للقدرة على القيام بشؤون الأسرة، و التمكّن من إنجاب ذريّة سليمة تنعم بالصحّة و العافية.فضلا عن العمل في الفلاحة إلى جانب الرجل.

و نصل من كلّ ما سبق إلى أنّه مهما اختلفت مقاييس الجمال، باختلاف الأذواق و المدارك الشخصيّة، فإنّ الجمال(الزّين) لوحده غير كاف، إذا لم يصحبه حسن الخلق، الذّي يعدّ من الدّعائم الأولى التّي يقوم عليها بناء بيت الزوجيّة. فحاجة الفنّان لتجسيد الجمال، يختلف عن حاجة الزّوج لجمال المرأة. لأنّ هذا ليس بحاجة ليجعل هدا الجمال في صورة ينظر إليها، و إنما هو بحاجة إلى امرأة تخدمه و تخدم العائلة. « فالزّواج ليس ألعوبة أو تسلية، وإنّما هو

---

[1] **الغيط: معناه المزرعة**

[2] فوزية دياب – المرجع السّابق – ص 265

خطوة مهمّة يخطوها الإنسان في أوّل مرّة في حياته، ليجتاز عتبة حياة ثانية، ولذا عليه أن يفكّر مليّا قبل الإقدام عليه، و أن لا يخشى التّراجع إذا شاهد ما لا يسرّه قبل اجتياز العتبة مهما كلّفه ذلك غالبا.» [1]

و يــوضّح ذلك أكثــر عبد الحميد خزّار في قوله: « إنّ الجمال عرض زائل، ونظاراته سرعان ما تزول، بتقدّم العمر وتجعّد الوجه، وانحناء الظّهر، وتساقط الأسنان، فيكون هذا القياس وقتيا، وقد تتعرّض الجميلة لحادث من الحوادث يذهب بجمالها، أو يتركها قبيحة المنظر. فالجمال إذا ليس جمال المظهر، وإنّما جمال المخبر جمال الخلق، لأنّ الجمال المظهري كثيرا ما يجعل المرأة محطّ أنظار الآخرين، وقد يكون سببا ودافعا لها في خيانة الزّوج.»[2]

نفهم من هذا القول أنّ الخلق أساس الاختيار، و إذا تزّوج الرّجل الجمال، فعند اختفائه، لابدّ أن يعيد الزّواج مرّات و مرّات لكي يتغلّب على عقدة الجمال الدّائم أو الأبديّ.و لعل هدا هو السبب في تعدد الزوجات[3].

إذن على الرّاغب أو المقبل عــلى الزّواج أن يخــتار الفتاة الحسنة الأخلاق طبقا لقيمنا الاجتماعية و الأخلاقية، و التّي يمكننا أن نؤكّدها بالمرجعيّة الدّينيّة التّي تمثّلت في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ:« **الدّنيا متاع، وخير متاعه المرأة الصّالحة.**» [4] وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ

---

[1] ناجية ثامر – كتاب البعث المرأة و الحياة – ط1 جميع الحقوق محفوظة – الكتاب العاشر – 1956 – ص100

[2] المرجع السابق – ص 76

[3] **للتوسع –راجع رسالة ساجي علام السابقة من 129–131ص**

[4] أبو بكر احمد بن الحسين بن عليّ البيهقي – السّنن الكبرى –الجزء العاشر – دار الفكر للطّباعة و النّشر و التّوزيع – بيروت لبنان ص 241

يقول: « **لا تنكحوا النساء لحسنهنّ، فعسى حسنهنّ أن يرديهنّ، ولا تنكحوا النساء لأموالهنّ، فعسى أموالهن أن تطغيهنّ، وانكحوهنّ على الدّين، فلأمة سوداء خرقاء**[1] **ذات دين أفضل.**» [2]

و يعني هذا أنّ الجمال أو المال – وحده – لا يكون معيارا كافيا لاختيار الزّوجة، وإنّما أساس الاختيار الخلق. وذلك لتقوم الزّوجة بواجبها الأكمل في أداء حقّ الزّوج، وحقّ أفراد العائلة.

كما يشترط حسن الخلق أيضا في المرأة التّي تعيش في بيت مستقلّ (الأسرة النوويّة) مع زوجها و أبنائها، إذ لا بّد للمرأة أن تتصف بالرّزانة والهدوء والاستقامة والامتثال حتّى تتمّ المودّة والتّفاهم وتستمرّ الحياة الزوجيّة.

3-المهارة:

ويأتي بعد الجمال والخلق: المهارة وهي أولى الصّفات التّي ترفع من قيمة الخطيبة. لذلك وجب عليها أن تكون نشيطة، وسريعة الحركة، و أن تمتثل لما يطلب منها كأن تقوم بكلّ الشؤون المنزلية، بالإضافة إلى العناية بكلّ أفراد الأسرة وخدمتهم وتربية الأولاد،[3] لأنّ من أهمّ أغراض الزّواج الأساسية أن تخدم العروس الزّوج وأفراد أسرته، و أن تشيل الحمل عن أمّه، التّي تعبت، و آن لها أن تستريح على حساب زوجة الابن. [4]

معنى هذا أنّ الرّسالة الأولى و الأساسية هي أن تقوم الزّوجة بكلّ الأعمال المستندة إليها، و ذلك تجنّبا لمعايير المجتمع التّي كثيرا ما تكون قاسية إلى درجة إلغاء الزّواج أو الطلاق، و هذا ما تخشاه المخطوبة فضلا

---

[1] **خرقاء:** و في رواية أخرى خرماء بدل خرقاء و خرماء مثقوبة الأذن، و التي قطعت و ترة أنفها أو طرفه.

[2] أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي – المرجع السابق – ص242.

[3] محمد عاطف غيث – دراسات في علم الاجتماع القروي –ص 124

[4] فوزية دياب – المرجع السّابق – ص 256.

عن أسرتها، ممّا يجعل الأمّ تدرّب ابنتها على كلّ شؤون البيت. حتّى تجعل منها زوجة ماهرة من جهة، و حتّى تقيها عواقب الفشل في الزّواج من جهة أخرى.

و نستخلص ممّا سبق أنّ المرأة معرّضة للامتحان في أثناء زواجها، و يتمثّل هذا الامتحان في مجموعة من التّقاليد تفرض عليها، وليس لها الحقّ في الرّفض، و إنّما عليها أن تنجح في تنفيذ هذه الأمور، حتّى لا تتعرّض إلى ما لا يحمد عقباه و هو الطلاق.

إلاّ أنّ المرأة لم تخلق للقيام بشؤون البيت فحسب، بل خلقت لتؤدّي المهام المشابه لمهام الرّجل كالعمل في المزارع، و العمل في مختلف المجالات الأخرى ممّا يؤكّد أنّ مهارتها لا تتمثّل في خدمة زوجها و عائلته فحسب و إنّما تتعدّى هذه المهارة عندها أمور البيت لتشمل مجالات الحياة الأخرى. [1]

و ممّا لا شكّ فيه أنّ أغلبيّة الأسر في منطقة تلمسان أصبحت تحبذ مساعدة الزّوجة لزوجها في متطلبات الحياة الجديدة القاسية بواسطة الوظيفةّ. إنّ المهارة لا تقتصر على العمل داخل البيت فقط، و إنّما تشمل العمل خارجه أيضا. و عمل المرأة خارج البيت لا يعوق الحياة الزوجيّة، و لا يقف حجرة عثرة في طريق سعادتهما، بل يعينهما ما دام التّفاهم يكون بينهما و الحبّ و المودّة يجمعهما. إضافة إلى معرفة كلّ زوج بواجباته في الحياة الزوجيّة، و القيام بالأدوار على أحسن ما يرام.

4-صغر السنّ (الزّواج المبكّر):

كذلك من الصّفات المرغوبة في اختيار الخطيبة في منطقة تلمسان أن تكون صغيرة السنّ يانعة الشّباب، و ذلك حتّى يسهل عليها أن تتكيّف مع المستجدات الخاصّة بالحياة الجديدة في بيت الزوجيّة، و ذلك بخلاف الفتاة التّي تكون قد مكثت في بيت أبيها زمنا طويلا، إلى درجة

[1] للتوسع أنظر: مصطفى بوتفنوشت – المرجع السّابق –ص 88 –206.

تعوّدها على نمط الحياة العائلية داخل أسرتها، ممّا يصعب عليها التـــخلّص من هذه العادة، و من ثمّ الاندماج في الحياة الجديدة، و السّيطرة عليها.

كما قد يكون سبب اختيارها صغيرة السنّ، لأنّ هذا « يجعلها أسلس انقيادا لزوجها مما لو كانت كبيرة، فكلما كانت الزّوجة صغيـــرة الـــــسنّ، تمكنت حماتها (وهي شخصية رئيسيّة في الأسرة) أن تضعها «تحت طـــــوعـــــها»...»[1]

هذا من جهة، و من جهة أخرى إن الفتاة محطّ شرف الأسرة، و محطّ مخاوف جلب العار على العائلة، لذلك و جـــــــب الإسراع بتزويجها. ومـــــــن هـــــنا كـــان الزّواج المبكّر محبّبا ومفروضا لا على الفتاة فقط، وإنّما على الفتى أيضـــا.

و بما أنّ وظيفة الزّواج تمكن في الإنجاب بكثرة، فالمرأة – خاصة- مطالبة بالزّواج المبكّر، لأنّ إذا كانت هناك عوائق تمنعها من الإنجاب، فإنّ ذلك يتطلّب وقتا كبيرا لفحصها و شفائهـــا.

كما قد يكون لهذا الزّواج أهداف أخرى: كتفادي بعض المشاكل والمخاطر عند الولادة. و قد أثبت الأطّباء هذه الخطورة التي « تلحق بالمرأة التي تتزوّج من35 لما فوق، فيكون حملها مهدّد و معرّض لمشاكل صحيّة و سلوكيّة، و من أمثلة هذه المشكلات و الاضطرابات: ارتفاع نسبة وفيات الأطفال، التخلق العقلي سواء المرتبط بتضخّم الدماغ أو صغر الجمجمة و المخّ، و انخفاض وزن المولود و الاضطرابات الجنسية و غير ذلك.»[2]

---

[1] فوزية دياب – المرجع السّابق – ص 259.

[2] هانري هافلوك ألس – الجنس و الزّواج و فنّ الحبّ – ترجمة عبد الإله الكويتي – المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر المركز الرّئيسي – بيروت – التّوزيع في الأردن – ط2 –1991 – ص85

ومن أهداف الزّواج المبكّر أيضا: اتقاء الفواحش[1] وتجنّب مزالق السّقوط طبقا للمرجعيّة الدّينية: « **من أراد منكم الباءة فليتزوّج، فانه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج.** »[2]

و على العموم، فإن للزّواج المبكّر أضرارا منها:

- **عدم اكتمال عقل الفتى و الفتاة:** فبمجرد وقوع الزّوجين في خلاف بسيط، لا يستطيع الواحد أن يتحمل الآخر. و من ثمّ تكون النّتيجة سيّئة و هي الطلاق، و خاصّة في الفترة الأولى من الحياة الزوجيّة التّي تعقب شهر العسل، « وهي فترة صعبة جدّا بالنّسبة للزّوجين، إذ تظهر فيها الاختلافات الكثيرة بينهما وقد يتطلب قوّة صبر وتحمّل كبيرة.»[3]
- **عدم الإحساس بالمسؤولية:** إذ من المعروف أنّ الزّواج المبكّر لا يتمّ عادة بمحض إرادة الزّوجين المستقبليين بقدر ما يتمّ بإرادة الأولياء، ممّا ينتج عنه سوء التّفاهم بين الزوجين فضلا عن عدم تعوّذ الزّوج على تحمل مسؤولية بيت الزوجيّة، ممّا يجعله يبقى يعيش عالة على عائلته.
- **حاجة الفتى و الفتاة إلى اللّعب:** إنّ الزّواج المبكّر يحرم الفتى والفتاة من الإشباع من حياة الطّفولة، ممّا يجعلهما يحاولان متابعة هذه الحياة في بيت الزوجيّة، و هذا ما يرفضه الأولياء (موقف الحماة).
- **عدم ترك الوقت الكافي للفتاة للنّضج البيولوجي:** و هذا يجعلها « أقلّ تناسلا وولادة، كما تكون ولادتها عسيرة وصعبة، لأنّ حجم الأعضاء التّناسليّة للفتاة الصغيرة يكون صغيرا، فلا يسمح بسهولة القيام بعملية

---

[1] محمد غيث – دراسات في علم الاجتماع القروي – ص 142

[2] رواه البخاري في صحيحه

[3] مسعودة كمال – المرجع السّابق – ص 288.

الجماع، وهي أولى الواجبات الزوجيّة، كما أنّ الرّحم لا يكون قد تمّ نموّه، فلا يصلح ليكون وعاءا جيّدا لينمو بداخله الجنين ثمّ إنّ ابتداء حياة تناسلية نشيطة كحياة المتزوّجين في مثل هذه السنّ يكون عائقا في سبيل نموّ باقي أعضاء جسم الفتاة.»[1]

معنى هذا أنّ تزويج الفتاة الصّغيرة (أي بعد البلوغ مباشرة) له أثر سلبي على نموّها البيولوجي، و على واجباتها الزوجيّة. ممّا يجعلها غير قادرة على ممارسة العلاقات الجنسيّة، و القيام بعمليّة الحمل و الولادة، وهذان شرطان ضروريان لاستمرار الدّيمومة في الحياة الزوجيّة.

5-البكارة:

أصبح مقياس الشّرف والعفّة، مع مرور الوقت، شبه قاعدة يرجع إليها قبل مشروع الزّواج، بحيث صار أوّل مطلب يشترط توفّره في زوجة المستقبل هو العفّة لا بمعناها الخلقي، وإنّما بمعناها الجنسي.

و قد جرت العادة في منطقة تلمسان، قبل الزّفاف بأيّام معدودة، أن تأخذ الأمّ ابنتها «المخطوبة» لطبيب النّساء« Gynécologue» للكشف عن عذريتها وإعطائها شهادة طبيّة تثبت بكارة الفتاة.

تأخذ الأمّ – أو من تنوب عنها– معها هذه الشهادة – يوم الزّفاف– إلى بيت الزوجيّة كضمانة لإثبات عذرية ابنتها، لكي لا يكثر القيل والقال في العروس إذا ما صادفها مشاكل أثناء عمليّة فضّ البكارة.

فغشاء البكارة هو السّبيل الوحيد أمام الفتاة لتثبت عفّتها. ووجود هذا الغشاء سليما دليل على أنّها صانت عرضها.

---

[1] عمر رضا كحّالة – المرجع السّابق – ص 288.

و نظرا لأهميّة هذا القياس و مكانته، فإنّ أهل منطقة تلمسان – خاصّة الرّيفيين – يحرصون على ظاهرة نشر القميص ليلة الزّفاف، لأنّه رمز للشّرف، و نقاء للعرض.

و ممّا هو جدير بالذّكر هو أنّ هذه الظّاهرة ليست مقتصرة على المجتمع الجزائري عامّة والتّلمساني خاصّة فحسب، و إنما موجودة في مجتمعات أخرى. ففي « العراق « الزويّة» مثلا كان على العروس أن تحمل سطلا، أو جرّة، وتذهب إلى البئر في صباحيّتها، و تعود حاملة الماء على رأسها، و قد بدا ثوب الزّفاف مخضّبا بالدّم ليراها النّاس في ذهابها و إيّابها.»[1]

و ما زالت المناديل البيض ترافق العروس في الشّرق العربي، إلى اليوم، و منهنّ من تحتفظ بها سنين عديدة، حتّى تصبح أمّا، و قد تدخّرها إلى أن تغدو جدّة. [2]

و نظرا لمكانة هذا المقياس (البكارة) في المجتمع العربي عامّة والجزائري خاصّة عند الإقبال على الزّواج فقد يذهب سلطان التقاليد إلى حدّ أنّ الأمّ تقتل ابنتها إذا اكتشفت أنّها غير عذراء، كما قد يهاجرّ الأخ أو الأب بلـــده وداره خـــشـــيـــة من كلام النّاس، لأنّ هذا – كما تقول فوزية دياب– يسوّد وجوه أهلها، ويسوّد عمائمهم. وبجعلهم مضغة في أفواه النّاس سنين طويلة.»[3]

وفي هذه الحالة، يحقّ للزّوج وعـــائلته أن يطالبا أهل العروس « غير البكر» بتقديم لهما تعويض نفقات الزّواج قبل و أثناء الزّفاف.

وتجري العادات في بعض المجتمعات الأفريقية، أنّ الرّجل هو الذّي يفحص زوجته عند البناء بها، فإذا لم يجدها عذراء شقّ قطعا في النّصف الأسفل من ثوبها و أمرها بأن تحمل الثّوب إلى أمّها، وهنا تقضي التقاليد بأن

---

[1] محمود مفلح البكر – العرس الشّعبي – بيسان – ص 48.

[2] المرجع نفسه– **ص 48.**

[3] فوزية دياب – المرجع السّابق – ص 301

يقوم الأب بتعويض الزّوج عن«البضاعة التّالفة»، كما يرسل الأب هديّة إلى الزّوج تعتبر ردّا لهدايا الزّوج التّي بعثها الأب عندما كان يطلب يدا الفتاة للبناء بها...»[1]

نستنتج ممّا سبق، أنّ للعذرية مكانة مقدّسة عند أغلب المجتمعات، وهي صفة أساسية ومشترطة ومفروضة في مشروع الزّواج. ولكن قد يجدر بنا التّساؤل و نقول هل هذا كلّه لأجل إثبات نقاء العرض لا أكثر، أم أنّ هناك أبعادا أعمق من هذا؟ و إن وجدت ما مدى حضورها في الذّاكرة الشعبيّة الجمعيّة؟

لقد حاول الباحث محمود مفلح البكر الإجابة عن السّؤال من خلال تقديمه لنا أسطورة بابليّة سومارية تحكي قصّة الفلاّح «شوكليتودا» مع ربّه الخصب والحبّ «إنانا». و شوكليتودا ليس فلاّحا من عامّة الشّعب، بل إنّه أحد آلهة الفلاحة، يملك أسرار العالمين، الأعلى و الأسفل، ألا و هو على الأقّل كاهن أكبر، راقب السّماء طويلا، فباحت له النّجوم و الشّمس و القمر – و كلّها آلهة– بالأسرار، فميّز طوالع السّعد من غيرها، و درس إرادات الآلهة. و رأى هناك كيف سينفد النّواميس الإلهية.» التّي تتحكّم بسيرورة الحياة على الأرض، وتفاصيل مجرياتها. ممّا يشير إلى أنّه توقّع زيارة «إنانا» فغرس لأجلها تلك الأشجار ذات الخضرة الدائمة...لتستريح تحتها ربّه الحبّ و الخصب«إنانا» ويضاجعها«شوكليتودا» بإرادة الآلهة أيضا، و ما نومها إلاّ استسلام، ليتمّ البستانيّ«شوكليتودا» فعله الجنسي، الذي أرادت الآلهة إتمامه، في المكان الذّي اختارته، و هو البستان، و أمرت البستانيّ بتهيئته، ليكون فعلها محفوفا بالخضر، ممّا يعني أنّه في سبيل الإنبات، و تجدّد الخصب.[2]

---

[1] محمّد عبد الفتّاح إبراهيم – التّقافة الإفريقية – المكتبة الأنجلو المصرية – 1965 – ص 75.

[2] محمود مفلح البكر – المرجع السّابق – ص 51.

و حسب نبوءة «شوكليتودا» جاءت البغي المقدّسة «إنانا» إلى البستان... دون سواه لتتبذل، وتستلقي في هذه الخلوة التّي يسمّها البدو«برزة» أمام عينيّ ذلك الرجلّ التّي هيّأها لها بوحي إلهي، فافتضها وهي نائمة، ليسيل دم بكارتها في بستانه... فتغمر البلاد بالدّم، الذّي تفيض به الينابيع، والأنهار، وتمتلئ الآبار، ويلوّن الحقول، حتّى لم يجد النّاس ما يشربونه غير هذا النجيع، أو الماء الممزوج به.[1]

و يشرع محمود مفلح البكر في تحليل الأسطورة، و يقول إن ذاك الدّم الذّي غمرت به«إنانا» الينابيع، و الأنهار، و الآبار، و الحقول...ليس إلاّ فيضان الأنهار والأودية نتيجة المطر، أو ذوبان الثّلوج، حين تجرف السّيول كمّيات كبيرة من الأتربة و المواد العضويّة، الكفيلة بتغير لون المياه المتدفّقة، من الجبال، وإكسابها حمرة كثيفة يكسوها الزّبد، تذكّر بلون الدّم الشّاحب، تغمر الأودية و السّهول المنخفضة، و ربّما لا يجد النّاس لأيّام عديدة ما يشربون غير هذا الماء القاني[2].

و ما دام الإنسان في ذلك العصر قد استقر تفكيره، على خصوبة الأرض، و حياة النّبات نتاج جماع مقدّس بين ربّه الخصب التّي تمثل الأرض، و بين الإله المتحكّم بمياه الغيوم و الأنهار، فأيّ غرابة بعد ذلك أن يتصوّر مياه السّيول الحمراء دم بكارة فاض من فرج الآلهة؟! [3]

و يصل محمود مفلح البكر من خلال تحليله للأسطورة البابليّة إلى أنّ جريان الدمّ في هذه الحال يرمز إلى جريان الحياة، كما يجري الماء في الجدول، [4] كما اتضح له أنّ للبكارة في مورثنا أهميّة أكبر بكثير من فكرة

---

[1] محمود مفلح البكر – المرجع السّابق – ص 51.

[2] المرجع نفسه – ص52

[3] المرجع نفسه – ص52

[4] المرجع نفسه– ص53.

الشّرف التّي لا يرى فيها أصلا إلاّ خادما لفكرة الخصب و طقوسه الاحتفالية. فيقوم البشر العاديون بتقليد أدوار الملوك و الآلهة، فيندمج الأسطوري بالواقعي، و يتداخلان في احتفالية الزّفاف، التّي توارث شعبنا على مرّ العصور و الأيّام كثيرا من عاداتها و طقوسها وأفكارها[1].

(1) محمود مفلح البكر – المرجع السّابق – ص 54.

المبحث الثالث : الخطبة الرسمية

تبدأ مرحلة الخطبة الرّسمية بعد انتهاء مراحل البحث و الاختيار، و هي تعتبر تحضيرا للفتى و الفتاة لبناء بيت جديد، و بداية مرحلة جديدة في حياتهما. و هي مرحلة من أولى مراحل الزّواج، و الفترة التّمهيدية التّي تسبق عقد القران.

وقد عرّفها قانــون الأســرة الجزائري بأنها «وعد بالزّواج يحقّ لكلّ واحد من الطّرفين العدول عنها.» [1]

و ينظر إليها المجتمع الجزائري على أنّها اتّفاقية يعقبها تحديد المهر، ثمّ قراءة الفاتحة.

كما أنّها هي الموعد و الجلسة التّي يتمّ فيها الاتّفاق، و يملي فيه أهل الخاطب شروطهم، و أهل المخطوبة مطالبهم.

و قد تكون فترة الخطبة قصيرة لا تتعدى بضعة أشهر، و في بعض الحالات تطول المدّة إذا كانت الفتاة المخطوبة صغيرة السنّ، أو إذا كانت أسرة الخاطب ترغب في التريث، حتّى يتجمع لديها مهر الفتاة، وما تتطلبّه إجراءات الزّواج من نفقات. [2]

1-المهر:

في العديد من المجتمعات، هناك عنصر مشترك بين كل المراسم كان يعطي للزواج التقليدي شرعيته "المهر" و تعني هذه الكلمة في أوربا و في الشرق الأدنى البدل المادي الذي تعود به البنت عند زواجها[3]

---

[1] عبد العزيز سعد – الزّواج و الطّلاق في قانون الأسرة الجزائريّة، ط1 – دار البعث للطّباعة و النّشر –قسنطينة – 1986 ص65-66.

[2] فوزية دياب – المرجع السّابق – ص253.

[3] فيليب لا بورت –تولرا- جان بيار فارنييه-اثنولوجيا انتربولوجيا-ترجمة مصباح الصمد-المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع-لبنان-2004-ص79 .

"و يذهب بعض الانتروبولوجيين، من أنصار اتجاه التبادل، إلى أن المهر الذي يدفع إلى أهل العروس في بعض المجتمعات ما هو في واقع الأمر إلا ثمن لها، أو تعويض عن الخسارة التي يتكبدها أهلها نتيجة لفقدان عمالتها. و بالتالي تصبح عملية الاختيار للزواج، وفق هذه النظرية، عبارة عن صفقة تجارية أو نوعا من المقايضة التي تتم في سوق الزواج، و تكون عرضة للربح و الخسارة "[1]

"فالمهر عند المجتمعات البدائية المعاصرة عبارة عن تعويض يتقاضاه أهل العروس مقابل خسارتهم للفتاة، و من تنجبه من أولاد.أي انه تعويض مادي لفقدان عدد غير محدود من النسل كان يمكن أن يلحق بمجتمع الفتاة، و يقوي هذا المجتمع عدديا و سياسيا[2].

والمهر في ديننا الإسلامي هو المال الملتزم بـــه للمـــخطوبة لملك عصمتها. و قيل اسم للمال الذّي يجب للمرأة في عقد النكاح في مقابلة الاستمتاع بها و يقول الرسول الله ﷺ: «أحقّ الشّروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج»[3]

من حسن رعاية الإسلام للمرأة، و احترامه لها، أن أعطاها حقّها في التمسّك. إذ كانت في الجاهلية مهضومة الحقّ مكسورة الجناح، حتّى أنّ وليّها كـــان يـــتـــصرّف فـــي خالص مالها، لا يدع لها فرصة التملّك، و لا يمكّنها من التصرّف.[4]

فكان أن رفع الإسلام عنها هذا الإصر، و فرض لها المهر و جعله حقّا على الرجل لها، وليس لأبيها ولا لأقرب النّاس إليها، أن يأخذ شيئا منها إلاّ في

---

[1] احمد سالم الأحمر–المرجع السابق– ص92 .

[2] محمد رياض–المرجع السابق –ص 504.

[3] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي– الصحيح– دار الطّباعة و النّشر و التوزيع – عين ميلة – الجزائر –1992– ص 970

[4] السيّد سابق – فقه السنّة – المجلّد الثاني – ط4 –1983 – ص135

آجال الرضا والاختيار[1] قال الله تعالى :" **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا**" سـورة النساء آية 04

و على الرّغم من أنّ الشّريعة الإسلامية لم تحدّد مقدار المهر، كما لم تحدّده قوانين الأسرة الجزائريّة، فإن تحديد مقدار المهر قد ترك للعرف [2]. مما جعله يرتفع ارتفاعا جنونيا في منطقة تلمسان و على الخصوص في الرّبع الأخير من هذا القرن.

و لا ريب في أنّ لهذا الارتفاع التّصاعدي السّريع آثارا سلبية على عملية الزّواج ذاتها. إذ يلاحظ أنّ عدد المقبلين على الزّواج من الشبّان و الشابّات، قد بدأ يتضاءل عام بعد عام، في الوقت الذّي ما انفك عدد العوانس يرتفع، و قد أدّت هذه الظاهرة إلى انتشار كثير من الآفات الاجتماعية بين الشّبان مما جعل ظاهرة الزّنا تنتشر بسرعة في هذه المنطقة، و هذا ما دفع رجال الدّين والقانون إلى التصدّي لها. [3]

و لمّا كان لهذه الظّاهرة أخطار على الشباب الإسلامي فإن السنّة النبويّة الشّريفة سبق لها أن دعت إلى الرفق بالخطيب في قضية المهر، إلى درجة أن النبيّ ﷺ قال: « **تزوّج ولو بخاتم من حديد**» رواه البخاري في صحيحه.

و قال أيضا: « **اذهب فقد أنكحتها بما معك من القرآن**» رواه البخاري في صحيحه.

---

(1) السيّد سابق – فقه السنّة – المجلّد الثاني – ط4 –1983– ص135

(2) Pierre Bourdieu – Sociologie de l'Algérie – que sais –je N°802 –Paris -1974 – P14-18

(3) « إنّ الغلاء في المهور في مقاصده، و مفاسده حرام ضارّ يصرف الرّاغبين عن الزّواج له الأثر السيئ في تقليل النّسل، و تكثير العيش، و انتشار الفجور، و تدهور الأخلاق و الاستهداف لفتك العلل و الأمراض، و ارتكاب الجرائم، و الجنايات، ممّا يعتبر في نظر الشّرع من أقوى أسباب و تحريم المغالاة في المهور، و النفقات و يؤكد إيجاب التسيير فيها عملا بقاعدة جلب المصالح و دفع المضّار» (الزواج و الطلاق في الشريعة القانون: مدخل فقهي عامّ – قانون الأسرة – قضاء المحكمة العليا) – ص25.

غير أنّ ما زاد الإشكال تعقيدا أنّ الـــــغلوّ في المهر، لم يتوقف عند الأسر الثرية و إنما شمل كلّ أنواع الأسر في المنطقة، و على الخصوص فـــــي المدن بحيث صار التّباهي بالصّداق المرتفع بين الأسر علامة ارتفاع المكانة الاجتماعية لها [1] و لـــو أدّى هـــذا بأهل الخطيب إلى الاقتراض لتسديد تكاليف المهر، و هذا ما يبعث على القلق.

و يتمثّل المهر في: الذّهـــــب (المجوهرات و الحليّ)، المـــلابس والأثاث. إلاّ أنّ أهالي المنطقة يحرصون بكثرة على شراء الذّهـــب للعروس، ويخصّصون له جـــــزءا هـــامّا مـــــن مقداره، و ذلك لأنه يمثّل عندهم عنصر الادخار. و لا يـــقـــصـــد به الأجل الآني، و إنّما يقصد به الآجال الـــبـــعيدة: (من أمراض مزمنة، الفقر أو وفاة الزّوج خاصّة) للاحتياط من ظروف الدّهر. [2]

غير أنّ ما تجب الإشارة إليه، هو أنّ المهر لا يفرض على الذّكر وحده، بل يفرض أيـــضا على الأنثى، فالفتاة مسؤولة أيضا على تجهيز بيت الزوجيّة المستقبلي[3]، و على الخصوص أمّ الفتاة التّي تقع عليها انتقادات الحاضرين يوم الزّفاف، إذا لم يكن جهاز ابنتها مرضيا لعائلة الزّوج.

---

[1] عمر ديدي – العرف كمصدر للقانون و الثّقافة – رسالة لنيل شهادة الماجستير – مكتبة الثقافة الشعبية – تلمسان 1994-1995-ص 139.

[2] للتوسع أنظر:

Fatima Mernissi – sexe idiologie islam – traduit de l'anglais par DIANE BROWER et ANNE MARIE pollrtin ed.tience.1983-P171-178.

[3] كانت البنت نفسها تساهم في العمل، بطرز (مخدّات) و (سطارم) لبيتها المقبل بالحرير الخالص على قماش الكتان الأبيض المتين بواسطة (مرمة) صغيرة و يسمّى: (طرز الغرّة). و يمتاز هذا التّطريز بالدقة المتناهية و المتانة والجمال، و يتطلب من الفتاة عدّة سنوات من العمل بعد إتقان التّطريز على يد (معلمة)، كما تقوم بطرز المناديل، الستائر بالحرير حيث تزخرفها بأنواع من الزهور ذات ألوان مختلفة زاهية (أنظر إدريس الكتاني الأسرة المغربية التقليدية مجلة التراث العدد الثالث– وزارة الثقافة و الفنون – بغداد السّنة التّاسعة – 1978 – ص 115).

و يفهـــم مـــــن هذا أن إضافة للشروط التّي ذكرناها، هناك شرط آخر أساسي و هو: كـــــفاءة المرأة و قدرتها على تهيئة ابنتها، و قد يستغرق هذا التحضير وقتا طويلا، كما يتطلّب أموالا باهظة.

و كما سبقت الإشارة، فإنّ هذا الفعل هو تحقيق لمطالب أولياء الزّوج، ولإظهار مكانة عائلة الزّوجة أمام النّاس. كما أنّ هذا التّجهيز يلعب دورا كبيرا في تنافس الفتيات مع بعضهن البعض، فكلّ واحدة تريد أن يكون جهازها أفضل من الأخرى، إذ بهذا التّجهيز توزن قيمة العروس، و تحتلّ مكانة مرموقة بين أفراد أسرتها الجديدة[1].

و نخلص من هذا كلّه، أنّ المهر في منطقة تلمسان،لا يفرض على الرّجل فحسب بل فرضه العرف على أولياء المرأة أيضا.

2-قـــراءة الـفـاتـحـة:

بعد التّفاهم و الاتفاق، يبقى على الأسرتين القيام بإعلان هذا الزّواج لجمهور النّاس، كما هو مطلب الإسلام ليزداد قوّة و تأكيد باعتراف الرّأي العامّ.

جرتّ العادة في الريف أن تقرأ الفاتحة في بيت العروس، مع تحضير مأدبة غذاء للحاضرين. و بعد الانتهاء (من قراءة الفاتحة) تزغرد النّساء، وبعدها يعطي أهل العريس للعروس مبلغا من المال يسمّى (دراهم الزغاريت).

أمّا في المدينة (تلمسان) عادة ما تقرأ الفاتحة جماعيا يوم الجمعة بالجامع الكبير في حشد إسلامي بهيج تبرّكا وتمنيا بنجاح الزيجات التّي تتمّ في المسجد لقداسته عند المسلمين. [2]

---

[1] CHAFIKA DIB MAHROUF- collection, AL MOUJTAMMA Fonction de la dot dans la Cité Algérienne : le cas d'une Ville moyenne – Tlemcen et son HAWZ – ALGER – O.P.U.1984-p94

[2] الطيب بن هاشم – العادات و التقاليد في ولاية تلمسان و علاقتها بالشريعة الإسلامية – رسالة الماجستير – مكتبة الثقافة الشعبية – تلمسان –2001–2002– ص 35.

إلاّ أنّ هناك نوع آخر من الأسرة في المدينة يقرؤون الفاتحة يوم الإملاك في بيت الخطيبة.و قراءة الفاتحة تعني التّحليل الشّرعي لعقدة النّكاح أي إنها تضفي عليه طابع الشرعية، فيحلّ للخطيب أن يرى أو أن يخرج مع خطيبته متى يشاء.

3-حفلة الإملاك (الملاك)

هي وليمة عقد النّكاح و يقال لها: وليمة الملاك بكسر الميم، و هو لغة في الإملاك بكسر الهمزة.

قال ابن الجوزي في تقويم اللّسان: العامّة تقول كنّا في ملاك فلان والصّواب إملاك.[1]

و يكون يوم الإملاك عادة يوم الخميس، وذلك لأنّه يوم عطلة يجتمع فيه الأهل والأحباب: القريب و البعيد.

في عشية هذا اليوم، يذهب أهل الخطيب إلى بيت الخطيبة في موكب بهيج، حاملين معهم هدايا كثيرة منها الطّيفور[2]. يملأ بالحنّاء، و هي ضرورية يوم الإملاك لتخضّب بها العروس«يوم الحنّا»، و حرصهم على هذه المادّة يدلّ على ما لها من مكانة مقدّسة في مناسبة الزّفاف (سنتعرّض لهذا بالتفصيل في الفصل الثاني).

كما يجعلون وسط الطّيفور قالبا من السكرّ فهو في اعتقادهم رمز للحلاوة و السّكينة و المودّة (و سنرى هذا أيضا في الفصل الثالث).

---

(1) شمس الدّين محمّد بن عليّ بن طولون الدّمشقي الصّالحي –880–952هـ/1475–1546 فصّ الخواتم فيما قيل في الولائم – تحقيق نزار أباضة – دار الفكر بدمشق – ط1 – 1403هـ/1983م. ص 95.

(2) الطّيفور: سينية كبيرة

الطيفور

ثمّ يؤتي كذلك بـــأطـــبـــاق تملأ بأنواع من الحلويّات التّقليديّة «كالعكعك»، و «القريوش» و «المقروط» و غيرها...

و تصنّف أطباق أخرى بالثمار كاللوز و الكاكاو و التمر. إضافة إلى أشياء أخرى" ككبش (خروف) حيّ، أو الجزء الأسفل منه المسمّى «بتأذينت»، وشمعتان كبيرتان، وقبيبة من الحليب و آنية مملوءة بيضا".[1]

و من اللّوازم الأخرى أيضا المفروضة على الخطيب في هذا اليوم: «الخاتم» و هو العنصر المهمّ و الأساسي في هذا الحفل فـــهـــو رمز لخطبة الفتاة و إشارة لحجزها لكي لا يتقدم آخرون لخطبتها

كما تفرض عليه أيضا «بلوزة المنسوج»، و هي جزء هامّ من المهر؛ تشتهر بها عروس تلمسان. إضافة إلى الأشياء أخرى – وهي مفروضة في المدينة فقط– «كالقفطان»[2] أو «الكركو»[3] أو «القسنطينية»[4].

---

[1] الحاج محمد بن رمضان شاوش– باقة السّوسان في التّعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان – ديوان المطبوعات الجامعيّة – الجزائر –1995– ص 382.

[2] **القفطان :رداء مطرز بالخيط الدهبي'(سندرسه بالتفصيل في الفصل الثاني)**

[3] الكركو: قميص وسروال مطرزان بالفتلة او المجبود

[4] القسنطينية : جبة مطرزة بالخيط الذهبي.

كما يرسل الخطيب لخطيبته أيضا «الصباط» (الحذاء) و «الحايك»[1] لتزفّ بهما إلى بيته يوم العرس مع مجموعة من مساحيق التجميل، و العطور، والصّابون.

وعندما يصلّ موكب السيارات ينزل أهل الخطيب، و تزغرد النّساء ويستقبلهن أهل الخطيبة بالزّغاريد أيضا.

فـــــي وســـــط الدّار، تكون الخطيبة في أبهى حلّة، و أجمل صورة. وتكون عادة لابسة «الرّدا»[2] و هو يعتبر اللّباس الأساسي الذّي يجب على الخطيبة أن ترتديه يوم خطبتها، مع مختلف مجوهرات اللاّزمة التّي تغطي اللّباس كليّا مع تسريحة شعر خاصّة[3] .

الردا

الشاوية

(1) «*الحايك*»: لونه أبيض، يصنع عادة من الحرير و يكون مربعا أو مستطيلا تلبسه المرأة للخروج.

(2) «*الرّدا*»: يعتبر من اللّباس من الألبسة القديمة جدا، بحيث أنه برز في العصر الجاهلي، استعمله العرب الجاهلين وأخذ أشكالا مختلفة. و الرّدا المستعمل في تلمسان عبارة عم ملحفة تشبه كثيرا اللباس الشاوي.(أنظر فاطمة الزهراء صوفي – اللباس التقليدي للعروس في الجزائر من خلال بعض النّماذج – دراسة و صفية فنية – رسالة النيل شهادة الماجستير – مكتبة الثقافة الشعبية – تلمسان –200–2001 ص 56–60.

(3) المرجع نفسه – ص60.

إلا أن حاليا أصبحت الخطيبة تفضل لباس"الشاوية"[1] في هذا اليوم وأصبح يحل محل" الردا".

و فـــي المـــساء يأتي الخطيب و أصدقاؤه إلى بيت الخطيبة و بعد تناول ما لذّ و طاب من الأطعمة و الأشربة يقضون اللّيلة في لهو و غناء و رقص.

و قد جـــرت التّقاليد في منطقة تلمسان في ليلة الإملاك أن يشرب الخاطب خطيبته كأسا من الحليب، و في المقابل تقدّم له هي الأخرى نفس الكأس ليشرب هو منه أيضا.

لـــكـــن الـــسّؤال الذّي يطرح نفسه هنا هو لماذا يشربون الحليب في هذه المناسبة، و ما هي رموز و دلالات الحليب " اللبن" بصفة عامّة؟

للحليب مكانة مقدسة في الكتاب و السنة إذ قال تعالى "وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ" النحل:66.

وفي السنن مرفوعا "من أطعمه الله طعاما، فليقل اللهم، بارك لنا فيه وارزقنا خيرا منه. ومن سقاه الله لبنا، فليقل اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه فاني لا اعلم ما يجزي من الطعام و الشراب إلا اللبن"[2]

والحقيقة أنّ مصدر هذه العادة (شرب الخطيبان الحليب) السنّة النبويّة الشّريفة حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب بن حوشب أن أسماء بنت يزيد بن السّكن إحدى نساء بني عبد الأشهل قالت: إنّي قينت عائشة لرسول الله ﷺ، ثم جئته فدعوته لجلوتها فجاء فجلس إلى جنبها فأتي بعسّ لبن فشرب ثمّ ناولها النبي ﷺ فخفضت رأسها ، و استحيت فقالت أسماء فانتهرتها ، و قلت لها « خذي من

---

[1] الشاوية هو ما يعرف بالردا في اللهجة التلمسانية لكن أدخلت عليه بعض التغيرات منها خياطته وتطريز أطرافه بطريقة فنية جديدة وسمي بهذا الاسم لانه يشبه لباس الشاويات.

[2] ابن. قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله الطب النبوي تحقيق عبد المعطى أمين قلعجي دار الأقصى القاهرة ط15 1990 ص509

يد النبيّ ﷺ، قالت فأخذت فشربت شيئا ثمّ قال لها النبيّ صلى الله عليه وسلم: **أعطي تربك...**»[1].

نفهم ممّا سبق أنّ هذه العادة إسلامية محضة و ليست غريبة و لا دخيلة، و إنّ مبادرة تبادل الخطيبين شرب الحليب من كاس واحدة دليل على أنّهما سيشاركان في حياة واحدة، و يقتسمان حلوها و مرّها، أي أنّهما سيصبحان نفسا واحدة، لقوله تعالى: [هوّ الذّي خلقكم من نفس واحدة، و جعل منها زوجها ليسكن إليها...] سورة الأعراف:181

أمّا بالنّسبة لرموز و دلالات الحليب، فإذا رجعنا إلى الموروث الشّعبي نجد أنّه" كان رمزا للقداسة و القوّة، فهناك نصوص و رسوم توضّح الملك، و هو يرضع من الآلهة فعلى سبيل المثال نجد إيزيس التّي تستقبل الطّقس الرّمزي تشارك الحاكم في القوى المقدّسة، كما تصوّر الرّسوم الأخرى الملك و هو يشرب اللّبن من ضرع البقرة السّماوية.. و غالبا ما كان يوضع وعاءان من اللّبن في المعابد باعتباره قربانا." [2]

كما" يرمز اللّبن إلى الطّهارة بسبب بياض لونه، و على ذلك فإنّه غالبا ما يفسر تقديم اللّبن على هيئة قربان باعتباره طقسا للتّطهير". [3]

نفهم مما سبق، أن هذه العادة (شرب العرسان الحليب) قد تكون أيضا من بقايا و رسوبات العادات القديمة، فالحليب في اعتقادها رمز للطّهارة والنّقاء و الصفاء.لدلك وجب استعماله في مثل هده المناسبات.

---

[1] للتوسّع انظر: الطّيب بن هاشم – العادات و التّقاليد في ولاية تلمسان و علاقتها بالشريعة الإسلامية – ص26.

[2] مانفرد لوركر معجم المعبودات و الرّموز في مصر القديمة –تر: صلاح الدّين رمضان مراجعة الدّكتور محمد ماهر – مكتبة مدبولي – القاهرة – ط1 –200 – ص209.

[3] المرجع نفسه– ص209

و من طقوس هذا الاحتفال أيضا، أن يتبادل الخطيبان أكل التّمر، فالتّمر حلو، والحلاوة رمز للسّعادة و الهناء، كما أنّ استعمال التمر في هده المناسبة يعود أيضا لكونه رمز للصحّة و العافية" فهو يحتوي على نوعين من الأحماض الامينية الأساسية التي لا يستطيع جسم الإنسان صنعها وهي ضرورية لاحتياجاته الفسيولوجية.كما يعتبر من الثمار الغنية بالفيتامينات"[1]

كما تظهر مكانة التمر و قدسيته واضحتين في القران و السنة قال تعالى: "وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا" مريم 25

وقوله أيضا " وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " النحل 67

كما ثبت في الصحيح عنه ﷺ "من تصبح بسبع تمرات، لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر".

وفي ختام هذا الحفل، يقوم الخطيب – أو من ينوب عنه- بوضع خاتم الخطوبة في بنصر اليد اليسرى للخطيبة، و أثناء ذلك يقبّل الخطيب خطيبته وتطلق الزّغاريد، ثمّ تقدّم التّهاني للمخطوبين.

وأخيرا، يوزّع أهل العريس الحلويّات والثّمار على الحاضرين، مع شرب القهوة والشّاي، وبعد ذلك ينصرف الجميع.

و لكن قد يجدر بنا أن نتساءل، متى بدأت عادة تقديم خاتم الخطوبة؟ ومن هو أوّل من وضع هذه العادة؟ و لماذا يضعون خاتم الخطوبة في بنصر اليد اليسرى؟.

---

[1] للتوسع انظر: مليكة بلمنصور- الطب الشعبي النباتي بالغرب الشمالي الجزائري دراسة ميدانية -رسالة دكتوراه مكتبة الثقافة الشعبية تلمسان -2003 2004- ص 169.

" استخدم النّاس –ذكورا و إناثا – خواتم الأصابع منذ أقدم العصور، في جميع بلدان العالم[1] وأول ما عرفت خاتم الخطوبة أو الزّواج في عهد الرّومان. فقد كان من تقاليدهم، أن يقدّم الشابّ إلى خطيبته خاتما من حديد، على سنّ سيف، ثمّ تطوّرت هذه العادة، و استبدل بها الخطيبان قطعة ذهبية أو فضيّة، يحتفظ كلّ منهما بجزء منها، بعد أن يشربا مع المدعويّن «نخبا» في وليمة تقام لهذا الغرض"[2].

"أما «الذّبلة» الذهبية أو الخاتم الذهبي فلم يعرف إلاّ في عهد متأخّر عن العهد الرّوماني بكثير، و مع ذلك ظلّ بعض النّاس يحرصون على تقديم خاتم من حديد كما كان الرّومان يفعلون". [3]

و" المصريّون القدماء، هم أوّل من استعمل الذهب في صنع الخواتم، التّي كانت تقدّم عادة في مناسبات الزّواج".[4]

لقد اتّخذ الخاتم أشكالا عدّة: منها السّاذج الذّي صنع على شكل حلقة من العين، أو من الحشائش المجدولة، و منها الأنواع المعقدّة، التّي اتّخذت أشكال رؤوس الحيوان، أو صورة إنسية، و منها ما ثبت فيها الأحجار الكريمة كالماس أو الياقوت، أو الزّمرد و غيرها. [5]

كما تنوّعت النّقوش و ظهر فنّ نقش اسم الخطيب أو الخطيبة على الخاتم، فكان الصّائغ يتفنّن في رسم تلك الأسماء على خواتم الزّواج و خواتم الخطوبة. « و يعود هذا النّقش إلى العصر العبّاسي، حيث جرت العادة تزيّن فصوص

---

[1] سهيل قاشا– الحلي في وادي الرافدين مجلّة التّراث الشّعبي– العدد الثّالث – ص 138.

[2] احمد إبراهيم السعيد–دبلة الخطوبة و خاتم الزواج––مجلة العربي – العدد 87 –الكويت1966 – ص141

[3] المرجع نفسه – ص141

[4] المرجع نفسه – ص 141

[5] مجلة التراث الشعبي – العدد الثالث – ص 138.

الخواتم بالنقوش، فممّا نقشته جارية على خاتمها «جعفر بن يحي» كـــما نقشت جارية المأمون على خاتمها «حسني»»[1].

أمّـــــــا بالنّســـــبة لرموز الخاتم:

فمنذ أقدم العصور و الناس يلبسون الخواتم للتحلّي و الزّينة. كما أنّها تستخدم رمزا للخطوبة، و علامة للنّفوذ و السّلطان. [2]

كما تستعمل في مناسبة الخطوبة و الزّفاف كونها رمزا للديمومة والاستمرارية. « و ترجع رمزية الخاتم في استدارته، لأنّه بلا بداية أو نهاية، لذلك يعتبر رمزا للأبديّة.»[3] .

و خلاصة القول: إن استعمال الخاتم في الخطوبة و الزّواج أمر جرى عليه العرف و الشّرع" فالتمس و لو خاتما من حديد".هو عنوان على الرّغبة والجدية في الزّواج، و تقديم خطوة أولى للشّروع في الزّواج، و حجز الفتاة حتّى لا يتقدم آخرون لخطبتها.

أما لماذا توضع خاتم الخطوبة في بنصر اليد اليسرى فهناك عدّة تفسيرات قدّمها الباحثون من بينها:

1. هي عادة مترسبة قديمة، عندما كان العريس يضع الخاتم على إبهام العروس اليسرى، و يقول باسم الأب ثمّ ينقله واضعا له على رأس السبابة: و يقول باسم الابن فعلى رأس الوسطى و يقول: باسم روح القدس و أخيرا يضعه في البنصر – حيث يستقر – و يقول: آمين.» [4]

---

[1] مجلة الثرات الشعبي– العدد السابق – ص 138.

[2] مجلة الثرات الشعبي –العدد السابق – ص 138

[3] ما نفرد لوركر – المرجع السابق – ص125

[4] محمد ناصر الدّين الألباني – آداب الزّفاف – المكتب الإسلامي – بيروت – –1989– ص141.

2. وهناك أسطورة قديمة تقول إن هناك عصبا بين بنصر هذه اليد والقلب[1].
3. كما قد ارتبط أيضا كلّ من اليمين و اليسار بالأمور الجنسية كتعبير عن نظام قطبي العالم: فكان الجانب الأيمن يعتبر طيّبا بالنّسبة للرّجال، بينما الجانب الأيسر طيّبا بالنسبة للنّساء[2].

كانت تلك تفسيرات و تعليلات لعادة و ضع الخاتم في بنصر اليد اليسرى، قدّمها الباحثون لكنها كانت كلها تستند على معتقدات من نسج الخيال.

و كنتيجة لكلّ ما سبق نقول إن إقامة حفل الإملاك له أهمية كبيرة و تتمثّل في:

- إعطاء فرصة للخطيبين كي يتعرّف كلّ منهما على الآخر.
- التأكّد من بعض الصّفات التّي لا تظهر للعيان إلاّ من خلال الملاحظة لمدّة زمنية معيّنة« فإذا حدث ما لم يكن في الحسبان فنشأ خلاف، أو اكتشف عدم الانسجام، أو ظهر خداع، أو تظليل، كان في الإمكان التّراجع، و إلغاء الخطبة، من غير أن يكون الطّرفان قد تورّطا في الإجراءات الرّسمية والمالية للزّواج.» [3]

4-الـــزّيارات التفقدية (التفقيدة):

"التّفقيدة" مأخوذة من تفقّد يتفقد أي تذكّر يتذكّر و معناه إعطاء ذكرى، إعطاء هديّة. و قد تطول الفترة الواقعة بين الخطبة و الزّفاف، وقد تقصر فإذا ما طالت تخلّلتها زيارات يقوم بها العريس أو أهله لعروسه حاملا معه بعض الهدايا. و تكون هذه الزّيارات في مناسبات معيّنة مثل«العيد الصّغير»، «العيد الكبير»، «المولد النّبوي»، «النّاير».

---

[1] مجلة العربي – العدد السابق – ص141

[2] مانفرد لوركر – المرجع السّابق – ص 151

[3] إدريس الكتاني –الأسرة المغربية التقليدية – التّراث الشّعبي – العدد الثّالث – ص 115.

و ممّا هو جدير بالذّكر أنّ الخطيب لا يستطيع رؤية خطيبته إلاّ بحضور بعض الأفراد من أهلها، كما هناك البعض من يرفض زيارة الخطيب للخطيبة ويفضّلون أنّ أهله هم من يقومون بهذه المهمّة «ولدى هؤلاء النّاس اعتقاد بأن العروس لابدّ أن تفقد بهجتها إذا ظلت تقابل عريسها طوال فترة الخطوبة، مستندين إلى المثال القائل: «غيب على العين تحلى»[1]

وعلى الرغم من هذا فانّ "التفقيدة" تحتلّ مكانا مرموقا عند الخطيبة، وأهلها، لأنّها تسمح لهم باختبار صفات العائلة الجديدة كتحليهم بالكرم و الجود من خلال ما يقدمونه من هدايا في مختلف المناسبات.

والواقع أنّ "التّفقيدة" ليست مقصورة على سكّان تلمسان دون غيرهم من أبناء المجتمعات العربية، بل موجودة في مجتمعات عربية أخرى ففي مصر مثلا: « العادات تلتزم الخاطب بألا يدخل بيت خطيبته بيد فارغة، بل يجب أن يحضر معه بعض الهدايا، و من أمثلتهم السيارة قولهم: «بعد السلام تفتيش الأكمام.»[2]

كما أنّ عـــادة "التفقيدة" مـــوجودة أيضا عند العائلة التقليدية المغربية، وهي تفرض على الخطيب أن يظلّ على صلة دائمة بخطيبته، ليؤكد لها ولأهلها تعلقه بها و إخلاصه لها، و إن كان لا يراها، و لم يرها حتى الآن، و هو يعبر عن ذلك بأقمشة، أو قطع من الحليّ، يقدمها لها في مناسبات الأعياد، و تسمىّ هذه الهدايا التّذكارية باللّهجة العامية (التفكيرة) [3].

---

[1] هاني العمد –المأثورات الشعبية الخاصة بتقاليد الأسرة و احتفالاتها– مجموعة من الكتاب – حلقة العناصر المشتركة في المأثورات الشعبية في الوطن العربي– القاهرة – 1971 – ص 152.

[2] فوزية دياب – القيم و العادات الاجتماعية – ص 278

[3] التراث الشعبي – العدد السابق ص 114.

نستنتج من كل ما سبق إن الهدف من الهدية إعلام النّاس بأنّ الخاطب يقوم بواجبه خير قيام، و أنّه قادر على القيام بالمسؤولية فيما بعد، و أنّه جدير بأن يناسب أســـــــرة الفتاة التّي خطبها.

كما تحتل الهدية مركزا ثقافيا نفسيا اجتماعيا هامًا. فهي رمز لتوطيد العلاقات العائلية و الزوجيّة، و قد أقر هذا النبيّ ﷺ في السنّة الشريفة فيقول: « **تهادوا تحابّوا**.»[1]

إلاّ أنّ هذه العادة نتج عنها بعض السّلبيات (المساوئ) و أهمّها: أنّ الهدية أصبحت تحمل في ذاتها شيئا من القلق و التوتر، بالنسبة للأسرة الفقيرة، التّي لا تقوى على تقديمها، خاصة و أنّ الطّمع و الجشع أصبحا يطفوان على نفوس بعض النّاس بحيث أصبحوا لا يقنعون بالأشياء البسيطة كقطعة قماش أو زجاجة العطر، أو شيء من هذا القبيل بل يتطلّبون هدايا ثمينة كعقد أو سلسلة ذهبية أو خاتم من النّوع الرّفيع، و ذلك من أجل التّباهي و التّفاخر أمام الأهل و الأحباب.

كما أدّت هذه الظّاهرة إلى نوع من التكلف ممّا جعل العائلات الفقيرة يلجئون إلى الاقتراض و سلف الأموال لتقديم ما يقدّمه الآخرون (الأغنياء) في مثل هذه المناسبات في العصر الحالي.

5-عقد القران:

قبل الزّفاف ببضعة أيّام، يقع القران بالمحكمة الشرعية، و لابد من حضور الزوج و الزوجة و الوليّ و شاهدين عدليين طبقا لقول الرّسول الله ﷺ:

---

[1] أخرجه الإمام مالك في الموطأ و البيهقي في السنن (أنظر – عكاشة عبد المنان الطيبي– الزواج المثالي – دار رحاب للنشر و الفنون المطبعية – الجزائر – ص 67.)

« **لا نكاح إلاّ بوليّ و شاهدي عدل.**»[1]مع التنصيص على قدر المهر الذي اتفقا عليه.

و لا يمكن إثبات الزّواج، أو إعطائه الصفّة الرسمية إلاّ بعد اللّجوء إلى المحكمة، و إقامة عقد يتمّ تحريره أمام ضابط الحالة المدنية بالبلدية أو الموثق.

[1] البيهقي – المرجع السّابق – ص 328.

الفصل الثاني: الزفاف

المبحث الأول: يوم الحنة

1. الحنة الصغيرة

2. الحنة الكبيرة

3. طقوس و مراسيم ربط الحنة

المبحث الثاني: الزفاف في المدينة

1. لباس العروس (القفطان)

2. وصف الاحتفال

المبحث الثالث: الزفاف في الريف

1. طريقة تهييء و تزيين العروس

2. وصف الاحتفال

المبحث الرابع: يوم الصباحية (السابع)

1. تعريف الصباحية

2. رموز الهدية

3. وظائف الخزام

4. طقوس لبس الخزام و أسباب استعماله في هذا اليوم

المبحث الخامس: يوم الحمام

1. تعريف يوم الحمام

2. الألبسة الخاصة بالحمام

3. رموز و دلالات الاستحمام

لكل ثقافة "أسلوب"معين يعبر عن نفسه عبر اللسان و المعتقدات و العادات و الفن أيضا، مثالا لا حصرا الخ. يؤثر هذا الأسلوب الخاص بكل ثقافة في تصرفات الأفراد.[1]

و يمكن اعتبار سلوك الناس في المجتمع بمثابة النتيجة و السبب لمجموع العلاقات التي تجمع بين الأخلاقيات و الأعراف و التقاليد و الطقوس والشعائر، و لمجموع المؤسسات و الروابط التي تكون بنية المجتمع. و ثقافة الجماعة بالتالي هي الطريقة أو الطرق التي تضبط فيها مجموع الأنشطة و الأفكار تميزها عن سواها معايير محددة في السلوك و التفكير و الأداء. [2]

و الاحتفالات cérémonies هي أنماط سلوكية شعبية، على المستوى الشكلي، تؤدى بهدف إبراز القيمة المعنوية الاستثنائية لعمل ما مثل احتفالات الزواج [3] إن الاحتفال بالزفاف يحمل في ثناياه شعائر و طقوسا و رموزا تؤثر في الأفراد فتجعلهم يتجاوبون عاطفيا مع ما تتضمنه من أفكار و ما تثيره من صور ذهنية. فهي فرصة للتقارب و التماسك الاجتماعي من جهة و فرصة لإثبات الذات الجماعية و إثبات الهوية الثقافية

---

[1] دنيس كوش– المرجع السّابق – ص 41

[2] ف.ج رايت–مبادئ علم الاجتماع–ترجمة محمد شيا مكتبة مدبولي القاهرة– –ص 62

[3] المرجع نفسه–ص 58

المبحث الأول : يوم الحنة

الزواج نظام عالمي عرفته البشرية منذ أقدم العصور، و في كل الأنحاء و من عناصره عملية الإشهار، و إعلام الآخرين، بأن رابطة الزواج قد ربطت بين رجل معين و امرأة معينة.

و هما أحد الشروط الأساسية في ديننا الإسلامي [1] إذ يقول رسول الله ﷺ: " **أعلنوا النكاح واجعلوه في المساجد** " [2].

و غالبا ما يكون يوم الاحتفال: هو يوم الأربعاء، الذي يأتي فيه المعازيم عند العروس، و يسمى هذا اليوم بيوم الحناء(الوشي). و سميت بهذا الاسم لأنها ليلة تسبق مباشرة يوم الزفاف، و فيها تخضب يدي العروس و رجليها في بيت أهلها، كما يحتفل به العريس أيضا، و فيه يخضب هو كذلك.

و لكن و نحن نتطرق إلى مناسبة الحناء يجدر بنا أن نشير إلى نوعين من الحناء:

1- الحنة الصغيرة:

و هو يوم تحتفل به المرأة كما يحتفل به الرجل أيضا. إلا أن ما هو جدير بالذكر أن مراسيم الحنة في الريف تختلف عن مراسيم الحنة في المدينة. حيث أن في الريف فإن العريس هو من يتكلف بمصاريف " حفلة حنة العروس". ففي يوم الحنة الصغيرة (الثلاثاء) يذهب أهل العريس في موكب بهيج إلى منزل العروس حاملين معهم هدايا كثيرة و تسمى " بالهدية" أو

---

[1] الوحيشي أحمد البيري- الأسرة و الزواج- مقدمة في علم الاجتماع العائلي- الجامعة المفتوحة طرابلس- الجماهرية العظمى 1988- ص311.

[2] أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم التجاني- تحفة العروس و نزهة النفوس- مكتبة الثرات الإسلامي القاهرة- ص92.

"الدفوع" و تتمثل في : "كبش"، الخضر و الفواكه " الزبيب" أو " الزيتون"، الزيت و السكر.كما يعطون لأم العروس أيضا مبلغا من المال لشراء الخبز.

أما في المدينة، فلا نجد هذه العادة بحيث أن أب العروس هو الذي يتكلف بكل متطلبات و مستلزمات هذا الحفل.

في هذا اليوم " الحنة الصغيرة " توجه الدعوة إلى الأقارب و الجيران فقط، و تقدم فيه مأدبة عشاء يصحبها الغناء و الرقص طيلة هذا الليل، مع تخضيب العروس في بيت أهلها، و تخضيب العريس في بيت أهله[1].

إلا أن ما نلاحظه اليوم – خاصة في المدينة– لم يعد يحتفل بهذا اليوم، فتقلصت أيام الزفاف فبعدما كان. يدوم أسبوعا أصبح يقام في يوم أو يومين فقط. و قد يرجع السبب لغلاء المعيشة، و استقلال الأسرة (أي من ممتدة إلى نووية)، و ارتفاع تكاليف الزواج.

2-الحنة الكبيرة:

جرت العادة أن تبدأ الاحتفالات عند المسلمين قبل يومي الاثنين أو الجمعة بثلاثة أيام، اعتقادا منهم بان يومي الجمعة و الاثنين قد اختصا دون بقية أيام الأسبوع بالبركة و حسن التوفيق و السعادة [2].

تقام الحفلة (الحنة الكبيرة) يوم الأربعاء الذي يسبق مباشرة يوم الزفاف (الخميس)، و هو يوم عطلة يتيح للعائلات البعيدة الالتحاق بذويهم، و أقاربهم ليشاركوهم فرحتهم في الاحتفال بالزفاف. " فهي مناسبة تظهر فيها المشاركة الوجدانية الحقة، كما يتضح التعاون والتضامن بكل معانيهما و أشكالهما[3]. كما

---

[1] في الريف يخضب العروسين مرتين: مرة يوم " الحنة الصغيرة" و مرة أخرى في يوم الحنة الكبيرة.

[2] هاني العمد–حلقة العناصر المشتركة في الماثورات الشعبية في الوطن العربي– ص153

[3].المرجع نفسه– ص154

اختير هذا اليوم بالذات " لأنه وصف أحيانا بأنه " أنيس " و ذلك لاعتقاد بحسن فأله" [1].

تبدأ الحفلة باستقبال المدعوين إلى بيت العروس، حيث تقام سهرة في جو موسيقي، عن طريق الجهاز الأسطواني، ترافقها رقصات متتالية و متنوعة بتنوع الأغاني، تتخللها الزغاريد المتعالية (الولاول)، ثم تقام مأدبة عشاء للحاضرين و المدعوين، و التي تتمثل عادة في الحريرة، اللحم المحمر "بالبرقوق أو الزبيب" مع " اللوز المقلي "، تتلوها بعض الفواكه و المشروبات. و هذه المأكولات تقدم في المدينة خاصة. أما في الريف فكثيرا ما يقدمون "الشربة" و " الزيتون" أو " اللوبية الخضراء".

و يتواصل الحفل، سواء في الريف أو المدينة، إلى ساعة متأخرة من الليل، مع شرب الشاي، و تناول بعض الحلويات، و بعد ذلك تخضب العروس.

و إذا ذهبنا إلى بيت العريس في ليلة الحناء، نجد الأمور تسير بنفس النظام تقريبا، و يستمر الزفاف إلى يوم غد.

3- طقوس ربط الحناء:

جرت العادة في منطقة تلمسان سواء في الريف أو في المدينة، أن تقوم الأم أو الأخت بتخليط حنة العروس أو العريس، بقليل من الماء الفاتر، ثم تضيف إليها كمية قليلة من السكر، و عند الانتهاء من تخليطها تضع وسطها قطعة من الذهب و تكون لويزة عادة. لكن الذي قد نتساءل عنه لماذا يستعمل السكر و الذهب (اللويزة) في الحنة العروس أو العريس؟

قد يعود استعمال السكر حسب الاعتقاد، لكونه رمز للحلاوة و السكينة والفوز في مجالات الحياة. و هذا ما أشار إليه بن مشرنن نور الدين في بحثه فيقول: " و استعمال السكر في هذه الممارسات الشعبية المرتبطة بالزواج معناه

---

[1] نينا جميل- الطعام في الثقافة العربية -نيسان- ط1-1994- ص129.

أن الناس يريدون أن يعيش الزوجان عيشة سعيدة، قوامها الحب و المودة بين الزوج و زوجته"[1] (سنرى هذا في الفصل الثالث).

أما الذهب فهو إشارة إلى الطهارة و النقاء، و علو المكانة، و ذلك لقيمته الجمالية و النقدية. و اقتصارهم على "اللويزة" خاصة دلالة على أنها ستظل كاللويزة في قلب زوجها عند دخولها إلى بيته"[2]. (سنتعرض إلى رموز الذهب في الفصل اللاحق).

و من طقوس هذا الاحتفال أيضا، بعد عجن الحناء، تشرع فتاة يانعة الشباب (إحدى قريباتها)، أو امرأة متزوجة سعيدة في زواجها لتقوم بعملية التخضيب. و اختيار المرأة غير المطلقة فأل خير، أما المطلقة فيتشائم منها.

و نفس الاعتقاد يجري في الوطن العربي عامة، تقدم الحناء امرأة متزوجة، و يشترط فيها أن يكون زوجها لا يزال على قيد الحياة، و غير مفجوعة بولد من أولادها، اعتقادا منهم بالحظ و البخت[3].

فتقوم تلك المرأة بربط الحناء على يدي المرأة و رجليها بطريقة كلاسيكية بسيطة.إلا أن حاليا، و خاصة في المدن، أصبحت امرأة محترفة في فن الرسم والزخرفة هي التي تقوم بهذه المهمة، فتشكل رسومات هندسية و نباتية على يدي العروس[4]، وهي صورة رائعة و جذابة.

---

[1] بن مشرنن نور الدين– عادات الزواج و الإنجاب في تلمسان– ص49.

[2] المرجع نفسه–ص55.

[3] هاني العمد–المرجع السابق– ص155.

[4] للتوسع أنظر: OUGOUAG Kezzal- les cérémonies du mariage à Tlemcen – Algérie – ly by ca- tome sxxxxxxi 1982- 1983- p284.

ربط الحناء بطريقة فنية مزخرفة

و أثناء ربط الحنة، تحمل فتاتان صغيرتان شمعتين كبيرتين، و استعمال الشموع هنا إشارة للضوء و النور، كما انه" رمز للطهارة و النقاء لأنه يطرد الظلام، و على ذلك فإنه يتفادى القوى الشريرة" [1].

ومن مراسيم هذا الاحتفال أيضا، أن تردد النساء المقولة التالية:" الصلاة و السلام على رسول الله إلا إلا جا سدنا محمد الله معا العالي" ثم تسكت وتنطلق الزغاريد، بعدها تغني المخضبة أغنية شعبية مشهورة في المنطقة فتقول:

حليمة سابغ لنجار* يـــا لـــي هلكتلـــي غوانـــي**

حليمة سابغ لنجار * والزايخة ترضى على البراني**

و بعد ذلك تزغرد النساء، و بعد الانتهاء، تضع يديها المخضبتين في قفازين من الساتان (satin) ذي لون وردي أو أبيض.

أما ما تبقى في الصحن من حناء العروس، فتخضب به جميع الفتيات العازبات (العواتق)، لأن حنة العروس رمز للفأل و جلب الحظ السعيد في الاعتقاد السائد.

---

[1] مانفرد لوركر- المرجع السابق- ص175.

إلا أن ما يلفت الانتباه، بعد الانتهاء من عملية التخضيب تقوم أم العروس أو أختها بغسل الصحن مباشرة، لأن في اعتقادهن عدم غسل الصحن قد يعرض العروس لعملية "التقاف" [1].

إن الاهتمام بغسل الصحن مباشرة بعد التخضيب طقس وقائي يحمي العروس من التعرض لعملية " التقاف" في اعتقاد أهالي منطقة تلمسان.

أما بالنسبة لتخضيب العريس، فإن الأمور تجري بنفس الطريقة التي تتم لتخضيب العروس. إلا أن ما هو جدير بالذكر أن تخضيب يد العريس تكون بطريقة بسيطة، و بكمية قليلة، إذ تكتفي المخضبة بوضع قليلا من الحناء في راحته، و التي تترك أثرها القاني الجميل بعد ساعات قليلة.

بعد ذلك تكمل العملية بتخضيب زملائه و أقاربه غير المتزوجيين (العزاب)، و هذا في اعتقادهم رمز للفأل، زيادة على أنها (البقعة الحمراء) "رمز" يدل على مشاركة العريس في هذه المناسبة" [2].

و من طقوس ربط الحناء أيضا أن يقدم العريس و زملاؤه المخضبون مبلغا من المال للفتاة التي خضبتهم، و هي عادة غير مقتصرة على المجتمع الجزائري فحسب بل موجودة أيضا في مجتمعات عربية أخرى. " ففي اليمن يطرح العريس و مرافقوه من ذويه المقربين بعض النقود في ليلة الحناء، ويسمى (اللجن)، و يكون ما يحصل عليه من مبالغ من جراء ذلك من نصيب النساء المحنيات و المغنيات القائمات بالاحتفال بالمناسبة و حناء العروس" [3].

---

[1] التقاف: عملية سحرية أي الربيط (سنرى هذا بالتفصيل في الفصل الثالث).

[2] فوزية دياب- المرجع السابق- ص290.

[3] سعود بن سالم العنسي-العادات العمانية- وزارة التراث القومي و الثقافة - سلطنة عمان- ط1- 1991- ص 113.

المبحث الثاني : الزفاف في المدينة (تلمسان)

تختلف طريقة الاحتفال بالزفاف من المدينة إلى الريف في بعض العادات كاللباس، المأكولات الخاصة بالعرس، والموسيقى و الغناء.

1-لباس العروس (القفطان):

***مفهوم اللباس و وظائفه:**

اللباس مقوم من مقومات شخصية الأمة فهو يميزها عن غيرها من الأمم ليطبعها بطابع خاص تنعكس عليه جميع ملامحها و خصائصها الاجتماعية والأخلاقية و العقائدية و الحضارية بصفة عامة. و"لا يكتفي الإنسان بأن يكون ملبسه مجرد وقاية له من الحر و البرد على حد سواء، بل إنه يتطلب الجمال فيما يلبسه[1]. و هي – أي الملابس– ليست وظيفة أو عنصرا جماليا فقط ، بل إنها ترتبط باعتيادات المجتمع، قبل أن تكون وظيفة أو قالبا جماليا"[2].

و" ليست الزينة في مفهومها العام قاصرة على الوظيفة الجمالية، فهي إلى جانب ذلك تقوم بوظيفة رمزية" [3]. فتزين العروس في تلمسان (اللباس والحلي) صورة ناطقة بعادات و تقاليد و أصالة هذه المدينة. فبمجرد أن نسمع كلمة الشدة [4] و القفطان نتذكر العروس التلمسانية فهذا الزي يرمز لتاريخ تلمسان، " و عن طريق كل ثوب بما فيه التوابع التزيينية التي تصحبه تبنى أول مرحلة في التعرف الاجتماعي..."[5] .

و" اللباس يرمز إلى هوية الفرد، و تعتبر الهوية معطى يعرف الفرد بصفة عامة نهائية و يطبعه بصفة تكاد لا تمحي. من هذا المنظور تحيل الهوية

---

[1] علي عبد المعطي محمد– جماليات الفن المناهج و المذاهب و النظريات– ص23.

[2] محمد رياض– المرجع السابق– ص362.

[3] المرجع نفسه– ص365.

[4] الشدة: مأخوذة من شد يشد، و هي أن نشد كل الحلي التي تحمل شريطا على رأس العروس.

[5] سعدي صناوي– مدخل إلى علم اجتماع الأدب– دار الفكر العربي– بيروت– ط1– 1994– ص209.

الثقافية، بالظروف إلى مجموعة انتماء الفرد الأصلية. يكون الأصل و"الجذور" بحسب الصورة الاعتيادية، على أساس كل هوية ثقافية، أي ما يعرف الفرد بصفة أكيدة و أصيلة. هذا التمثل شبه الوراثي للهوية و الذي يؤدي دور الحامل لاديولوجيات التجذير يؤول إلى "تطبيع" الانتماء الثقافي. [1]

نستنتج مما سبق أن اللباس حامل رسالة للآخر، والمظهر الخارجي للفرد عنوان على ذاته من حيث انتمائه إلى شعب دون الآخر وإلى طبقة دون الأخرى. واللباس يمكننا من قراءة الإنسان باعتبار أن المظهر الجسدي له صلة وثيقة بالشخصية وبأصلها. كما انه يعكس الجمال و الأناقة في المظهر وتصبح الثياب جزءا من صورة الجسد.

و نحن نتكلم عن اللباس نخص بالذكر اللباس التقليدي التلمساني و هو ما يعرف بالقفطان. و القفطان جزء هام من مهر العروس التلمسانية و هو أفخم وأجمل لباس تتزين به ليلة زفافها، و تزف به إلى بيت زوجها لكن ما يتبادر إلى ذهننا هو ما أصل هذا اللباس؟ و كيف وصل إلينا؟ و هل لا يزال محافظا على مكانته في الأفراح و الأعراس؟

*أصله:

القفطان كلمة فارسية أصلها خفتان بمعنى الثوب الذي يلبس تحت الذرع في الحرب و قد تحولت تسميته إلى قفطان بعد الفتح العثماني لمصر، و هو رداء خارجي يلبس فوق اليلك و تحت الجبة، و كان استعماله مقصورا على الرجال، و هو مفتوح من الأمام حتى نهاية الذيل. و له كمان قصيران قد يتدليا حتى يصلا إلى القدمين، و ليس له ياقة، حيث أن التركي مكشوف الرقبة على

[1] دنيس كوش- المرجع السابق-ص149

الدوام، و هو على ألوان شتى، فالأغنياء يتخذونه من الحرير الموشى بالخيوط الذهبية، أو من الأطلس أو القطيفة [1].

كما كان يلبسه الأمراء و الخلفاء العباسيون و"عرفت الدولة العباسية بالتفنن في الصناعات الجميلة من أنواع الحلي و الدقة في النسيج، و زركشة الثياب و أصناف الأزياء [2]

كما عرفت مصر منذ القديم هذا اللباس، إلا أنه لم يكن يعرف بالقفطان. فقد ارتدين نساء مصر، ثوبا أشبه كثيرا بقفاطين الرجال، و لكن اسمه لم يكن قفطان، بل كان يسمى " يلكا" " Yelek" [3].

ونجده أيضا في سوريا و لبنان حيث تلبسه المرأة البدوية مع سروال،ويكون مطرزا و مفتوحا لإظهار اللباس الداخلي[4].

و تعرف المغرب أيضا هذا اللباس، و يلبسه الرجال و النساء، إلا أن قفطان المرأة المغربية طويل و له كمان عريضان و مطرز و عليه زخارف مذهبة[5].

*طرز وزخرفة القفطان:

التطريز هو زخرفة القماش بعد أن يتم نسجه بواسطة إبرة الخياطة المصنوعة من العظم أو العاج أو المعدن، و ذلك بخيوط من الحرير المختلف الألوان، أو بخيوط معدنية من الذهب أو الفضة. وغالبا ما تكون مادة خيوط

---

(1) عائشة عبد العزيز التهامي–النسيج في العالم الإسلامي منذ القرن (8– 11هـ/ 14– 17م) دراسة أثرية فنية– دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر– الإسكندرية– ط1– 2003– ص231.

(2) حنا الفاخوري–الموجز في الأدب العربي و تاريخه– المجلد الثاني –الأدب المولد–دار الجيل بيروت–الطبعة الثالثة–2003–ص36

(3) عائشة عبد العزيز التهامي– المرجع السابق– ص231.

(4) R Dozy- Dictionnaire des vetements chez les arabes—librairie du liban-amesterdam-1845-p-163

(5) مجلة التراث الشعبي– العدد الثاني– بغداد –السنة العاشرة– 1979– ص64.

التطريز أغلى من مادة المصنوع، منها التي يستخدم فيها التطريز. و قد زخرف هذا القفطان، بزهور من القرنفل بألوان حمراء تملأ مساحة القفطان كله بشكل مرتب و منظم. أما الثراء الفني فيظهر في زخرفة الحواف و الجانبين، و كذلك الرقبة والصدر حتى نهاية الذيل، و أيضا على حافتي الكمين[1].

و كانت زخرفة القفطان في ذلك الوقت ذات تصميمات و رسومات أصلية قديمة، فيها مزج بين الزخارف النباتية، و صور الحيوانات[2].

و قد تأثر الأتراك بالأوربيين في الطرز و الزخرفة في القرن التاسع الهجري/15م، فظهور عنصر جديد في زخرفة المنسوجات التركية و خاصة المخيملة، يشبه التاج و هو ذو تأثير إيطالي خالص[3].

كما تأثروا أيضا في زخارفهم بالمصريين، لأن مصر عرفت تطريز المنسوجات، في عصورها التاريخية المختلفة بدأا بمنسوجات العصر الفرعوني، فالعصر الروماني حتى أوائل العصر الإسلامي، ففن التطريز ذو أصالة مصرية، و ليست صناعة أجنبية مستوردة[4].

و تأثر الأتراك أيضا بالإيرانيين، فقد نقل ناسجو الأقمشة الإيرانية أسلوبهم الزخرفي، على رسوم المنسوجات التركية، مما أدى إلى امتزاج العناصر الزخرفية في الفنون التركية، فظهرت زهرة اللوتس، و الإكنتس، بالإضافة إلى زهرة القرنفل...و بالرغم من ذلك، فإن الأنسجة التركية كانت ذات أسلوب خاص بها، ومميز لها[5].

---

(1) عائشة عبد العزيز التهامي- المرجع السابق-ص238.

(2) المرجع نفسه- ص 238.

(3) المرجع نفسه- ص 333.

(4) المرجع نفسه – 128.

(5) المرجع نفسه -ص332.

ومهما تأثر الأتراك بغيرهم في فن التطريز والزخرفة، إلا أن القفطان يبقى ذا أصل تركي عريق، أضفى عليه الفنان التركي ثراءا فنيا وماديا، جعله يتميز بالأناقة ويصلح للمناسبات السارة.

وأكبر دليل على أصالة هذا اللباس، ما يزخر به متحف " Topkapi " في اسطنبول من قفاطين متنوعة تنسب إلى سلاطين الدولة العثمانية في أزهى عصورها وأوج مجدها وقد شاهدت تلك القفاطين من خلال زيارتي لمتحف "Topkapi"، و لكن تعذر علي تصويرها لان آلة التصوير ممنوعة داخل المتحف، و لكن لحسن الحظ وجدت نفس تلك الصور في مرجع لربيع حامد خليفة "الفنون الإسلامية في العصر الإسلامي" و أخذتها منه لأبين أن القفطان أصله تركي، وأول من لبسه هم السلاطين العثمانيون. كمحمد الفاتح[1]، بايزيد الثاني[2]، سليم الأول[3]، سليمان القانوني[4]، سليم الثاني[5] مراد الرابع[6]،احمد الرابع[6]،احمد الثالث[7]، وغيرهم.

---

[1] محمد الفاتح 1492 1481. سلطان عثماني 1444 1446و1451 فتح القسطنطينية 1453 و قضى على دولة طرابزندة احتل الجزر الايونية(انظر مجموعة من الباحثين- منجد اللغة و الإعلام -دارالمشرق- بيروت -1986 ص307)

[2] بايزيد الثاني سلطان عثماني (1481 1512) خلعه الانكشارية (المرجع نفسه ص 111)

[3] سليم الأول تاسع السلاطين العثمانيين 1512 1520 قضى على دولة المماليك في موقعة مرج دابق 1516 و فتح سوريا و مصر(المرجع نفسه ص 307)

[4] سليمان القانوني عاشر السلاطين العثمانيين و اعزهم 1520 1566 لقبه الاتراك بالقانوني و الافرنج بالعظيم، خلف اباه سليم 1 و واصل فتوحاته في بلقان (المرجع نفسه ص 307

[5] اسليم الثاني سلطان عثماني 1566 1574 انهزم في ليبانت (المرجع نفسه ص 307)

[6] مراد الرابع(نحو 1609 1640) سلطان عثماني 1623 1640. انتزع بغداد من الفرس 1638.(المرجع نفسه ص 527)

[7] احمد الثالث سلطان عثماني 1703 1730 خلف شقيقه مصطفى 2 حارب ايران و النمسا و روسيا خلعه الانكشارية الانكشارية (المرجع نفسه، ص28)

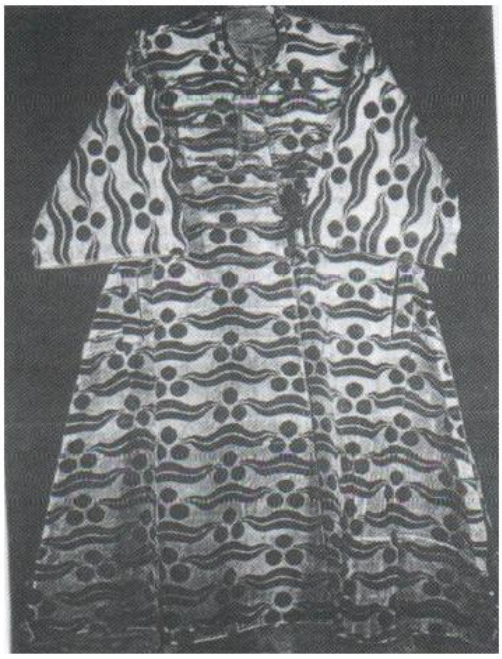

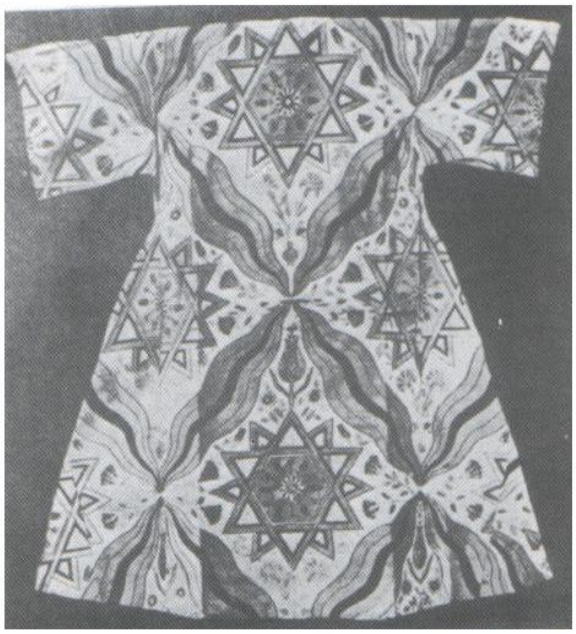

قفطان من القطيفه يخص السلطان محمد

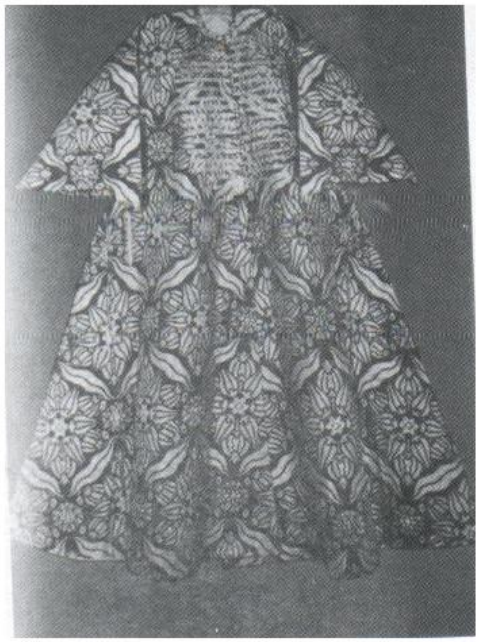

قفطان من القطيفه يخص السلطان محمد الفاتح

قفطان من نسيج السرنك يخص السلطان بايزيد

قفطان من نسيج السرنك يخص سليم الاول

قفطان من نسيج السراسر يخص السلطان سليمان القانوني

قفطان من الحرير يخص سليم الثاني

قفطان من نسيج السراسر يخص سليم الثاني

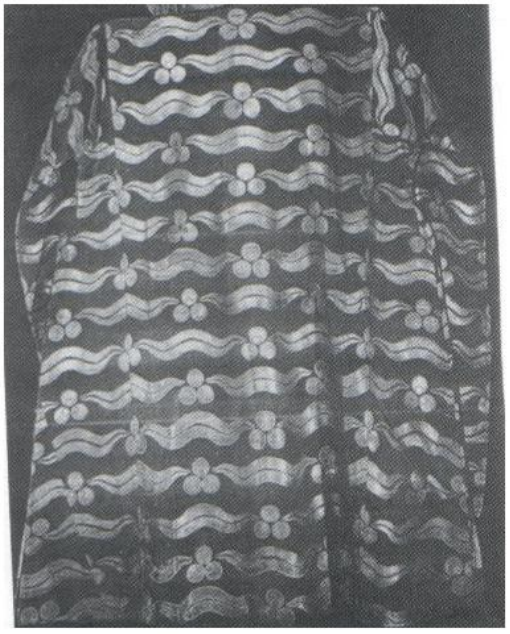

قفطان من الحرير يخص السلطان مراد الرابع

قفطان من الحرير يخص السلطان احمد الثالث

*كيفية وصول القفطان إلى الجزائر:

بعدما تعرضنا لأصل القفطان وزخرفته، يجدر بنا أن نبين كيف وصل إلينا هذا اللباس، واستقر بالمدن الجزائرية كتلمسان مثلا.

لقد كانت الجزائر عامة و تلمسان خاصة ملتقى لحضارات متنوعة وافدة عن طريق الغزو، الفتح، التجارة،أو عن طريق الحروب و الغزوات. هذا التعاقب الحضاري يعني في الوقت نفسه تداخلا بين جميع هذه المراحل التاريخية و يعني احتفاظا بعناصر قديمة تصاغ صياغة جديدة، فتحدث عملية تأثير و تأثر نظرا لاحتكاك الثقافات.

لقد تركت الحضارات التي مرت بتلمسان كالعباسية الأندلسية و التركية بصماتها على جميع عناصر الثقافة ومنها "اللباس"

عندما حل الأتراك العثمانيون ببلادنا في القرن العاشر الهجري طابت لهم الإقامة فيها، فعملوا على نشر عاداتهم وتقاليدهم في الحياة الاجتماعية[1] حتى أن البعض تزوجوا من نسائها، فنشروا ثقافتهم، ولا سيما ملابسهم التقليدية، وجل الألبسة التركية استطاعت أن تؤثر وبشدة في ذوق المرأة الجزائرية. فبعدما كان القفطان يلبسه الرجال أصبحت تلبسه النساء أيضا إلا أن المرأة الجزائرية أضفت على هذا اللباس ذوقها الخاص وموهبتها الخاصة في صياغة تلك الأشكال الهندسية والنباتية بأسلوب خاص جميل، يتماشى وعاداتها وتقاليدها..إلا إن ما تجب الإشارة إليه هو ان حتى الأتراك تأثروا بالعرب واقتبسوا منهم –بفعل الدين الإسلامي – كافة العادات و التقاليد و عادات الزواج من حيث الاختيار والخطبة وحفلات العرس[2]. وهذا ما يسمى" بالتثاقف أو

---

(1) الطمار محمد بن عمرو–تلمسان عبر العصور و دورها في سياسة حضارة الجزائر–المؤسسة الوطنية للكتاب–الجزائر–1984–ص259

(2) ابراهيم الدقوقي–تأثير الفلكلورالعربي في الفلكلور التركي–الثرات الشعبي–العدد الرابع المركز الفلكلوري في وزارة الإعلام–السنة الثامنة–بغداد 1977–ص92

المثاقفة". إن الاتصال و الاحتكاك بين الشعوب يؤدي إلى عملية انتشار بعض المكونات و الخصائص الحضارية سواء كان ذلك الاتصال بالرحلات التجارية أو بالكشوف أو بالحروب والاستعمار[1].

*وصف قفطان العروس التلمسانية:

يعتبر القفطان اللباس الأساسي في جهاز كل عروس في مدينة تلمسان، وهو عبارة عن جبة تشبه إلى حد كبير لباس الكاهن، يبلغ طول القفطان حوالي واحد متر، وغالبا ما يصنع من القطيفة، يكون هذا اللباس مفتوحا من الأمام، وذلك لإظهار اللباس الداخلي، وهو يحتوي على ثلاثة أزرار على الأكثر، وتكون على شكل كويرات من التال [2].

يزخرف القفطان كليا برسومات على شكل نباتات وأزهار مختلفة، وأشكال هندسية رائعة، تطرز بالتال، يشمل هذا الطرز القفطان من الأمام بالخصوص من الأعلى حتى الأسفل، لكي يكون خفيفا جدا في الظهر، كما يزخرف الجانبين العلويين الأماميين برسم خلاب، ويسمى "بـــالبزايم"[3]وتطرزان كليا "بالمجبود"[4]، تحتويان على" كويرات تسمى بـــالشمامات[5]" [6].

وعند اتصالنا بصناع هذا اللباس (طرز القفطان)، أكدوا لنا أن أول من اشتغل هذه الصنعة(المجبود و الفتلة)في تلمسان،هم اليهود الذين وفدوا من

---

[1]عيسى الشماس –مدخل الى علم الانسان "الانتربولوجيا–من منشورات اتحاد الكتاب العرب–دمشق–2004–ص 146

[2] التال: خيط ذهبي مفتول ويسمى بالفتلة أيضا تزخرف به الأقمشة وخاصة القطيفة.

[3] " البزايم " رسم يطرز بالخيط الذهبي (المجبود)

[4] المجبود: الخيط الذهبي.

[5] الشمامات: كويرات من الخيط الذهبي

[6] للتوسع انظر: صوفي فاطمة الزهراء–المخطوط السابق– ص 69.

الأندلس. "لقد كان لوجود الأندلسيين بالمنطقة الأثر الكبير فقد عملوا على غرس ثقافتهم و استقرارها في أوساط المسلمين من عادات و تقاليد إلى آداب وفنون[1]"

لكن ونحن نتحدث عن الزخرفة فما هي رموز و دلالات تلك الأشكال التي يحملها القفطان التلمساني

قفطان عروس تلمسان

قبل الإجابة على هذا السؤال يجب أولا تعريف الرمز

تعريفه: انه شيء يذكر بشيء آخر، أو يأخذ مكانه [2] أي هو ذلك الذي يتعدى معناه المباشر أو هو كلمة قد تمثل معاني أخرى ابعد من المعنى الحرفي لها .

---

[1] محمد بن عمرو الطمار– المرجع السابق –ص221

[2] سعدي صناوي المرجع السابق ص201 (نقلا عن guy rocher-introduction à la sociologie générale tome 1 laction sociale p 98

إن كل مجتمع رمزي، يتجلى بنسق قيمه، بمثله و بأساطيره انه المكان الذي تتلاقى فيه شبكة الرموز بما تدل عليه من الأشياء و الكميات و سلسلة الرغبات و الأحلام و المشاريع الإنسانية [1]

و إن تنشئة الرمز في كل مرحلة تاريخية تبنى على قدرة أعضاء المجتمع على خلق عدد من تصورات روحانية جديدة على الأصول الحضارية للمعتقدات الدينية المصاحبة لها. لذلك فان دراسة الرمز يعني في الوقت ذاته دراسة الخيال الذي يسبقه بناء الرمز و تشكيله [2].

لقد صاغت المرأة التلمسانية أو الفنان الشعبي بصفة عامة أشكال هندسية و نباتية بطابع خاص يتماشى و عاداتها و اعتقاداتها. إن تلك الأشكال والرسومات التي تتجه ناحية الرمزية قد رسمت بطريقة تقليدية متعارف عليها لا تتغير يرمز بها إلى أشياء يعتقد فيها أنها نافعة جالبة للخير دافعة للشر "كالخامسة مثلا والتي يزخرف بها ظهر القفطان. إضافة إلى أشكال أخرى كنباتات السنابل التي يطرز بها هذا اللباس و هي ترمز إلى الإخصاب.

كما تحتوي تلك الزخرفة على الأشكال النجمية و الدائرية و المثلثات. لقد اختيرت هذه الأشكال الزخرفية بطريقة واعية و مناسبة مع الوظيفة المحددة لها "إن ما نراه في الطرز و الزخرفة الشعبية من خطوط و مثلثات و منحنيات ودوائر ما هي إلا ترانيم لها صوت، لان العين وحدها لا تدرك معنى لهذه الزخارف بمسمياتها التي تتردد في حلق أصحابها، كما إنها لن تكون مجرد ترجمة لأشكال مجردة من الطبيعة، و إنما هي صيغ إعلامية اجتماعية لها صفة العلانية [3].

---

[1] سعدي صناوي– المرجع السابق– ص 98

[2] هاني إبراهيم جابر الفنون الشعبية بين الواقع و المستقبل–الهيئة المصرية العامة للكتاب–1995–ص 130

[3] المرجع نفسه– ص 119

مكانة القفطان في الوسط الشعبي التلمساني

بعدما كان القفطان ينحصر في اللون الأحمر فقط، أصبحت كل عروس تنتقي ما يروق لها وما يناسبها من لون كالأخضر والأزرق والبنفسجي ويعود حصر القفطان القديم في اللون الأحمر فقط لان الأتراك كانوا يحبون كثيرا الأحمر القرمزي وهو رمز للسلاطين والملوك[1] ويعني هذا اللون – عند الملوك– استعدادهم للهو والغبطة، ويدل على الفرح[2].ويفسر أهل تلمسان تقديسهم لهذا اللون كونه دليل على الحياء و الاحتشام وبالتالي انه رمز لعذرية العروس.

كما تجب الإشارة أيضا إلى أن أنواع القفاطين اختفت مع مرور الوقت، كالقفاطين المصنوعة من الساتان والدمشقي وغيرها، بل بقي قفطان القطيفة فقط لأن قديما كان للمرأة الجزائرية عامة والمرأة التلمسانية خاصة نوعان من هذا اللباس: الأول بسيط تشتغل به في المنزل، والثاني فخم مصنوع من الحرير أو الذهب أو الفضة، تخرج به في الأعراس والمناسبات السعيدة.

يغلب على قفاطين النوع الأول البساطة، وقلة العناصر الزخرفية، في حين تميزت القفاطين من النوع الثاني بالفخامة وثراء عناصرها"[3] .

كما ظهرت بعض التغيرات في لباس القفطان فأصبح يفتح من الجانبين، بعدما كان يفتح من الأمام فقط، وصارت المرأة تلبسه مع سروال – بعدما كان يلبس مع البلوزة فقط– ويطلق على هذا النوع من اللباس " اللبنانية "[4] .لكن رغم التغيرات التي طرأت عليه إلا انه تمكن من الصمود عبر السنين أمام

---

[1] عائشة عبد العزيز التهامي – المرجع السابق– ص 239.

[2] غمشي بن عمر– سيميولوجية اللون في التشكيل الإسلامي– المنمنمات على مقامات الحريري نموذجا– رسالة لنيل شهادة الماجستير – مكتبة الثقافة الشعبية تلمسان 2001–2002– ص 114.

[3] ربيع حامد خليفة –الفنون الإسلامية في العصر العثماني – مكتبة زهراء الرشق – القاهرة– ط1– 2001–ص251.

[4] " اللبنانية " : نسبة إلى لبنان ن وسمي بهذا الاسم لأنه يشبه لباس اللبنانيين (قفطان + سروال)

مختلف مظاهر التطور و الحداثة و التقليد التي ظهرت على مراسم الزفاف التلمساني شكلا و مضمونا.والدليل على ذلك تدريب الأمهات بناتهن منذ الصغر على ارتداء القفطان أثناء مرافقتهن لها لحضور الزفاف و ذلك لاستمراريته والمحافظة عليه. و يبقى لباس القفطان يضفي نكهة خاصة على العرس التلمساني و يمثل الهوية و الأصالة و الانتماء.

*الأجزاء المكملة للقفطان:

لا يمكن للقفطان أن يعتبر لباسا كاملا إلا بوجود أجزائه المكملة له، فمنها ما هي خاصة بالبدن، ومنها ما هي خاصة بالرأس.

أجزاء القفطان البدنية: تتمثل هذه الأجزاء في :

" بلوزة(المنسوج)[1] "، " الفوطة"، " الحزام"

1- بلوزة المنسوج: جبة من قماش المنسوج، بسيطة الخياطة (أي طرزها خفيف) تلبسها العروس تحت القفطان، ويكون لون حرير بلوزة المنسوج ملائما للون القفطان.

[1] المنسوج: قماش تقليدي تشتهر به تلمسان، يصنع من خيوط حريرية وخيوط ذهبية او فضية.

بلوزة المنسوج

2- الفوطة: أصلها هندي[1]، تخص البدن، استعملتها المرأة قديما ولازالت تستعملها حتى الآن المرأة القبائلية. والفوطة نوعان:

النوع الأول: " فوطة " بسيطة القماش تستعملها المرأة أثناء القيام بالأشغال المنزلية، وأثناء خروجها لجمع الحطب (المرأة الريفية).

والنوع الثاني: " فوطة" فخمة من قماش الحرير أو المنسوج تستعملها المرأة – أثناء المناسبات السعيدة– مع القفطان إذا كانت تلمسانية، ومع " بلوزة" قبائلية إذا كانت من القبائل الكبرى.

و" فوطة المنسوج" الخاصة بالقفطان التلمساني مزخرفة ومطرزة من الجانبين، وفيها " تكة"[2] ليسهل ربطها على النطاق.

---

(1) انظر: Dozy-opcite -p401.

(2) " تكة": أصلها التكة ج تكك : رباط السراويل (المنجد في اللغة والأعلام– دار المشرق– بيروت– 1986– ص63)

فوطة المنسوج

3- الحزام تشير كلمة حزام في مصر إلى الزنار الذي يشده الرجال فوق القفطان و كان يستخدم لحفظ النقود أو لحمل السلاح [1]

و" الحزام التلمساني": يصنع من المنسوج، وهو طويل جدا ينتهي بكويرات من "التال"، يربط في مستوى النطاق، حيث يمرر عدة مرات ليمسك الفوطة، ونشده " بـــ " مساك"[2] وهو جزء هام وضروري لتكملة القفطان، ويجعل نطاق المرأة أكثر جمالا وبروزا.

[1] نصر ثريا-تاريخ ازياء الشعوب-القاهرة-1998 – ص 114

[2] " المساك " : هو المشبك للشد أو القبض

الحزام

الأجزاء الخاصة بالرأس:

كان ذلك عن الأجزاء الخاصة بلباس البدن، أما الأجزاء الخاصة بالرأس فتتمثل فيما يلي:

"العكسة" – " الشاشية"– " المنديل" " العبروق " – " التحويقة".

1- العكسة أو العصابة: موجودة منذ القديم، " كان يستعملها الفراعنة لتثبيت الشعر المستعار، كما تزين بها العبرانيون وعليها آيات من التوراة كتعويذة"[1].

تصنع من مختلف الأقمشة، وعكسة العروس التلمسانية، تصنع من المنسوج،شكلها مثلث، تطوى على ثلاثة وتوضع على الجبين لتقيه من الجروح التي قد تسببها الحلي التي توضع عليه.

[1] حلمي عزيز الدكتور محمد غيطاس– قاموس المصطلحات الأثرية والفنية– مكتبة الشركة العصرية العالمية للنشر – لونجمات– ص 9.

العكسة

2- " الشاشية ": نوع من قبعة أو طاقية من القطن الرقيق ذي لون قرمزي، كان يلبسها أغلب أهالي شمال إفريقيا والسوريون والأتراك، والشاشية مشتقة من شاش، وهو نوع من الموسلين Mousseline كان يصنع به الشد (العمامة) الذي يلف حول الرأس، ثم تطورت هذه الصناعة، وبدأوا يصنعونها من القطن، والشاشية تأخذ أصلها من بلد الشاش والشاش منطقة موجودة في شرق سيرداريا (Sirdaria) أو سهون (Sihoun) والتي كان يسكنها شعب تركي[1].

وشاشية العروس التلمسانية عبارة عن طاقية (قبعة) مخروطة الشكل علوها حولي 0,20م تحتوي على رباط ضيق تحت الذقن لتثبت الشاشية على الرأس، تصنع من القطيفة، وتطرز بالمجبود[2].

(1) Revue Africaine- Ben cheneb- origine du mot « chachia » Numéro 51- Année 1907- offices des pubilcations universitaires – Ben Aknoun- Alger- p55-56.

(2) أنظر: Ougouag kezzal –. Le costume et la parure de la mariée à Tlemcen – Libyca- 1970 – P 253.

الشاشية

3- " المنديل ": هو عبارة عن قطعة مستطيلة الشكل من قماش المنسوج أطرافها مزخرفة تنتهي بأهداب حريرية.

المنديل

4- " العبروق ": عبارة عن قطعة مستطيلة الشكل وهو ما يعرف " بالشال "، وهذا اللباس لا ترتديه إلا النساء المتزوجات. " وكانت هذه الشالات في السابق مغطاة بجواهر رقيقة وأحجار كريمة، وصياغة من ذهب لدى السيدات الموسرات....وكانت هذه شالات رموز الأنوثة والخصوبة، وهي تذكرنا بحجاب

إيزيس الذي يرمز إلى ثراء الطبيعة الذي لا ينفذ وصورة اللباس الفاخر الذي كانت ترتديه الإلاهة –الأم الضاربة في القدم– كان يرمز إلى القوة الخصبة"[1].

يصنع عبروق القفطان من قماش " لكريم"[2]، وتطرز أطرافه بالسماق والعقيق.

العبروق

5– " التحويقة ":

تصنع من البطان (البرارط)، شفافا مثلث الشكل، لونه من نفس لون "الأكمام" وطرزه مثل طرز وزخرفة أكمام القفطان.

(1) انظر: Fetiha Harzallah – les voiles et après – catalogue de l'exposition organisée à l'occasion de la femme 1992 – édité par le centre de la recherche de documentation et d'information sur la femme credif- p35.

(2) لكريم: قماش من الحرير المذهب.

التحويقة

إلا أن ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنه إذا استعملت العروس التحويقة، فلا يجوز لها استعمال العبروق، والعكس صحيح، لكن حاليا أصبحت العروس التلمسانية تستعمل التحويقة بدل العبروق، لأنها تكون من نفس قماش الأكمام، وزخرفتها مثل زخرفة الأكمام، ولا شك أن هذا يجعل هذا اللباس أكثر جمالا ورونقا.

*الحلي والجواهر التقليدية التلمسانية:

لقد فكر الإنسان في تزيين نفسه، فأبدع ما أبدع من ألبسة وحلي وجواهر. و" لقد عرف استعمال الحلي في بلاد النهرين قبل غيرها من البلدان، وكان الرجال والنساء يشنفون آذانهم بالأقراط، ويتقلدون القلائد في أعناقهم، ويزينون معاصمهم بالأساور، و سواعدهم بالدمالج، وأصابعهم بالخواتم، وكانوا يصنعون حليهم من الحديد عندما كان عزيز الوجود، يتنافسون باقتنائه ثم استبدلوا به البروز، أما الحلي المصنوعة من الذهب والفضة، فكانت نادرة جدا، ولكن المصنوع منها كان بالغ الإتقان والحسن "[1].

[1] سهيل قاشا- الحلي في وادي الرافدين -مجلة التراث الشعبي- العدد الثالث- ص 123.

كانت بابل القديمة مصدر إنتاج وصناعة الحلي[1]، كما عرفت فن الحفر على الأحجار الكريمة، وكان من أهم الأشكال الفنية المفضلة التي يحفرونها على الأحجار مناظر العبادة، والمعبودات المحلية والحيوان، كذلك الرسوم الزخرفية [2].

كما عرفت مصر أيضا تطورا في صناعة الذهب، وذلك بسبب ما تعرضت له البلاد من هزات اقتصادية في العصر الأيوبي، فكان المصريون يخافون على ما لديهم من العملات الذهبية، فحولوا بعضها إلى مصنوعات لزوجاتهم، مما أسهم بلا شك في صناعة الحلي في هذا العصر[3].

لقد تعددت أشكال وألوان الحلي والجواهر منها: السلاسل، العقود، الدماليج، الأساور الأقراط، الخلاخل، بالإضافة إلى بعض القطع الصغيرة (médaillons) التي كان يتبادلها المحبون فيما بينهم، وكانت تنقش عليها أساميهم، وتكتب فيها الإهداءات[4]، كما كانوا يصنعون أشكال رمزية كالتمائم مثل " العين"، الثعبان، الحوتة.(وسنتعرض لها في الفصل الثالث).

ومما هو جدير بالذكر أن لكل بلد أنواعا خاصة من الحلي تعكس ذوقهم، ومهارتهم وإمكانياتهم، وعاداتهم، لأن الحلي مظهر من مظاهر الذوق الفني وإحدى ظواهر تطوره فهي دراسة للصلات الإنسانية التي بين أفراده، وتبين الحلي أذواق الناس، والمفهوم الجمالي وميولهم الروحية وإمكانياتهم المادية[5].

---

(1) انظر: Les bijoux – une publication : trois continents – cette édition de poche a été tiré du livre : le grand livre des bijoux d'Ernest A.. et Jeanne Heiniger ; paru au édition EDITA S.A-1998-p11.

(2) سهيل قاشا –الحلي في وادي الرافدين– التراث الشعبي– العدد السابق– ص 122.

(3) عبد الناصر ياسين– الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي– دار الوفاء للطباعة والنشر– الإسكندرية– 2002– ص 135.

(4) انظر: les bijoux – opcit-p70

(5) سهيل قاشا– – التراث الشعبي– العدد السابق– ص 122.

والميل الذي يوليه الناس لاقتناء الحلي، يهدف بصفة خاصة إلى المفهوم الاجتماعي فالمجوهرات كالثياب بالأمس، تعتبر وسيلة للافتخار والظهور عرضا للثروة كما تعتبر وسيلة لإبراز المكانة الاجتماعية، إذن فالثورة والمكانة الاجتماعية كانت تقدر في الماضي بمدى كمية المجوهرات التي تملكها المرأة، وترتديها في مناسبات الأفراح المختلفة[1].

وفي العصر العباسي كثر الإفراط في التحلي في المناسبات و الأعراس. حيث ذكر عند زواج زبيدة من هارون الرشيد انه صب عليها من الحلي حتى لم تقدر على المشي لكثرتها [2].

وإلى غاية يومنا هذا، فالحلي بقيت تكتسي أهمية عظمى، ففي تلمسان تزين العروس من أعلى رأسها إلى أسفل قدميها بأنواع من الحلي والجواهر منها ما تخص الرأس، ومنها ما تخص البدن.

الأجزاء الخاصة بالرأس:

1- " **الجبين**": سمي بهذا الاسم لأنه يوضع على الجبين، وهو عبارة عن شريط معدني تتوسطه فصوص، ويتدلى منها مجموعة أشكال نباتية تتمثل في وريقات صغيرة، تضعه المرأة على جبينها، كما يعرف أيضا بـــ" العصابة" و"هو عبارة عن زهرات فضية موشات بالألماس والزمرد، وتتدلى منها أنواط على شكل أهداب"[3] .

عرفت هذه الحلية منذ أقدم العصور القديمة، وبالذات في العصر العباسي، وقد كانت تستعمل للزينة، كما كانت تستخدم لستر وإخفاء بعض العيوب أو العاهات الموجودة على الجبين، وكانت علية بنت المهدي تستعمل هذه الحلية

---

[1] فريدة بن ونيش- المجوهرات والحلي في الجزائر- سلسلة الفن والثقافة وزارة الإعلام والثقافة- الجزائر- 1976- ص 11.

[2] نصر ثريا- المرجع السابق- ص305

[3] فريدة بن ونيش- المرجع السابق -ص11

لإخفاء عيب في جبينها، فقد كان في سعته غير الطبيعية، فاتخذت العصائب المكللة بالجواهر لتستر بعض جبينها، فاتبعتها الكثير من النساء فيها ابتدعته حتى انتشرت تلك العصائب انتشارا واسعا[1].

الجبين

2- **الزروف:** هو صنف من أصناف العصابات وهو عبارة عن وريدات أو زهرات ملتصقة ببعضها البعض، مرصعة بالأحجار الكريمة والجواهر، ظهرت منذ أقدم العصور، وكانت تعرف بـــ " المخنقة " " وهي عبارة عن قلادة ضيقة تلتصق بالرقبة التصاقا، وكانت تتخذ أحيانا من اللؤلؤ الكبير، والمخانق كما تبدو على نوعين: الأول سمط واحد من الأحجار أو الخرز، والثاني يتألف من دلاية على هيئة وريقة نباتية تشد على الرقبة بواسطة شريط أو خيط"[2] .

والزروف حلية تقليدية تلبسها المرأة التلمسانية في الأفراح والمناسبات السعيدة، فتضعه على الرقبة وتشده بشريط أو تجعله على جبينها (فوق

---

[1] مجلة التراث- العدد السابق- ص 130.

[2] سهيل قاشا الحلي في وادي الرافدين- مجلة التراث- العدد السابق- ص 130.

الجبين)، وهي ضرورية لتكملة الشدة التلمسانية، وتستعمل العروس على الأقل خمسة " زرارف"

الزروف

3- **التاج:** هو حلية مستديرة لزينة الرأس، يستعمله الرجال والنساء، واستخدام التاج رمزا لرتبة الملك تقليد قديم في الشرق، والتاج لقب فارسي معرب، وهو بالفارسية القديمة" تك" ويبدو ملوك الفرس القدماء في المنمنمات لا بسين تيجانا، وعرف العرب التيجان لأول مرة قبل الإسلام، ثم لم يستخدمها ملوكهم بعد الإسلام، وكان التاج من خصائص اليمن، ولعله من بقايا العلاقات القديمة التي كانت بين اليمن والحبشة، ولم يعرف المسلمون التاج الملكي كما عرف عند

ملوك المسيحيين[1]، وقد اعتادت العروس يوم زفافها على أن تضع فوق رأسها التاج، ولعل هذه العادة من رسوبات وبقايا المسيحية. " وقد حافظت المسيحية على قداسة الزواج، فوجب على أي عروس أن تدخل الكنيسة مع عرسيها ليباركهما، ويلبسهما التاج الملكي."[2]

و قد يعود استعمال العروس للتاج يوم الزفاف إلى انه إشارة للملك والسلطة والسلطان والمكانة، فهي معفية من أي عمل لمدة أسبوع.

التاج

4- الأقراط: هي عبارة عن حلقات من مختلف الأشكال والمواد، منها البسيطة ومنها المستديرة، ومنها أشكال شبيهة بالأزراد(الكلبسات)، ومعلقات الأذن الكبيرة الحجم[3].

وما يهمنا في هذا البحث معلقات الأذن الكبيرة الحجم التي تستعملها عروس تلمسان، وتعرف في المجتمع التلمساني بـــ " الخرصة " أو " الونايس "،

---

[1] سهيل قاشا- مجلة التراث- العدد السابق- ص 145.

[2] محمود مفلح- المرجع السابق- ص 25.

[3] وليم نظير- المرجع السابق- ص 83.

وهي تتكون من خيوط " الجوهر، تتوسطها قطعا معدنية، وألوانا من العقيق الأحمر والأخضر والأزرق، في مقدمتها سلسلة طويلة لتثبت على الشاشية، وفي مؤخرتها خيط أصفر لتشد بين الصدغين.

الخرصة

وقد يرجع استعمال هذه الأقراط الكبيرة الطويلة، لإطالة عنق المرأة على أساس أن العنق الطويل دليل الجمال[1] وهو مقياس من مقاييس الجمال، والذي كان يقاس عليه اختيار المرأة قديما، حتى أنها كانت تكنى بـــ " بعيدة مهوى القرط"، واستحضر قول الشاعر امرؤ القيس هنا[2]:

---

[1] محمد عبد الفتاح ابرا هيم – المرجع السابق– ص 93.

[2] عفت الشرقاوي – دروس و نصوص في الأدب الجاهلي– دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت– 1979 – ص 216.

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش[1] إذا هي نصته[2] و لا بمعطل[3]

الأجزاء الخاصة بالبدن:

إضافة إلى أجزاء الحلي والمجوهرات الخاصة بالرأس، هناك أجزاء خاصة بالبدن وهي على التالي:

1- " **الجوهر** ": هو عبارة عن نوع من العقيق، يركب في خيط " السبيبة" على شكل مجموعة من الخيوط، ويجعل في وسط كل مجموعة " لويزة " أو تميمة صغيرة " كـــ "الخامسة" أو " العين " أو " حوته "....وهذه الأشكال ما هي إلا رموز لدرء الحسد عن العروس (سنتطرق إلى هذه الرموز في الفصل الثالث).

[1] فاحش: أي ليس بكريه المنظر فاحش الطول

[2] نصته: مدته وأبرزته

[3] المعطل: الذي لا صلي عليه

الجوهر

ومما هو جدير بالذكر أن تركيبة " الجوهر " هو من اختصاص النساء في البيوت وهي صنعة متوراثة من السلف إلى الخلف وتخصصت فيها المرأة التلمسانية بغرض تزويد الدخل الفردي للعائلة.

2- **العقد:** أقبلت المرأة على استخدام العقد لتزين به رقبتها، ولقد عرفت العقود منذ القدم[1] ويتخذ العقد أنماطا وأشكالا كثيرة، منها ما يقتصر على الذهب، ومنها ما يرصع بالأحجار الكريمة. العقد

[1] ثريا نصر- تاريخ أزياء الشعوب- ص 387.

3- " **اللويز** ": يعود أصله إلى لويس(Louis) و هو اسم 18 من ملوك فرنسا أشهرهم التاسع، الرابع عشر، الخامس عشر،السادس عشر و الثامن عشر[1].

"اللويز"هو الاسم الجاري للعملة النقدية الفرنسية للذهب منذ 1640.هذا بعد أن قرر لويس الرابع عشر(1610-1643) إصلاح النظام النقدي الفرنسي[2].

"لويز" الذهب عوض الفرنك أو الكو الذهبي الذي كان يتعامل به منذ جان الطيب 2

هذا النظام النقدي تعامل به حتى قيام الثورة الفرنسية 1789 [3].

في 3 فبراير 1663 كون لويس الرابع عشر اكادمية صغرى من مهامها اقتراح مواضيع للميداليات و اسطورات تمجد التاريخ في فترة حكمه[4].

في دلك العصر عرف الحكام الأوروبيون القيمة السياسية والجمالية للميداليات، و ذلك حتى يتسنى لهم تثبيت تاريخ الشخصيات وتاريخ الأحداث[5]

---

(1) المنجد في اللغة و الاعلام ص501.

(2). http//fr/wiki//louismonnaie

(3) http//fr/wiki/louis monnaie

(4) http//www.culture.cg44.fr

(5) http.//www.culture.cg44.fr

أثناء الفترة الدستورية، أخد اللويز قيمة 20 فرنك و هو يحمل صورة نابليون الأول ثم صورة الملوك [1].

أثناء الجمهورية الثانية أخد صورة sérés ثم صورة نابليون الثالث. وكلمة "نابليون" كانت في تنافس دائم مع "لويس"للقطعة النقدية 20 فرنك. و في الجمهورية الثالثة اخدت هذه القطعة اسمها آخر ما طبع من لويز (louis) أو (نابليون)1914 [2].

اللويز

كان اللويز قديما في "الأربعينات " من اختصاص زينة المرأة البدوية [3]،حيث كانت تصففه في خيط اصفر، تتخلل كل لويزة ثلاث عقيقات أو أربع

(1) http…//fr.wikipedia.org/wiki/louis monnaie

(2) http.//fr.wikipedia.org/wiki/louis monnaie

(95) Ougouag kezzal opcite-p 287

ذي لون اسود،و تضع وسط خيط اللويز خامسة كبيرة من الذهب لتقيها من العين الشريرة.

أما اليوم أصبح اللويز من اختصاص المرأة الحضرية حيث تستعمله في الكثير من الحلي والمجوهرات" كالجوهر""الدمالج "، "الخواتم"، و"الحزازم".

4- "السلاسل الذهبية": اتخذ الإنسان من السلاسل المعدنية، وأهمها الذهبية حلية يتحلى بها ويلبسها الرجال والنساء، تفنن الصائغ في تشكيلها وإعدادها، فأصبحت تحفة رائعة يتزينون بها، وهي متعددة الأشكال والأنماط منها الرقيقة، ومنها الغليظة، ومنها الطويلة، ومنها القصيرة.

تحمل هذه السلاسل حلية ذهبية كبيرة مطعَّمة بالجواهر " كالمسكية " و"الكرافاش"، أو تميمة جميلة[1] " كالخامسة"

أ- " المسكية ": عبارة عن حلية ذهبية على شكل إجاصة عليها نقوش، وفي بعض الاحيان فصوص تضعها العروس في سلسلة وتتزين بها، كما توضع فوق " الجوهر" المصفف على الصدر (أي أثناء الشدة).

المسكية

[1] وليم نظير- المرجع السابق- ص 80.

ب- "الكرافاش": يطلق على هذه الحلية في منطقة تلمسان بـــ" كرافاش بولحية"، سمي بـــ " كرافاش " لأن سلسلته غليظة ومفتولة كالحبل، و" بولحية "، نسبة إلى الأهداب التي تتدلى من القطعة التي تشبك السلسلة، وهي على شكل لحية. وهو جزء هام وضروري لتزيين العروس ولتكملة الشدة التلمسانية.

الكرافاش

ج- الخامسة: كما قد تحمل هذه السلاسل الطويلة أيضا "خامسة " وتكون كبيرة الحجم، تستعملها العروس في الشدة، وهي آخر حلية تضعها على صدرها لتكون ظاهرة للعيان، وذلك لدرء العين عنها، وهذا تطبيقا للمقولة الشعبية القائلة: " خمسة في عين بليس ".

وبعدما ذكرنا المجوهرات والحلي الخاصة بصدر العروس، نعرج الآن على ذكر ووصف ما تتزين به، في ذراعيها ويديها ورجليها.

1- الأساور:هي من حلي المعصم المعروفة، لها تسميات مختلفة منها "الجبارة"، وربما يرجع السبب إلى كبرها بالنسبة لغيرها من الحلي، ومن أسمائها أيضا " الوقف " وذكر بأنه السوار المصنوع من العاج والذي كان يعرف بالمسك أيضا[1].

وأبسط الأساور، ما كان على شكل حلقة معدنية تستدير، أو تلف حول المعصم، ويسهل تحريكها، وتكون هذه الحلقة إما مغلقة، أو يمكن فتحها وغلقها، حسب رغبة المرأة[2].

ويطلق عليها في تلمسان بـــ" القورميط "(gourmette) أو البراصلي (Bracelet) وهو جزء ضروري من مهر العروس التلمسانية.

الاسورة

ومما هو جدير بالذكر أن حاليا ظهر نوع آخر من الحلي الخاص بالمعصم يسمى" باليد الجريحة " وهي عبارة عن أسورة تتصل بخواتم الأصابع

---

[1] سهيل قاشا –الحلي في وادي الرافدين- التراث الشعبي- العدد السابق- ص 140.

[2] المرجع نفسه – ص 141.

تشبكها سلاسل ذهبية ومصدر بلدها " السعودية " وقد أصبحت المرأة في تلمسان تقتني هذه الحلية لتتزين بها في المناسبات السعيدة.

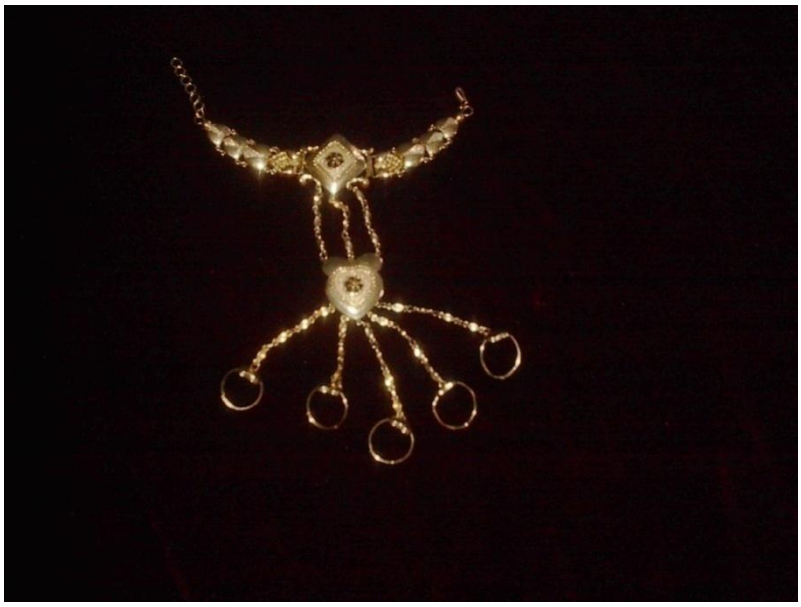

اليد الجريحة

2- الدماليج: يطلق عليها في تلمسان " الدمالج "أو " المنافخ"، هي عبارة عن صفائح سميكة، غليظة أحيانا تنقش عليها رسوم هندسية أو نباتية أو حيوانية وتحلى ببعض الفصوص، إلا أن الدماليج تختلف عن الأساور بحيث لا يمكن فتحها أو غلقها ولكن تدخل مباشرة في العضد.

3- "المسايس": هي عبارة عن حلية مستديرة، منها الرقيقة ومنها الغليظة، عليها نقوش ورسومات بأشكال متعددة، وفصوص في بعض الأحيان، وتعرف في تلمسان " بالمسيبعة " وذلك لاحتوائها على سبعة " مسايس"، وهم يعتقدون فأل خير في هذا العدد فهو في الوجدان الشعبي رمز للخير والبركة والصحة.

كما يعود تقديس هذا العدد دون غيره أيضا لمكانته في القرآن الكريم " سبع سماوات "، " سبع سنابل "، وفي التراث الشعبي كالسحر مثلا (استعمال العدد سبعة في علاج الربيط، علاج العين، البخور...)،و في الاحتفال بالمولود في اليوم السابع، وغيرها من الطقوس والممارسات الشعبية(سنتعرض لهذا في الفصل اللاحق).

المسايس

4- " الخواتم ": وهي ضرورية لتزيين أصابع العروس المخضبة بالحناء، (سبق وان تناولنا هذا الجانب في الفصل الأول).

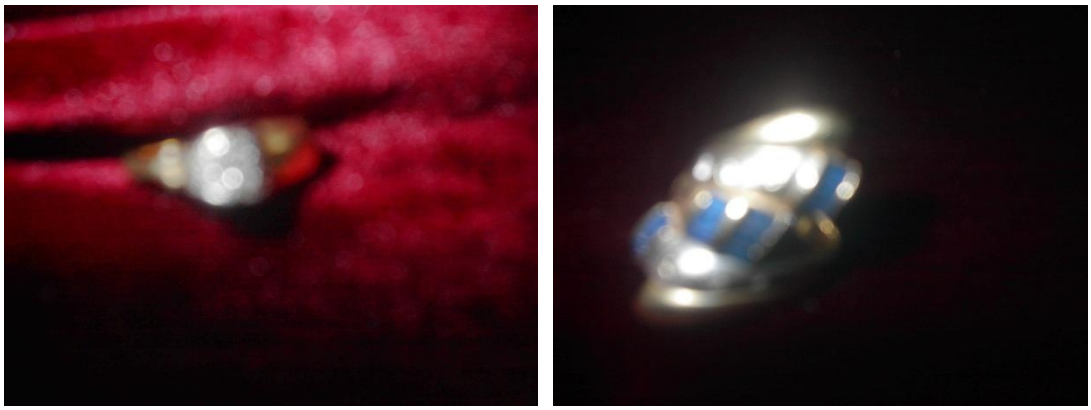

الخاتم

5-" الخلاخل ": هي جمع خلخال: سميت بهذا الاسم لأن موضع الخلخال في الساق يسمى بالمخلخل[1] وهي دائرية الشكل ليتناسب مع شكل العقبين، له فتحة جانبية لسهولة ارتدائه وخلعه[2] وكثيرا ما ينتهي برأس ثعبان، وهو رمز لإبعاد العين الشريرة.

وقد تتصل بالخلاخل " الجلاجل المعدنية " والتي كانت تستعملها قديما المرأة- وهي تحدث الأصوات أثناء السير، وهناك اعتقاد بأن هذا الصوت يطرد الأرواح الشريرة، وقد استخدم منذ العصر المصري القديم إلى الآن[3].

وللخلاخل مكانتها الخاصة في الشعر العربي، ويقول خالد بن يزيد في زوجته رملة بنت الزبير[4]:

تجول خلاخيل النساء و لا أرى لرملة خلخالا يجول ولا قلبا

فلا تكثــروا فيها المــلام فإنني بخبرها متهــم زبيرية قلــبا

لقد كان ساق المرأة قديما مقياسا من مقاييس الجمال ويحضرنا هنا قول الشاعر امرؤ القيس فيقول[5]:

---

(1) سهيل قاشا-الحلي في وادي الرافدين- التراث الشعبي- العدد السابق- ص 142.

(2) ثريا نصر- المرجع السابق- ص 55

(101) المرجع نفسه- ص 55.

(4) أبي عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن أبي القاسم التيجاني- المرجع السابق- ص 316.

(5) عفت الشرقاوي- المرجع السابق- ص 217.

وكشح[1] لطيف كالجديل[2] مخضر وساق كأنبوب السقي[3] المذلل[4]

وعلى الساق كان يقوم اختيار المرأة، والخلخال أداة من أدوات تزيينه، وما يزيده جمالا أكثر تلك الرنة التي تحدثها " الجلاجل " عندما تسير المرأة (إنه صوت الخلخال).

ولا زال المغنيون يتغنون بلابسة الخلخال ومنهم خليفي أحمد وعبابسة رحمه الله اللذين لحنا وغنا قصيدة حيزية " لابن قيطون "، ومن تلك الأبيات[5]:

شـــوف السيـــقـــان بالخلاخـــل فطـــان[6]

تسمـــع حس القران فـــوق الريـــحيـــه[7]

الخلاخل

---

(1) كشح: الخصر

(2) الجديل: زمام يتخذ من سيور، وهو لين، فشبه كشحها في لينه بهذا الزمام

(3) السقي: النخل المسقي

(4) المذلل: الذي جمعت أعذاقه لتجنى، فشبه ساق المرأة بأنابيب البردي، لبياضه ونعمته بين النخيل المسقي، وخص المذلل لأنه يكرم على أهله، ويعاهدونه بالسقي(المرجع نفسه– ص217).

(5) أحمد أمين– حيزية– الملحمة الجزائرية (القصة والقصيدة) – دار المصباح للنشر – جميع الحقوق محفوظة لدار المصباح– رقم النشر 91/9–ص 40.

(6) فطان : الخلخال في رنينه يوقظ النائم

(7) الريحية: حذاء، وهو حذاء يصنع خصيصا للمرأة المذللة.

*طريقة ارتداء القفطان والمجوهرات الخاصة به:

من بين عادات وتقاليد منطقة تلمسان طريقة تزيين العروس، والتي أعطت لها صورة خاصة ميزتها عن باقي المناطق الجزائرية، وهذه الطريقة خاصة باليوم الأول من الزفاف.

تقوم بهذه المهمة امرأة محترفة، وتساعدها فتاتان، والغرض من هذه المساعدة تعلم هذه الحرفة (كيفية تهييء العروس وتزيينها) ليتلقاها الخلف عن السلف أي المحافظة على استمراريتها[1].

ترتدي العروس " بلوزة المنسوج " وتضيف إليها القفطان[2] لكن لا تستعمل الفوطة والحزام في اليوم الأول من الزفاف، وهي عادة واجبة ومفروضة على كل عروس، ويرجع عدم استعمالها لهذين الجزئين إلى :

1- حسب اعتقاد أهالي تلمسان، ان الحزام قد يعرض العروس لعملية الربيط[3]، ويجعلها غير قادرة على أداء دورها الجنسي في ليلة الدخلة.

2- الفوطة تستعملها المرأة للقيام بالأشغال المنزلية، والعروس في هذا اليوم/ ولمدة أسبوع معفية من كل الأعمال.لكنها تستطيع لبس هذين الجزئين (الفوطة + الحزام) عندما تعيد لبس القفطان في اليوم الثاني من الزفاف(يوم السابع).

بعد الانتهاء من لبس القفطان وبلوزة المنسوج، تبدأ المرأة المحترفة ومساعداتها بتصفيف الجوهر والحلي الخاصة بالشدة، والتي جهزتها أم العروس منذ أسبوع قبل الزفاف، وذلك باقتراضها عن الأهل والجيران[4].

---

(1) Ougouag Kezzal-opcite– p287.

(2) guide touristique de Tlemcen et sa région Tlemcen ville d'art et d'histoire- conçu et réalisé par l'office du touriste de Tlemcen- 1994-p50.

(3) الربيط: عملية سحرية سنتعرض لها بالتفصيل في الفصل الثالث.

(4) Guide touristique de Tlemcen et sa région- p50.

- **أولا:** تصنع عقدا على رقبة العروس، ويكون مصنوعا من " الجوهر"، ويكون وسطه حلية ذهبية جميلة تحتوي على فصوص من الأحجار الكريمة.
- **ثانيا:** تعلق" تشكات الجوهر" [1]، وتثبتها بالمساسك ابتداء من الرقبة إلى غاية الركبتين، من الأصغر إلى الأكبر بطريقة فنية منظمة، وكل " تشكة " تحتوي على" لويزة "، أو " خامسة صغيرة "، أو عين " الخرزة الزرقاء" (سنتعرض إلى هذه القطع ورموزها في الفصل الثالث).
- **ثالثا:** تعلق فوق الجوهر المصفف " كرافاش بولحية "، واحد على الجانب الأيمن والآخر على الجانب الأيسر.
- **رابعا:**يضاف بعد ذلك المسكيات، وتكون من واحدة إلى ثلاثة.
- **خامسا:** يختم تزيين صدر العروس بتعليق سلسلة طويلة تحمل في وسطها خامسة كبيرة لدرء العين عنها كما أشرنا إليه سابقا.

وبهذه الطريقة، يكاد صدر العروس أن يختفي تحت كثرة الحلي والمجوهرات المصففة عليه، وتقول فريدة بن ونيش في هذه الصورة من خلال بحثها حول الحلي والمجوهرات: " فيرصع صدر المرأة بعدة عقود من الجوهر، لغاية أنه يكاد يختفي تحت تلك العقود الكثيرة، فالعقود المصنوعة من "السلطاني" أو "اللويز"، والمضافة إليها مجموعة من الأنواط الذهبية، و" أحجار الزمرد "، والعقود الطويلة المكونة من اللآلئ النادرة، والسلاسل الذهبية المفتولة التي تعلق في أواخرها علب العطور المزينة بالخيوط الذهبية، والأحجار الكريمة، والمسكية " [2].

---

[1] تشكات: مجموعات

[2] فريدة بن ونيش– المرجع السابق– ص 20.

وبعد تصفيف كل الحلي والمجوهرات الخاصة بصدر العروس، تنتقل المرأة المحترفة لتزيين الرأس، وأول خطوة تسريح شعر العروس وتقسيمه إلى قسمين:

قسم على جهة اليمين، وقسم آخر على جهة اليسار، بعد ذلك تعلق على كل قسم شريط من الستان مطرز " بالعقيق" و " السماق"، ويكون لونه من نفس لون القفطان، أما العروس التي يكون شعرها قصير فيضاف له شعر مستعار(ظفائر) ويعلق الشريطان على القسمين من الشعر[1].

و كملاحظة يجب ذكرها هي أن تقسيم الشعر وتعليق هذين الشريطين لا يكون إلا في اليوم الأول من الزفاف فقط، ويعود تفسير هذه العادة حسب أهل المنطقة إلى عدة اعتقادات من بينها:

1. الشعر الطويل رمز للجمال، وكم تغنى الشعراء بهذه الميزة في المرأة،" فللشعر مكناته في تقدير المرأة، بل إنه مظهر من مظاهر جمالها" [2].
2. الشعر الطويل رمز لبكارة العروس وسلامة غشائها[3].
3. قص الشعر قديما عادة مستهجنة عند العائلات المحافظة وتعتبر خرقا للعادات والتقاليد، والاحتفاظ بالشعر الطويل رمز للحفاظ على الشرف، وصون العرض.

وبعد تقسيم الشعر، تنتقل النسوة لتحضير الحلي الخاصة بالرأس، وهو موضع عناية خاصة.

أول خطوة: تضع " الشاشية" على قمة الرأس، ثم تثبتها بواسطة رباط تشده، بعدها تطوي العكسة على ثلاث، وتضعها على الجبين، ثم تشدها من

---

(1) Ougouag Kezzal- opcite– p287.

(2) محمد عبد الفتاح إبراهيم– المرجع السابق– ص 95.

(3) Ougouag Kezzal -opcite– p296.

الخلف لتمسك الشاشية ولتمنع حدوث جروح على جبين العروس ثم تضيف "الجباين " واحد فوق الآخر، ويكون من ثلاثة إلى أربعة، ثم تأخذ على الأقل خمسة "زرارف" وتصففهم فوق "الجباين" بطريقة فنية منظمة، الواحد تلو الآخر، وتشدهم جيدا نحو الخلف، بعدها تعلق" الخرصة " في الصدغين بجانب الخدين بواسطة سلسلة، وتثبتها على قمة الشاشية، وأخيرا تضع التاج فوق " الجباين".

بعد ذلك، تكمل العملية بجعل منديل على الرأس، واحد على الجانب الأيمن، والثاني على الجانب الأيسر، بحيث يلتقيان في الخلف، وتثبتهما"بالمساسك" أو فليتات(EPINGLES) وأخيرا تضع " التحويقة " فوق "المنادل ".

وتكمل المرأة تزيين العروس بتلبيسها الأساور و" الدماليج" و " المسيبعات"، والخواتم، والخلخال (البريم)، و"الحذاء الذي أحضره لها زوجها يوم الملاك"[1].

وما يلفت الانتباه أن تزيين وجه العروس بالمساحيق " الماكياج" يكون فاتحا، لأنه سيعاد تزيينها في بيت الزوجية بالمساحيق التي يحضرها لها زوجها في يوم الزفاف (سنتعرض لهذا لاحقا).

وأخيرا تضع على وجهها منديلا مطرزا " بالسماق" والعقيق، ويكون لونه من نفس لون القفطان، وتجلس العروس على الكرسي، وهي في أبهى حلة وزينة، إنها صورة جميلة رائعة جذابة، تعكس ذوق المرأة الجزائرية في مجال الإبداع الفني(الطرز، الخياطة، الزينة والتجميل...)، والأسرة الجزائرية لا تزال تتوارث بين أبنائها وبناتها العديد من هذه المهن والحرف التقليدية والعادات والتقاليد الخاصة بيوم الزفاف.

وتبقى العروس بهذا اللباس وهذه الزينة لغاية قدوم العريس، والسؤال الذي نطرحه هنا لماذا كل هذه الحلي والمجوهرات من أعلى رأسها إلى أسفل قدميها؟

---

[1] فريدة بن ونيش– المرجع السابق– ص 20.

يرجع التلمسانيون طريقتهم الخاصة في تزيين العروس سواء ما تعلق باللباس أو بأجزائه إلى عدة مدلولات منها:

1. لباس القفطان وأجزاؤه جزء من تاريخ أجدادهم وإعادته (لبسه في مناسبة الزفاف) للمحافظة على استمراريته، زيادة على أنه لباس فاخر يليق بمثل هذه المناسبات السارة.
2. وهناك من فسر لنا هذه العادة(كثرة الحلي) على أنها إشارة لصبر العروس، ولقدرتها على تحمل المسؤولية التي تنتظرها ابتداءا من ذلك اليوم.
3. والبعض يقول أن تزيينها من أعلى رأسها إلى أسفل قدميها لتصبح ثقيلة جدا، ولا تستطيع الهروب، لأن قديما الكثير من الفتيات كن يتزوجن رغما عنهن، في سن مبكرة، ويفرن يوم زفافهن.
4. كثرة الحلي والجواهر المرصعة بالأحجار الكريمة المتلألئة من أعلى رأس العروس إلى أسفل قدميها يعود حسب بعض الاعتقادات لإبعاد العين ودرء الحسد، وهي من بقايا ورسوبات العادات القديمة. حيث " قديما استخدم الذهب والفضة أو أي معدن له بريق جذب الانتباه دون الشخص ذاته، وقد وضع العرب الأجراس الفضية حول أعناق الجياد كتعويذة لدرء الحسد "[1] لقد تركزت وسائل منع الحسد على إضافة ما يعتقد أنه سيجلب انتباه الحساد فيركز نظره عليه بدلا من أن يركزه على الشيء المحسود ذاته[2].

---

[1] فاتن محمد الشريف– السحر و الحسد في المجتمعات الريفية– منشاة المعارف بالاسكندرية– ص 50.

[2] إبراهيم بدران– سلوى الخماش – دراسات في العقلية العربية– الخرافة– دار الحقيقة– بيروت– الطبعة الثانية– 1979– ص 251.

نصل من كل ما سبق إلى أن المحافظة على عادات تلمسان (لبس القفطان وأجزائه والحلي والجواهر الكثيرة)له مدلولان: مدلول وصل لدرجة المعتقد كقدرة العروس على التحلي بالصبر، وتحمل المسؤولية، وعدم هروبها ليلة زفافها،وإبعاد العين الشريرة ودرء الحسد عنها،ومدلول ينم عند استعماله للزينة، والمحافظة على استمراريته، ليأخذه الخلف عن السلف. فهو رمز لإعادة تاريخ تلمسان، وثراء مسجل منذ زمن بعيد، وتقليد ومحاكاة لبعض الحضارات التي مرت بتلمسان كالعباسية والأندلسية والتركية، مما جعل العروس التلمسانية تكتسي خصوصية هامة ميزتها عن سائر أخواتها في مناطق الجزائر الأخرى.فصورة هذه العروس بلباس القفطان وأجزائه والحلي والمجوهرات مرآة تعكس عادات وتقاليد تلمسان.

2-وصف الاحتفال:

*زفة العروس التلمسانية:

بعد الانتهاء من تزيين العروس، تزغرد النساء، وهي إشارة للانطلاق نحو بيت العريس، في هذه اللحظة تقشعر الأجسام لأنها لحظة الفراق والوداع[1]، فتطوي العروس عالم طفولتها، وفتوتها الأولى المفعم بالذكريات الرشيقة، الفرحة منها والحزينة، لتستقبل عالما مجهولا[2].

بعدما كانت تقام الزفة بالخيل والجمال[3]، أصبحت تقام بالسيارات، وإن سماع صوت المنبهات والطبل والمزمار إعلان عن اقتراب وصول الموكب لبيت العريس، وما يلفت الانتباه أن موكب العروس في تلمسان فخم وجميل،

---

(1) Ougouag Kezzal-opcite– p287.

(2) محمود مفلح البكر– المرجع السابق– ص 109.

(3) كانت الزفة في السابق على ظهور الخيل والبغال...كل يتبرع بفرسه أو بغله، كل حسب ما يملك من دابة يركبها باستثناء صاحب الحمار الذي لا يحق له أن يشارك في الزفة. (انظر: محمد عجاج: اعراف و مراسيم الزواج في قرى الشمال العربية التراث الشعبي – العدد الأول– السنة التاسعة– بغداد – 1978– ص 26).

فأغلب السيارات من الطراز الجيد، خاصة سيارة العروس وهي مزينة بالأكاليل من الورود والأزهار الجميلة، فلقد بلغ التنافس ذروته في تلمسان، فأصبحوا يكلفون أنفسهم من اجل الحصول على موكب فخم وذلك من أجل التفاخر والمباهاة. وقد تعرض لهدا نور الدين طوالبي من خلال بحثه"الدين و الطقوس و التغيرات فيقول" يفترض أن يكون موكب الزواج مهيبا، ولسوف يبذل جهد كبير لتجمع أكبر عدد من السيارات وخصوصا الأكثر التفاتا للنظر: من 504 الشعبية على رأس الموكب، يتم الانتقال دون وساطة إلى الأكثر دلالة على الغنى أي " المرسيدس " و الـــ "B.M.W "[1]، وعند وصول الموكب تنزل امرأة متجهة إلى مكان وجود العروس لتصطحبها لبيت عريسها، وأثناء ذلك تقوم بوضع الحايك[2]– الذي أرسله زوجها– عليها، ويكون من أعلى رأسها إلى أسفل قدميها، ولا تترك لها سوى فتحة صغيرة تسمح لها برؤية الطريق، لأن تغطية العروس يوم زفافها عادة واجبة تفسرها بعض الاعتقادات التي سنتعرض لها في الفصل الثالث.

---

[1] الدين والتغيرات والطقوس– تر: وجيه البعيني– منشورات عويدات – بيروت باريس– ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر– ط1– 1988–ص 117.

[2] الحايك: من حاك يحيك، ويسمى أيضا بالملحفة، أو بالكسا (Kissa)، تلبسه المراة لتستر وتغطي جسدها، ومنه ما هو مصنوع من القطن ومنه ما هو مصنوع من الحرير (للتوسع انظر : R.Dozy – dictionnaire des vêtements chez les arabes- p148.)

ركوب العروس سيارة العرس

أما بالنسبة " لزهاج " العروس (Trousseau) فينقل إلى بيت زوجها قبل الزفاف بيوم أو يومين، وجهاز بنت المدينة ثري وفخم ومتنوع، ويتمثل في (المطارح انتاع الصوف الوسايد (مخايد)، اللحيفات، الكوفرتات(القطنيات) (couverture) ذات الجودة الرفيعة وغالبا ما تكون ذات أصل إسباني، صالون من القطيفة من النوع الجيد، أغطية للسرير (couvre-lit) وغيرها...، زيادة على مجموعة من الألبسة التقليدية والعصرية والأحذية والحلي والمجوهرات القيمة.

ولعل نقل هذا الجهاز قبل يوم العرس لبيت عريسها لفرش وترتيب غرفة الزوجين، مع ما حضره هو كذلك من فراش وأثاث، أي لتزيين غرفتهما قبل قدوم العروس، وقبل قدوم المدعوين، لأن من عادتهم ملاحظة (زيارة) غرفة العريس يوم العرس لتقييم الجهاز الذي حضرته العائلتين.

والعادة هذه تشابه العادة الموجودة في الكويت " فينقل جهاز العروس إلى بيت زوجها قبل يوم الزفاف لترتيب الغرفة وفرشها قبل ليلة العرس"[1].

---

[1] أيوب حسن – مع ذكرياتنا الكويتية– منشورات ذات السلاسل الكويتية– الطبعة الثانية– 1984– ص 84.

وعند وصول الموكب تنزل العروس ومن جاء معها، ويدخلوا إلى بيت العريس ويرافقهم الطبالون، على نغمات الطبل والمزمار، فيرقص الأهل والأحباب وتزغرد النساء معبرات عن فرحتهن وغبطتهن بهذا اليوم السعيد.

اتجاه العروس نحو بيت الزوجية

ثم تجلس العروس وسط الحاضرين، ويستعمل " الحايك" الذي تنزعه كغطاء تتجمع تحته العروس، وبعض قريبات العريس اللائي تقمن بإعادة تزيين وجهها بالمساحيق (المكياج) التي أحضرها لها زوجها في هذا اليوم، كما تقوم بتشكيل رسم دائري أحمر على وجنتيها وتضع فوقه سبعة نقاط بيضاء، ثم تعيد " العبروق " أو الوشاح على وجهها.

دخول العروس تحت الغطاء (الحايك) و تزيينها

نعتقد أن السبب المبين من وراء هذه العادة (أي تزيينها في بيت زوجها) لأنه لا يجوز للزوجة أن تتزين إلا في بيت زوجها، ولزوجها فقط انطلاقا من قوله تعالى: " وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ " النور 31.

كما أن من واجبها أن تتزين لزوجها، ومن ذلك ما نسب إلى عائشة أنها قالت: " النساء لعب الرجال، ليزين الرجل لعبته ما استطاع، فإن في ذلك أدعى لشهوته، و إما لعينه، وأظهر لمحاسن المرأة، وأدوم للألفة والمودة "[1].

وروى معاوية بن يحي أن امرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها- فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها: فقالت هي فلانة زوج فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأكره المرأة أن تكون ملداء[2] مرهاء[3] ليس في عينها كحل "[4].

إن العروس مجبولة على التزيين والتعطر، " لزيادة شدة الشوق والحب بين الأزواج، ولدفع النفور، والكراهية، ولتحقيق مآربها الكثيرة " [5].

يعني ان مفهوم الزينة مشحون بمضمون جنسي و العلاقة واضحة بين العناية بالجسد و الجنس، فالعناية و الزينة وضعت لتخدم غرض إثارة الرغبة الجنسية و هي من أهم الأسباب لحظوة المرأة عند زوجها.

وما يلفت الانتباه من زينة العروس التلمسانية يوم زفافها: هو ذلك الرسم الدائري الأحمر على وجنتيها، مع تلك النقاط البيضاء، فإلى ماذا يرمز هذا التشكيل؟

---

[1] محمد بن أحمد التيجاني- تحفة العروس- ص 129.

[2] ملداء: ناعمة لكنها غير مختضبة

[3] مرهاء: غير مكتحلة

[4] المرجع نفسه- ص 129.

[5] غمشي بن عمر- المخطوط السابق- ص 117.

في اعتقاد أهالي تلمسان، أن الصبغة الحمراء إشارة إلى الحياء والاحتشام، كما أنها تدل على الدم أي سلامة غشاء بكارة العروس(أي أنها عذراء).

وهو نفس الرمز الذي تحمله الصبغة الحمراء في عصور ما قبل التاريخ، " ففي عصر الباليوليت نجد أن الصبغة الحمراء تشير إلى الدم الذي هو قوة وحياة وغذاء وسمة عالم الرحم" [1].

أما النقاط البيضاء، فهي رمز للنقاء والصفاء والطهارة والفرح، "والوجه المفرح للشخص كان يوصف بأنه أبيض" [2].

كما فسر لنا أهالي تلمسان وجود هذين اللونين معا (الأحمر+ الأبيض) – على وجنتي العروس– على انه دليل على السعادة و الهناء، و لدفع العين ودرء الحسد عنها. و يؤكد هذا ماحي عبد اللطيف: " و توضع النقاط البيضاء السبعة على الأحمر تيمنا بالخير، و طول الحياة، و الهناء لها، و لدفع العين والحسد عنها" [3].

و قد يرمز هذان اللونان معا على وجنتي العروس – أيضا– إلى العزة والكرامة. و نؤكد هذا بما جاء في تفسير ابن سيرين للأحلام إذ يقول: " فحمرة اللون وجاهة و فرج، و إذا كان مع الحمرة بياض نال صاحبها عزا" [4].

و نستخلص من كل ما سبق أن ذلك الرسم يشير إلى أن العروس بكر، وأنها سوف تنال عزا و كرامة في هذا اليوم (الدخلة)، و تحظى بمكانة مرموقة

---

[1] خزعل الماجدي– المرجع السابق– ص 54.

[2] مانفرد لوركر–المرجع السابق– ص35.

[3] رمزية العدد في الفكر الشعبي، بين المقدس و الدنيوي– رسالة ماجستير مكتبة الثقافة الشعبية تلمسان 2003–2004، ص119.

[4] تفسير الأحلام الكبير – دار الكتب العلمية بيروت– ط1–1999–ص65.

بين أهلها و ذويها، لأنها صانت عرضها وحفظت فرجها، فسلامة غشاء بكارتها ضمان لحسن خلقها.

و مما هو جدير بالذكر أن هذا الرسم لا تحمله إلا العروس ليلة الزفاف فقط، و لا يعاد رسمه في الليلة الثانية من الزفاف عندما تعيد لبس القفطان والشدة، و السبب في ذلك أن في اليوم الثاني يكون قد تم الدخول بها (أي فقدت عذريتها).

كما أن هذا الرسم يميز بينها و بين النساء الأخريات اللواتي يرتدين القفطان مع الفوطة و الحزام، بخلاف العروس في ذلك اليوم، و هن اللواتي يلتقين العريس.

وجرت العادة في يوم العرس بعد تزيين العروس في بيت عريسها، أن تمر على الحاضرين و المدعوين برفقة امرأتين، و عينيها مغمضتين ليراها الجميع، ثم تعيد المنديل على وجهها لتدخل حجرتها إلى أن يصل العريس فيكشف عن وجهها هذا النقاب ألا و هو المنديل أو العبروق.

و يعود تفسير هذه العادة (غمض العينين) حسب اعتقاد أهالي تلمسان أنها رمز للاحتشام و الحياء، و في اعتقاد البعض الآخر كي لا تصاب العروس بالعين و الحسد. لأنها سريعة التأثر بالأذى في مثل هذا اليوم.

*زفة العريس:

أول عمل يقوم به العريس ليلة الزفاف تحليق الشعر و الدخول إلى الحمام. " لأن الاستحمام قبل الشروع بعمل مهم كالنكاح، يهدف إلى تطهير الجسد من الأردان و الأوزار" [1].

[1] محمود مفلح البكر- المرجع السابق- ص42.

و يقول الله تعالى " وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ" الأنفال:11.

إلا أن حسب الاعتقادات السائدة في منطقة تلمسان أن الماء لا يرمز للطهارة فقط، و إنما هو رمز للإخصاب أيضا، فهناك علاقة بين الماء و المني. و إذا رجعنا إلى الثقافات القديمة وفي العصر الكاليكوليتي، كان يتصورون المطر في كثير من معتقداتهم على أنه المني الخصب لأبي السماء"[1]

فعندما يكون الماء (المني) قويا خصبا ترتوي الأرض (المرأة) فتقدم محصولا وفيرا (الإنجاب)، فالماء (المني) هو المسؤول عن الإخصاب.

و بعد خروج العريس من الحمام، يلبس ملابس داخلية جديدة لم يسبق لبسها، و يعطر نفسه، ثم يرتدي طقما أسودا، و حذاءا أسودا جديدا.

فللعطر أيضا مكانته و قدسيته في يوم الزفاف فهو رمز لتطهير الروح ودفعها للتألق[2]، " كما كان العطر الطيب نفسه باعتباره من الخصائص الإلهية مشيعا بقوة الحياة الأبدية، و على هذا أدى استعمال الروائح و الزيوت العطرية دورا في العقيدة أكثر و أكثر من استعمالها في التجميل" [3].

أما اختيار اللون الأسود (الطقم و الحذاء) فقد يرجع إلى أن من القيم الخاصة بالرجال ارتداء الملابس الداكنة كالأسود، و ترك الملابس الفاتحة للشباب، لأن الألوان الداكنة توحي بالاحترام و الوقار[4]، زيادة على ذلك فهي رمز للعظمة والأبهة والإجلال[5].

---

[1] خزعل الماجدي- المرجع السابق- ص132.

[2] محمود مفلح البكر- المرجع السابق- ص42.

[3] مانفرد لوركر- المرجع السابق- ص140.

[4] ثريا نصر- المرجع السابق- ص50.

[5] غمشي بن عمر- المخطوط السابق- ص93.

و في الأخير يلبس برنوسا[1] أبيضا، يكون قد استعاره عن أهله أو أصدقائه، متجها مع أحبابه و جيرانه إلى المقهى التي يتلقى فيها التبريك والتهاني.

وعادة لبس البرنس ليلة الزفاف إشارة للسلطة والولاء والوقار، فكان الملوك والأمراء يلبسون هذا الردا، واللون الأبيض يدل على النقاء والطهارة، والزفاف مؤسسة دينية مقدسة لا يدخلها إلا المتطهرون.

ثم يركب العريس فرسا، و هو يرقص على نغمات الطبل و المزمار، "يتقدمونه الآليون وأمامهم شباب يحمل ثريا كبيرة من اللوح مزوقة بالأزهار، ومثبتة شموعا موقدة، ثم يأتي الطبالون فيقفون خلفه، و أمامهم شاب يحمل ثريا مثل الأولى ثم تضرب النوبة. و بعدها ينصرف الموكب طائفا بأزقة المدينة إلى أن يصل إلى الدار، ثم تضرب عليه النوبة أخرى بباب الدار، أو في فنائها، ثم ينزل عن الحصان و يدخل رأسا إلى البيت الذي تكون فيه العروس[2].

ركوب العريس الفرس و هو يرتدي البرنوس

---

[1] البرنوس: يعرف عند العرب قديما باسم (البرنس) و قد عرف استعمال البرنوس منذ عهد قديم و شكله العام مثل الحرملة قد تصل إلى الكاحل، و بدون أكمام. و له غطاء رأس كالطرطور، و يخاط بحردة الرقبة، فيعتبر جزء من هذا الرداء، و هذا الرداء مفتوح بدون أزرار، بل يثبت بطريقة شريط ثابت على الصدر. (أنظر ثريا نصر- تاريخ أزياء الشعوب- ص 367.)

[2] الحاج محمد رمضان شاوش- المرجع السابق- ص383.

إن عادة ركوب الفرس أثناء الزفة فأل خير في اعتقاد أهالي تلمسان، لأن من اعتقاد العرب أن الفرس رمز للخير و الرجولة و الشجاعة و الكبرياء. وأن السنة أقرت هذا الاعتقاد، عن أبي التياح قال: " حدثنا عبد الله بن مسلمة: حدثنا مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : "**الخيل في نواصيها**[1] **الخير إلى يوم القيامة**" [2].

وحدثنا مسدد: حدثنا يحي، عن شعبة عن أبي التياح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **البركة في نواصي الخيل**" [3].

كما يظل للفرس مكانته الخاصة في ذاكرتنا الشعبية لارتباطه بتاريخ عريق من الفروسية و البطولة و تحقيق النصر. و ركوب الفرس يرمز لقيم الشجاعة و البـــأس و البسالة و الإقدام و الاعتزاز بالسلاح.

و عندما يصل العريس إلى بيت العرس يستقبل في مدخل المنزل من أقاربه المقربين ذكورا وإناثا، ويدخل إلى حجرة العروس التي تكون في انتظاره.

وجرت العادة في تلمسان عند دخول العريس إلى حجرته أن يسحب العبروق (المنديل) عن وجه العروس ويقبل جبينها[4]، وتدخل معه إحدى قريباتها لتساعدها على خلع المجوهرات والقفطان، ثم تخرج وأثناء ذلك تلبس العروس قميصا من الساتان (chemise de nuit) ليقوما بعملية فض البكارة.

---

(1) نواصيها: جمع ناصية و هي الشعر المسترسل على الجبهة. الخير: العاجل هو الربح و الغنيمة، و الأجر: و هو الثواب عند الله عز و جل.

(2) أبو عبد الله مصقد بن إسماعيل البخاري الجعفي- الصحيح، ج3-موفم للنشر، الجزائر دار الهدى للطباعة والنشر و التوزيع عين مليلة-1992- ص1047.

(3) البخاري- المرجع السابق-ص 1048.

(4) أنظر: guide touristique, de Tlemcen et sa région- p50.

*الدخلة:

يوم الدخلة أهم يوم بالنسبة للعروسين، إذ هو الحد الفاصل بين حياة اللهو و اللامسؤولية، و بين حياة الجد و المسؤولية والواجبات، حياة الرجولة والأبوة بالنسبة للعريس، و حياة الأمومة بالنسبة للعروس[1].

في يوم الزفاف يستعد الزوجان للقيام بهذه المهمة الصعبة، و التي يتوقف عليها مصيرهما منذ هذه اللحظة إما بالاقتران واستمرار الحياة المشتركة وإما بالافتراق والطلاق، إذا اكتشف أن العروس غير عذراء أي فقدت بكارتها لسبب من الأسباب.

ويتواصل الحفل سواء كان عن طريق الديسك جوكي « disque jockey » أو عن طريق جوق موسيقي أندلسي، أو عن طريق الغناء البدوي(الشيوخ). ويجتهد الحاضرون والمدعوون في إحداث الضجة، وتكون بالزغاريد والغناء والرقص، لينهي العريس مهمته ولا تسمع صرخات العروس، لأن " عادة ما تتسم ليلة الزفاف بالصراخ والعويل والبكاء والمقاومة، في حين يكون العريس في موقف يستعمل فيه الملاطفة واللين ليذهب بما في نفس الفتاة من توجس ووجل وخوف، وليرد إلى نفسها الطمأنينة والشعور بالألفة، ويعمل العريس على تهدئتها وتطييب خاطرها" [2]، عند فض البكارة[3] وإنهاء المهمة، تتعالى الزغاريد إشارة إلى أن الأمر قد تم، وأن العروس بكر وأن زوجها أبو عذريتها[4]، وإعلانا عن مكانة العريس الذي استطاع إثبات رجولته في تلك

---

[1] فوزية دياب–المرجع السابق– ص 292.

[2] محمد احمد النثيمي– الزواج قديما في الكويت– ط1– حقوق الطبع محفوظة– 1974– ص 57.

[3] الافتضاض يزيل البكارة بخرق غشاء البكارة المسمى أيضا بخاتم العذرية...الافتضاض إذن قد يكون دمويا أو مصحوبا بقليل من الدم (للتوسع انظر: مجموعة من الباحثين –الموسوعة الجنسية – العلاقات الجنسية عبر التاريخ– مكتبة الحياة – بيروت– ص 158.)

[4] عمر رضا كحالة– المرجع السابق– ص 85

الليلة الحاسمة، وعن قيمة العروس التي تمكنت من حفظ وصون عرضها وشرف عائلتها.

يبرز الزواج كذلك وظيفة سيكولوجية هامة،" وإنه يحدد، بفضل الزفاف والافتراع التقليديين التكامل النرجسي عند الرجل بينما يثبت، من خلال تكامل المرأة الجسدي، قيمتها المعنوية وقيمة منجبيها العلائقية " [1].

ويؤكد هذا أيضا هافلوك إليس إذ يقول: " يبدو أن المرأة اختصت بغشاء البكارة ليكون رمزا أكثر منه عضوا جنسيا، إذ هو يلعب دورا كبيرا من الناحيتين الاجتماعية والأخلاقية" [2].

"إن قيمة العرض قيمة أساسية جدا في حفظ كيان البناء الاجتماعي للجماعة ككل، ولذلك كانت المحافظة على عرض البنت وعفافها من أوجب واجبات الأمهات والآباء، وتأتي على رأس قائمة المشاغل التي تشغل أبدا بالهم، والتي تسبب لهم القلق الذي لا يبارح نفوسهم إلى أن تزف ابنتهم لعريسها"[3].

وبعد إنهاء المهمة، يخرج العريس متجها نحو مكان الحفل، لتابع السهرة مع أصدقائه وأحبائه، وتدخل أم العروس أو من تنوب عنها لتأخذ المحرمة. فبعدما كان يرقص بالقميص الملطخ بالدم، وإشهاره في غرفة الزوجين لمدة طويلة، أصبح اليوم سريا أي لا يراه إلا العائلات المهتمة: كأم العريس وأم العروس فقط. فعادة رؤية القميص وإشهاره عادة قديمة قد تلاشت في المدن نظرا لتطور الوعي الديني والحس الحضاري.

---

[1] نور الدين طوالبي– المرجع السابق– ص 48.

[2] الشذوذ الجنسي – منشورات دار محبو للنشر والطباعة– بيروت– ص 187.

[3] فوزية دياب– المرجع السابق– ص 276.

وبعد ذلك يقدم الأقارب والمدعوين التهاني لأهل العرس والعروسين، والغرض منها إدخال البهجة والفرح عليهم ومجاملة الزوجين مما يزيد الألفة والمودة، وهي معان يحرص عليها المجتمع كثيرا[1].

*الوليمة (المأكولات والمشروبات):

الوليمة سنة مشروعة لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى ﷺ عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة، فقال: ما هذا؟ فقال: **تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب**، فقال: **بارك الله لك! أولم ولو بشاة**" [2].

من مظاهر الاحتفال بيوم العرس في تلمسان المدينة إطعام المدعوين والحاضرين، والطبق المشهور عند حضر تلمسان هو الحريرة، والبرقوق أو الزبيب(العنب المجفف) باللحم مع اللوز المقلي إضافة إلى أنواع من الفواكه وبعض المشروبات. ورغم غلاء المعيشة إلا أن هذا لم يمنع أصحاب الوليمة من التنويع في المأكولات الخاصة بهذه الليلة." ولاشك أن هذا يكلف الكثير، فهذه المناسبة عبارة عن إعلان عن الوضعية الاجتماعية، بل من أجل تأكيدها أكثر فأكثر وهذا لمحاولة قيام العائلة بإظهار القيمة الكبرى لنفوذها وأهليتها"[3].

كما قد يرجع هذا إلى التأثيرات الخارجية على الحضارة العربية اليوم، والرغبة بالتشبث بالتقليد، كذلك نتيجة للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، وازدياد الثروات[4].

---

[1] محمود مهدي- تحفة العروس أو الزواج الإسلامي السعيد- ص 160.

[2] محمود مهدي- تحفة العروس أو الزواج الإسلامي السعيد- المرجع السابق- ص 160.

[3] مسعودة كمال- المرجع السابق- ص 92.

[4] نبينا جميل- المرجع السابق- ص 178.

لقد أصبحنا نرى أن العديد من الأشخاص يقومون باستعمال المناسبات لنقل رسالة غير مخطوطة إلى المجتمع تذكر بمستواهم الاجتماعي والمالي الجديد فيزداد التفنن بطرق إعداد الطعام وطرق عرضه وتقديمه[1].

وما يثير الدهشة، أن حتى الفقير أصبح يسعى لإقامة مأدبة عشاء فاخرة، والتي تكون في أغلب الأحيان عن طريق الاستدانة والاقتراض، " فيتكلف فوق طاقته قاصدا بذلك تكثير الطعام وتحسينه، لئلا يعاب عليه بتقصير عن القدر الذي أولْمَ به جاره..." [2].

نستخلص مما سبق أن التنافس بلغ أقصى حدوده – في المدينة خاصة– أثناء تنظيم حفل الزفاف، والقيام بإجراءاته، فأهالي تلمسان يتباهون ويفتخرون بإقامة عرس فخم، والغاية من هذا الشهرة والرياء، ومما قد ينتج عنه: الإسراف والتبذير، وهذا ما ينهانا الله عنه في قوله:" إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ". الإسراء 27.

بعدما كانت الاحتفالات والولائم تتم بعفوية وبساطة، أصبحت اليوم تعرف مظاهر البذخ والتعقيد، وتدعو إلى تكاليف ومصاريف كثيرة، وفيها بدع خارجة عن السنة النبوية الشريفة، فلا بد أنه تقليد ومحاكاة للنماذج الغربية.

*الغناء والرقص :

واكب الغناء الإنسان منذ القديم، ولازمه حتى قبل أن يتكلم حيث كان يقلد أغاريد الطيور، وهمسات الغابات، وخرير المياه وأمواج البحر وغيرها من الأصوات.

كما استطاع أن يصنع بعض الآلات الموسيقية البسيطة من القصب والشجر، وجلود الحيوانات، المشدودة على الفخار، أو جذوع الشجر المفرغة،

---

[1] المرجع نفسه– ص 178.

[2] عمر رضا كحالة– المرجع السابق– ص 79.

ونجد أن هذه المزامير والطبول والدفوف مرسومة بذاتها، أو هي قريبة الشبه بالرسوم التي خلفها القدماء المصريين منذ آلاف السنين[1].

واستعان الإنسان بالرقص، وهو بجميع أنواعه وحركاته، مستمد من رقصات الإنسان البدائي منذ أقدم العصور، والذي لا زالت تمارسه بعض القبائل التي تعيش حتى اليوم في ظروف أقرب إلى البدائية، فلو أمعنا النظر في الآثار التاريخية الموروثة منذ العصر الحجري، لظهر لنا العديد من الرسوم والنقش والتماثيل، لأقوام يرقصون، فالرقص قديم بل وقديم جدا، قدم الإنسان نفسه... [2].

والرقص وسيلة للترفيه والتسلية، ثم هو وسيلة لتدفع الإنسان عن طريق تراكم شحنات حرارية لديه لتشوقه للعمل في اليوم التالي[3]، كما هو وسيلة أيضا تقربه إلى مولاه، كان ذلك المولى عملا أو بشرا حسبما تفرضه الظروف خلال التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية في التاريخ، ومع مرور الزمن تغيرت وسيلة التقرب هذه فصار الإنسان يتقرب بها لحبيبه أو معبودته، أو كما شاء حسب ظروف الزمان والمكان[4].

يصبح بذلك الرقص الشعبي مفهوما لا يعني مجرد تحريك الجسد والأطراف بقصد الدوران وضياع القوت، ولكنه يعني أكثر من ذلك، فهو وسيلة للتسلية والمتعة، ووسيلة للتحفيز للعمل، ووسيلة للتعبد وغير ذلك... .

الغناء والرقص و التصفيق سلوكات قديمة قدم الإنسانية، والإنسان بطبعه ميالا للهو والحركة، فهذا ما جعله دائما تواقا لإظهار الفرح والغبطة في المناسبات السارة كالأعراس والأفراح والموسيقى مظهر من مظاهر الاحتفال

---

(1) حسين عبد الحميد- أحمد رشوان- الفلكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع- 1993- ص 110.

(2) الموسوعة الجنسية-العلاقات الجنسية عبر التاريخ - ص 65.

(3) حسين سالم باصديق- التراث اليمني - مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء- 1990- ص 139.

(4) المرجع نفسه- ص 261.

بيوم الزفاف الذي هو مناسبة يلتقي فيها الأهل والأحباب في تجمع يسوده الفرح والسرور.

إلا أن طقوس إجراء وتنظيم الاحتفال بيوم الزفاف بتلمسان تختلف من منطقة لأخرى أو بالأخص من عائلة لأخرى، فهناك من العائلات من يستدعي الجوق الأندلسي لإحياء هذه المناسبة، وهناك من يكتفي بإقامة سهرة ينشطها "ديسك جوكي "(Disque jokey) تتنوع فيها الأغاني من الأندلسي و" الراي " و الفلكلور " القلال ".

وما يلاحظ في احتفال تلمسان المدينة بيوم الزفاف أنه يغلب الطابع الأندلسي في أغانيهم، ويحتل الصدارة الأولى من اهتماماتهم، ولعل السبب في ذلك " أن جمال الطبيعة التي يعيشون في حضنها واندماجهم بالأندلسيين الذين هم الآخرون يكلفون بالطبيعة والموسيقى، أو تشجيع ملوك بني زيان لهذا الفن، كل ذلك بث فيهم هذا الحب الذي توارثته الأجيال خلفا عن سلف، وأمكنه أن يصل إلى أيامنا هذه، فإن " تلمسان " لتعد الوارث الأمين لهذا التراث الثقافي"[1].

" إن فن الموسيقى الأندلسي الغرناطي انتقل إلى تلمسان مع المهاجرين الأندلسيين الذي نزلوا بها واستوطنوها، وأنه تكونت بها مدرسة موسيقية خاصة بها حافظت على جانب كبير من التراث الفني العتيق " [2].

ونستنتج مما سبق أن مختلف الشعوب التي تعاقبت على حكم تلمسان تركت بصماتها على عادات وتقاليد مدينة تلمسان المتعلقة بالاحتفال بالأعراس، فتعاقب هذه الثقافات طبعت الذاكرة الجماعية و بثت فيها حب الموسيقى الأندلسية فتعمقت وتأصلت في جذور النفس البشرية المحلية.

---

[1] محمد بن عمرو الطمار– المرجع السابق– ص 259.

[2] محمد بن رمضان شاوش– المرجع السابق– ص 403.

*مكان إقامة الحفل (الصالة):

جرت العادة أن يجري الاحتفال بالزفاف في فناء دار العريس، أو في منزل أحد أقربائه، إذا كان منزله ضيقا، بينما اليوم استبدل المكان بصالة كبيرة مؤجرة، ومخصصة لهذا النوع من المظاهر، أو في فنادق ذات شهرة مؤكدة.

وقد يتفق كل من عائلة العريس وعائلة العروس على ضم وسائلهما المادية، وإحياء حفل مشترك في صالة كبيرة مجهزة، لاستقبال المدعوين من أقارب وأحباب وجيران، وهم يحرصون على أن يظهروا تلك الحفلة على غاية من الأبهة والعظمة والتفاخر والمباهاة.

وثمة عدة مؤشرات تسمح بتقييم ذلك و لعل من بينها نوعية جهاز الفتاة في الدرجة الأولى، إذ تتطلب العصرنة، إضافة "نوعية المصدر" إلى كمية الأثواب والحلي[1]، "وهذه الملابس التي صنعت خصيصا لحفلات الزفاف، تمتاز بتنوع الأنسجة، وثراء المادة الأولية، والتفنن في الزخرفة، والتحكم في التقنية، بما يضفي عليها طرافة خاصة، توحي إلينا دون شك ببعد رمزي يكمن فيه السحر الخفي لذوق ساذج يناقضه نزوع بارز إلى التباهي " [2].

" وتحتل عادة " رفع الحجاب" عن العروس، أو ما يسمى " بالجلوة" مكانا مركزيا في حفلات الزفاف، وقد طورتها التقاليد، على مر العصور، لتجعل منها مناسبة تتجاوز بكثير مجرد الكشف عن وجه العروس لعريسها، وفرصة تنتهز للتباهي بتلك الحلي والملابس الفاخرة أمام النساء المدعوات لحفل كبير" [3].

---

[1] نور الدين طوالبي– المرجع السابق– ص 117.

[2] Fetiha HarzAllah -opcite….- p4

[3] ibid-p4

ومما هو جدير بالذكر أن تكون ملابس العروس مفاجأة، لا يفصح عنها قبل إجراء مراسيم احتفالات الزواج المتفق عليها، وذلك لإثارة الدهشة وجذب الانتباه يوم " التصديرة " [1].

وبالرغم من ذلك، إلا أن هذه الألبسة تعد الجزء العريق بالنسبة لثقافة تلمسان حيث العمل التقليدي النسوي يلعب دورا هاما في باب الإنتاج المحلي كونه يفيد الأصالة والمحافظة على التراث الشعبي في الميدان الفني الإبداعي "كالكراكو" و«القسنطينية» و«الرّدا»، و«البلوزة التّلمسانية»، وغيرها من الألبسة التقليدية.

الكراكو

القسنطينية

[1] التصديرة : عرض العروس ملابسها(جهازها).

البلوزة العربية

بعد ذلك تأتي كلّ الاستعدادات الأخرى التّي ستجعل من الزّواج هذا الحدث الذّي نودّه أن يكون خالد الذّكر : طبع بطاقات دعوة توزّع بسخاء، تحضير وليمة باهضة الكلفة و استدعاء فرق محترفة و غيرها.[1]

لقد أصبحت احتفالات الزّفاف في المدن مثلها مثل الاحتفالات الغربية، يكثر فيها الإسراف و التّبذير[2] ، والغاية منها إظهارها في أبهى حلل الذّوق والرّونق و الجمال، و اكتساب الشّهرة ليبقى هذا الحفل خالد الذّكر.

و مثل هذه الأمور لا تجري في مدن الجزائر فقط بل في معظم المجتمعات العربية الأخرى كتونس مثلاً، فيقول عثمان الكعّاك من خلال بحثه «التقّاليد التّونسية» :«هذه عادات الزّواج إلى عهد قريب...و هي تدعو إلى تكاليف ومصاريف، و فيها بدع خارجة عن السّنة. و صار الزّواج يتعذّر على الكثيرين، و يحدُو الكثيرون إلى التدين أو حتّى الإفلاس».[3]

---

(1) نور الدّين طوالبي – المرجع السّابق – ص 117.

(2) S Belhassen–Femme tunisienne islamiste- –XVIII Edition CNSRS Paris- 1980- P 91 Annuaire de l'Afrique du Nord

(3) التّقاليد التّونسية – النّشرة الثّالثة الدّار التونسية للنّشر – 1981 – ص 93.

و ما هو جدير بالذكر انّ تغيّر مكان الاحتفال (الصّالة) في المدن، ليس بسبب ضيق المكان في البيوت، بل تتدخّل أسباب نفسية اجتماعية و ثقافية كما أشرنا إليها سابقًا كعرض الجهاز الفخم من تقليدي و عصري، و التّباهي بتقديم مأكولات و حلويات شهية، مع عرض فرق محترفة مشهورة تنشّط هذا الحفل. و كلّ هذا من أجل الإعلان عن الوضعية الاجتماعية و القيمة الفنية لأصحاب الوليمة.

كما قد تكون لتغيّر مكان الحفل (الصّالة) أسباب و دواعي أخرى و تتمثّل في:عدم قدرة أصحاب الوليمة القيام بأعباء هذا الحفل (و نخصّ بالذكر المرأة). كالطّبخ والغسل و التّنظيف و استقبال المدعوّين (الأقارب) الذّين يسكنون بعيدًا، فيضطرّون للقدوم إلى العرس مبكّرًا (قبله بيومين أو أكثر).

وهناك سبب آخر لا يقّل أهمية عن الأسباب الأخرى ألا و هو حبّ الاختلاط بين الجنسين و قد تعرّض لهذا نور الدّين طوالبي فيقول : إنّ السبب كما يزعمون، أنّ هذه الصّالات تتميّز باتّساع مساحتها المفتقدة في المنازل الأسرية، لكنّ أساس المشكلة هو أنّ الرغبة في الإلحاح على ضيق البيوت الخاصّة لا يبرّر بتاتًا ضخامة النفقات المصروفة.تدخّل عوامل أخرى لا تقلّ أهمّية مثلاً : «انّ الفصل بين الجنسين هو أمر مستوجب تقليديًّا في هكذا احتفالات»[1].

لقد أصبح الاحتفال في الصّالات يجمع الجنسين معًا، فيجلس العريس وعروسه في مقدّمة الصّالة على أريكتين من النّوع الرّفيع، و يجلس المدعوّون في وسطها و مؤخّرتها. فيرقص الجميع ذكورًا و إناثًا على نغمات الموسيقى الصّاخبة، و تكون النّساء بأجمل الثّياب و الحليّ و العطور الزكيّة، فيظهر التّنافس بينهنّ لأنّ كلّ واحدة تريد أن تكون أجمل و أشيك من الأخرى. إضافة

[1] التّقاليد التّونسية – المرجع السّابق – ص 117.

إلى ما تعرضه العروس، من ألبسة فاخرة متنوّعة منها التّقليدي ومنها العصري في هذه اللّيلة و التّي تسمّى بالتّصديرة، والتّي كانت تخصّ النّساء فقط اعتادت الأمور اليوم على أن تجمع الجنسين معًا.

و لعلّ لمثل هذه الأمور مساوئ و أضرار و التّي تتمثّل في :

- تطلّع الأجانب (الرّجال) على عورات و زينة النّساء و هذا ما يعارضه ديننا الحنيف طبقًا لقوله تعالى : « وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» النّور:31.
- الرّقص مع الأجانب: و هذا عيب و عار لأنّ الرّقص «هو هزّ البطن والأرداف، و التّلاعب بالأذرع، و التّمايل ذات اليمين والشّمال، و يرافق كلّ ذلك ابتسامات ناعمة، و اهتزاز للشّعر، و غمزات بالعين و نحو ذلك، و لا شكّ أنّ بعض هذا الرّقص يعتمد على الإثارة الجنسية، و بالطّبع هو نطاق الأخلاق العامّة، و تعاليم الدّين، و هو الذّي رفضه العلماء. »[1]

إنّ الموضة (Mode) (العصرنة) جعلت المجتمع ينظر إلى مثل هذه الأمور بعين التّسامح. لقد انغمست النّفس البشريّة و غاصت في أحوال و عوائد الغرب، حتّى أفسدت حضارتها، و أتلفت هويّتها و تخلّت عن شخصيتها وأصالتها. «فالانهماك في الشهوات، و الاسترسال فيها لكثرة التّرف من مفاسد الحضارة».[2]

---

[1] أبو القاسم سعد الله –1تاريخ الجزائر الثّقافي من القرن العاشر إلى الرّابع عشر الهجري (16–20 م) – الجزء الثّاني – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – الطبعة الثانية – 1985 – ص 459.

[2] ابن خلدون– المقدمة – دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع– بيروت –لبنان –1422ه 2002م– ص 355.

لقد غيّرَ المدنيون لباس التّقوى، و لبسوا لباس الرّذيلة فغاب الحياء والاحتشام، وتلاشت عادات الآباء والأجداد و حلّت محلّها عادات غريبة الأطوار مجهولة الأصل.

لقد بلغ التّفاخر و التّباهي ذروتهما عند الحضر حتّى خرجا عن مسالك وطرق الدّين الإسلامي، سواء ما تعلّق باللّباس، أو الأكل، أو الغناء و الرّقص والاختلاط بين الجنسين و غيرها و يقول ابن خلدون : «و أهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاّذ، و عوائد التّرف، و الإقبال على الدّنيا، و العكوف على شهواتهم منها، قد تلوّثت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق و الشرّ، وبعدت عليهم طرق الخير و مسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك، حتّى لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة في أحوالهم، فتجد الكثير منهم يقذعون في أقوال الفحشاء في مجالسهم، و بين كبرائهم، و أهل محارهم، لا يصدّهم عنه وازع الحشمة، لما أخذتهم به عوائد السّوء في التظاهر بالفواحش قولاً و عملاً»[1].

إن انتهاك المقدس و زواله (الحشمة و الوقار) الأمر الذي يمهد إلى بروز المدنس الذي يتجلى في الدوافع الغريزية المكبوتة، فتخرج معبرة عن ذاتها لتنهك المحظور و المحرم.

يقول التيجاني القماطي في مقالة المقدس و العنف :

"إن احتفالات الزواج بما هي معايشة للمقدس في رمز الزواج كتجدد للحياة يذكر بلحظة الخلق، تتخللها حالات انتهاك لبعض المحرمات بإيعاز ممن هم أمناء عليها، فالبنت تشجع على انتهاك محرم إسدال الشعر ومحرم الزينة، والزوجة بثوبها الخليع الكاشف عن المفاتن تجسم هي الأخرى فعل الانتهاك[2].

---

[1] ابن خلدون– المقدمة – المرجع نفسه–ص 128.

[2] مجموعة من الباحثين –الإنسان و المقدس دار محمد علي الحامي للنشر و التوزيع –تونس–ط1 –1994–ص78

و يبدو لنا من خلال الاحتفالية بالزفاف تحلل المقدس و تلاشيه و ذلك إذا نظرنا إلى القضية من زاوية علاقة الأنا العربي بالأنا الغربي، لوجدناها قائمة على الانبهار بالآخر على أساس أن الضعيف مولع بتقليد الغالب كما ذهب إلى ذلك ابن خلدون.

و ما هو جدير بالذكر أيضا أنّ مثل هذه الاحتفالات لا تجري سوى في المدن، بينما يبقى الرّيفيون متمسّكين بعادات آبائهم و أجدادهم : كالحشمة والوقار و عدم الاختلاط... و لا شكّ أنّ هذا التحوّل (العصرنة) الذّي حدث في المدن أقحمته إلى البيوت تكنولوجية العصر : كوسائل الإعلام المرئية، و تطوّر المواصلات ممّا سهّل احتكاك الشعوب ببعضها البعض و تبادل الثقافات فيما بينها.

زيادة إلى عنصر مهمّ ألا وهو: الاستعمار الفرنسي الذّي ترك بصماته وآثاره على العقل البشري، فلم يستطع الإنسان الجزائري أن يتحرّر من أفكاره وعوائده. «رغم عنف المقاومة ضدّ المستعمر، فإنّها لم تقض بالطبع على التسرّب التّدريجي، إلى البلد، للنّماذج الغربية التّي انسابت طيلة مئة و ثلاثين عامًا من التّعمير الاستعماري. نتج عن ذلك أنّ فترة الاستقلال الوطني تطابقت مع ثابتة سوسيولوجية قوامها انسلاخ ثقافي دمغ السّكان المدنيّين خصوصًا، على نطاق واسع، و هؤلاء بقوا كما نعتقد، أكثر قربًا إلى النّماذج الغربية من أمثالهم الرّيفيّين».[1]

[1] نور الدين طوالبي– المرجع السّابق – ص 60.

المبحث الثالث: طقوس الاحتفال بيوم الزفاف في الريف

إنّ الوقت المناسب للزّفاف أو العرس في الغالبيّة العظمى في القرى والأرياف هو فصل الصّيف، لأنّه من أحسن الفصول نظرًا لجفافه، و انعدام هطول الأمطار فيه. كما أنّه فصل عطلة.

عادة ما يكون الأربعاء هو يوم «الحنَّا»، و يجري الاحتفال به بنفس الطّريقة التّي تجري في المدن، من حيث طقوس ربط «الحنَّة» و تخليطها. إلاّ أنّ شكل الحنّاء في يدي عروس الرّيف، تختلف عن الشّكل (الزّخرفة) الذّي تحمله عروس المدينة،فعروس الرّيف تُخضّبُ بطريقة تقليدية كلاسيكية أي بدون زخارف هندسية و نباتية.

ربط الحناء بطريقة قديمة

أما يوم الزّفاف فيكون يوم الخميس عادةً، كما هو الحال في المدن. و من مظاهر الاحتفال به أن يجتمع الرّجال و النّساء في بيت العريس للتّعاون، و هي ما تعرف بظاهرة «التّويزة»، حيث يتمّ تقديم الإعانات و المساعدات التّي تتمثّل في إعداد الأكل، و غسل الأواني، و استقبال المدعوّين و غيرها...

إضافة إلى مساعدات ماديّة كتقديم بعض الهدايا من «كباش» و دقيق، وسكّر وحلويات و غير ذلك... فالرّيفيون يدركون تمامًا ما للتّعاون من قيمة كبرى في حياتهم اليوميّة.

إلاّ أنّ في بعض الأحيان، نرى أنّ هذه العمليّة «قد يشوبها شيء من التّفاخر بين الشّباب، كلّ يُريد أن يدفع أكثر ليكون هو أكثر كرمًا من غيره، إضافة إلى كونه قد سجّل دينًا في خدمة العريس يرجعه لهُ في مناسبة مُماثلة..».[1]

لكن عملية التبادل الاجتماعي لا يمكن تفسيره في إطار المصلحة الفردية وحدها. و على الرغم من أن ليفي ستراوس لم ينكر أن المصلحة الفردية قد تكون موجودة فانه رآها غير كافية لاستمرار العلاقات الاجتماعية القائمة على التبادل. لان استمرار التبادل الاجتماعي يعتمد على قوى أعلى من الفرد هي القوى الجماعية و الثقافية. و بالتالي فان التبادل الإنساني مسالة رمزية، لا مجرد مصلحة ذاتية. فالناس مثلا في كثير من المناسبات (مثل الزواج) يتبادلون الهدايا تمشيا مع العادات و التقاليد، وليس بغرض الكسب من وراء الهدايا التي يستلمونها، و هكذا رأى ليفي ستراوس في عملية التبادل شكلا مجتمعيا للتبادل، و نظاما أخلاقيا، بدلا من كونها مجرد عملية مصلحيه ذاتية فردية قائمة على حاجات اقتصادية و نفسية. [2]

1-طريقة تزيين العروس:

*لباس العروس:

الأزياء كثيرًا ما تتشابه من حيث شكلها العام على الجسم. فكلّها لها أكمام، و فتحته و رقبة و أحزمة. إلاّ الذّي قد يميّز زيّ عن زيّ الألوان و الزّخارف (الطّرز)، و طريقة تفصيلها، و كيفية ارتدائها.

.إنّ زيّ عروس الرّيف يختلف تمامًا عن لباس عروس المدينة الذّي تعرّضنا له سابقاً. إذ تلبس هذه الأخيرة لباسًا أبيضًا يُعرفُ «بالبْلوزَة العَربيّة».

---

[1] محمد عجاج- أعراف و مراسيم الزواج في قرى الشمال العربية التراث الشعبي – العدد الأوّل – ص 33.

[2] علاء الدّين كفافي – المرجع السّابق – ص 417

ولعل هذه الكلمة مشتقة من كلمة الفرنسية "blouse" و يعرفها maurice le loir بأنها فستان نسوي عصري طويل، مطرز الصدر، ويجعل نطاق المرأة بارزا [1]. يصنعُ من عدّة أقمشة، إلاّ أنّ بلوزة العروس (العْباية) تكون من نوع خاصّ يصلح في مثل هذه المناسبات السّعيدة، مثل قماش «التَّرْصيعْ»[2] يطرّز صدرها و ظهرها «بالعْقيقْ» و«السّْماقْ» وفي بعض الأحيان «بالفَتْلة» أو «بالمَجْبودْ».

البلوزة العربية

(184) Maurice le loir, Dictionnaire du costumeet de ces accessoires des armes et des etoffes des origines à nos jours, achevé et realisé sous la direction de andré dupuis préface de georges g toudouze, librairie grund -1951-Paris-p31

(2) التَّرْصيع : (تلبيس) إضافة مادة ثمينة إلى أخرى أقلّ منها قيمة للتحلية، مثل الترصيع بالذّهب أو الفضة أو الأحجار الكريمة (أنظر : قاموس المصطلحات الأثرية و الفنية – حلمي عزيز الدّكتور محمّد غيطاس – ص 61).

ومن الطّقوس المرعية، تفادي لبس الحزام ليلة الزّفاف، باعتباره عائقا يمنع المرأة من أداء دورها الجنسي ليلة «الدُّخْلَة»، و هو نفس الاعتقاد الذّي يجري في المدن.

و من طقوس الاحتفال بيوم الزّفاف في الأرياف و القرى، أن تلبس العروس لباسا ابيضا، فلهذا اللّون مكانته و قدسيّته في ثقافة الرّيفيين، لدرجة أنّه ارتبطت دلالاته بالمعتقد الشّعبي. «لقد صار اللّون الأبيض كائناً متحرّكًا ومؤثّرًا في الوقت نفسه، وظنّوا أنّه يجلب الخير، ويحقّق السّرور والحياة».[1]

كما تلبس أمّ العريس و أمّ العروس أيضًا ألبسة بيضاء و ذلك ترميزًا إلى الفرح والسّعادة، و الطّهارة و النّقاء و صفاء القلوب.

*الحلي و المجوهرات

يرافق زينة العروس (اللّباس)، التحلّي ببعض الحليّ «كالزرّوف»، «المسكية»،الجوهر والمسبيعة، و الأقراط (المناقش)، و الخواتم.(سبق و أن تعرضنا لوصف هده الأنواع من الحلي).وعروس الريف تكتفي بالحلي الذي اشتراه لها زوجها و الذي يعد جزء من مهرها.

*تزيين وجه العروس بالمساحيق و طريقة تسريح شعرها

بعدها تتولّى إحدى قريباتها إسباغ مظاهر الزّينة على وجه العروس باستعمال المساحيق (المكياج) من كحل، و أحمر الشّفاه و غيرها، ثمّ تسرّح لها شعرها و تسدله على كتفيها. فإطلاق الشّعر عند الرّيفيين يجعلها لا تتعرّض للرّبيط، و بالتّالي هو إشارة لتسهيل عمليّة فضّ البكارة في الاعتقاد السائد.

إلاّ أنّ ما نلاحظه اليوم، ان هناك تغيّرا طرأ على عادات تزيين العروس الرّيفية فأصبحت تقتني و تفضّل اللّباس الأبيض الغربي الأصل، حيث تقوم

[1] غمشي بن عمر –المخطوط السّابق – ص 114.

باقتراضه من محلاّت خاصّة بهذه الأنواع من الألبسة، ثمّ تذهب عند الحلاّقة لتصفّف لها شعرها، و تقيم لها تسريحة جميلة تليق بهذا الزيّ الأوروبي.

اللباس الأبيض الاروبي

نستنتج مما سبق أنّ طقوس الزّفاف و تقاليده بالمناطق الرّيفية لم تسلم من اندثار جزء منها، و دخول أخرى عليها رسّختها في العقول، و أقحمتها في البيوت عوامل متعدّدة : كتوفّر طرق المواصلات، و الاحتكاك بالمدن، و وسائل الاتصال الجماهيري خاصّة المرئي منها الذّي أدّى إلى التعرّف على العادات، وبالتّالي تبادل الثّقافات بين الشّعوب.

2-وصف الاحتفال

*زفّة عروس الرّيف :

بعد سماع صوت المنبّهات الذّي هو إعلان عن اقتراب الموكب الذّي سينقل العروس لبيت الزّوجية تسدل عليها إحدى قريبتها «الحَايَكْ»، ثمّ تخرجها امرأتان : واحدة من أقاربها، و الأخرى من أقارب العريس، فتجلس في السيّارة المخصّصة لها و هي مزيّنة بالورود.

و يرافق العروس لبيت زوجها كلّ أقاربها ما عدا أبوها. «و مردُّ هذا الكبرياء أنّ الأب لا يمكنه حضور فضّ بكارة ابنته، كما يمكن تفسير ذلك أيضًا بالخوف من العار أو الفضيحة إذا اكتشفت أنّ ابنته غير بكر».[1]

و هذه الحالة تشابه العادة الموجودة في صعيد مصر إذ تقول فوزية دياب : «إنّ ذهاب الأهل مع العروس يُثير شكّ أهل العريس، ثمّ هناك تعليل آخر و هو تخفيف الصّدمة عليها إذا اكتشفت أنّ العروس ليست بِكْرًا».[2]

و لعلّ هذا التّشابه في العادات بين مصر و الجزائر يرجع إلى هجرة القبائل الهلالية من صعيد مصر إلى شمال إفريقيا في عهد الدّولة الفاطميّة، والهجرة من الجزائر إلى مصر في بداية تأسيس الدّولة الفاطميّة و بعدها. أو لنقل إنّه يرجع إلى كون الحاضر التّاريخي و الاجتماعي واحد للأمة العربية.[3]

و عند وصول الموكب، يستقبل أهل العريس العروس و من جاء معها، بحفاوة وحسن استقبالٍ و إكرام، «فأهل البدو أكثر إكرامًا من أهل المدينة».[4]

*زفّة العريس :

بعد خروج العريس من الحمّام، يأتي سيرًا على الأقدام، أو على مَتنِ سيّارة، يُرافقه أصدقاؤه و أقاربه، و هم ينشدون و يهلّلون، و عند وصوله تُزغرد النّساء، و تستقبله أمّه أو أخته، و تقوم ببعض الممارسات الشّعبية (سنتطرّق لها في الفصل الثالث). ثمّ يدخل مباشرة إلى حجرته التّي تكون فيها عروسه.

---

[1] الطيّب بن هاشم–المخطوط السابق–ص 46.

[2] المرجع السّابق – ص 296.

[3] الطيّب بن هاشم –المخطوط السّابق – ص 46.

[4] ابن خلدون – المرجع السابق – ص 128.

*الدّخلة : (عملية فضّ البكارة)

من عادات و تقاليد الرّيفيين أنّ العريس يحرص بشدّة و حزم على افتراع العروس بأسرع ما يمكن، بعكس عريس المدينة الذّي يتمادى في الحديث مع عروسه، و مداعبتها إلى أن يصل إلى تحقيق هدفه.

و من طقوس إجراء هذه العملية، أن يقف على باب حجرة «مُولاي السُّلطان»[1] وعروسه رجل يدعى «الوْزيرْ»[2] و يكون عادة حاملاً بندقيّة.

و إن حاولنا الاستفسار عن هاتين التّسميتين : « مُولاي السُّلطان والوْزيرْ» فقد يرجع إلى أنّ العريس هو المَلك و السّلطان الآمر و النّاهي فهو سيّدُ هذا اليوم. و«الوْزيرْ» هو من اتّخذه السّلطان وزيرًا ليقدّم له خبرته و تجربته في هذا الميدان. لأنّه رجل متزوّج سبق له أنْ أقام الفرح و عاش هذه الظّروف حتّى لا تقع مفاجآت يخشاها السّلطان و أهله.

كما قد يرجع سبب هذين التّسميتين أيضًا إلى ما تُخفيه النّفوس من رغبة في التحرّر من رقّ العبودية و تحكم الاستعمار، فرجل المنطقة يتّخِذُ لنفسه سُلطانًا و يقيم له مملكة يكون فيها حاكمًا و لو لوَقتٍ قصيرٍ و مدّة محدودة، فالسّلطان حاكم و حكمه مطلق، و شبيه به حكم الاستعمار المطلق في الجزائر، فكان الشّعبي يتمنّى أن يكون حاكمًا و لو لمدّة يوم واحد، و قد تحقّق هذا الأمل، فصار الشّعبي حاكمًا في نفسه و وطنه.[3]

و مباشرة بعد الاختلاء، أي بعد دخول العريس إلى حجرته يشرعُ في عمليّة فضّ البكارة. فيتجلّى العنف، و تستسلم العروس لهذا الفعل الشّنيع لأنّها

---

(1) «مُولاي السُّلطان» : العريس.

(2) «الوْزيرْ» : هو رجل من أقارب العريس أو أحد أصدقائه و يكون متزوّجًا ليرشد العريس، و يُقدّم له الإعانات إذا تأزّم الوضع.

(3) الزّاوي التيجاني – الأغنية الفلكلورية في مسيردة مضامينها و فنياتها – رسالة ماجستير – جامعة وهران معهد اللّغة و الأدب العربي – 87 – 88 – ص 182.

عادة فرضها العرف، و اتّبعتها الجدّات و الأمهات سابقًا. و كم منهنّ تعرّضن لحالات كثيرة من النّزيف فالدّخلة ليس للمتعة بل هي تضحية و الدّم الأحمر الكثير يعبّر عنها.[1]

فلا يخرج العريس قبل انجاز مهمّته، و كلّما طال انتظارهم يزداد التوتّر، و التهجّم و الخوف، و في كثير من الأحيان ينجزُ مهمّته خلال الدّقائق الأولى من الخلوة. فالهدف كما يقول محمود مفلح البكر «في هذه اللّيلة ليس المتعة، وإنّما إدراك المهمّة الخطيرة».[2]

في تلك اللّحظة (الدّخلة) يكون أهل العروس في حيرة و ارتباك و قلقٍ وتوتّرٍ، كما يتلّهفّ أهل العريس إلى معرفة أخبار العذريّة « لأنّهم يُحبّون أن يتيقّنوا أنّهم اختاروا عروسًا تعدُّ بحقٍّ ثروة و مكسبًا من النّاحية الاقتصادية أو الجمالية مثلاً».[3]

كما يشكّل التماس غشاء مهبلي بكر بالنّسبة للبنت ليلة الزّفاف ضمانة لحُسن أخلاقها و أحيانًا لا مفرّ من ذلك، لبقائها.[4]

و بعد إتمام الأمر «كِتَتْهَنّى لعروسة» على حدّ تعبير أهل منطقة تلمسان أي بعد فضّ البكارة، يخرج العريس فتعلو الزّغاريد، و يطلق «الوْزيرْ» طلقات نارية إعلانًا على أنّ الأمر قد تمَّ، و على أنّ العروس بكر.

كما قد يعود استعمال البارود أيضًا لطرد الشياطين و الأرواح الشرّيرة التّي قد ترافقه عند خروجه حسب اعتقادات الرّيفيين. فلا يجوز للعريس أن

---

(1) للتوسّع انظر : Faouzi Adel (la nuit de noces ou la virilité piégée famille d'hier et d'aujourd'hui) INSANIAT- Revue Algérienne d'anthropologie et des sciences sociales N°4 janvier – avril, 1998 (vol II ; 1) CRASC P 12.

(2) محمود مفلح البكر – المرجع السّابق – ص 45.

(3) فوزية دياب – المرجع السّابق – ص 301.

(4) نور الدين طوالبي – المرجع السّابق – ص 49.

يمشي وحده، لأنّ هذا قد يلحق به الأذى، لذلك يرافقه «الوْزيرْ» عند اتّجاهه لمكان الحفل لتكملة السّهرة.

و نفس الاعتقاد يجري في مجتمعات عربيّة أخرى ففي اعتقادهم" أنّ العريس عندما يخرج من عند عروسه، يكون محطّ أنظار الشّياطين، كلّ يُريد أن يصله، و يضربه، و يسمّونه (ملخوخ)، فلا بدَّ من حراسته من شرّ الشّياطين، فهذه الطلاقات تُبعِدُ الشرّ عن صاحبهم."[1]

و من طقوس هذا الاحتفال أيضًا أن تدخل الأمّ أو من تنوب عنها لحجرة العروس لتأخذ المنديل (القْمَجَّة) من ابنتها. فتُشهره و ترقص به، و تزغرد احتفالاً بصون العرض والمحافظة على الشّرف، فهذه الفرحة لا تغمرها أيّ فرحة، ولا تعادلها أيّ أخرى – لأنّها على حدّ تعبيرهم – «حمّرَتْ وْجَهَّا ووُجَهْ وَالديهَا». و بعد ذلك تأخذه لوالدها لتثبت نقاء العروس و عفَّتِها.

و نفس العادة موجودة في العراق، فأوّل من يدخل على العروس أمّها أو من تنوب عنها، لتسترّد منها المناديل البيض، بل تُخضّبها بدم البكارة، و تُسلّمها بدورها لأمّ العريس،لإشهارها و تبقى معها منديلاً، تحمله معها إلى والد العروس و أخواتها وأقربائها و جاراتها إثباتًا لنقاء العروس، و لصون عرضها.[2] و هو أيضًا علامة وإشارة لنصرة الشرف و تثبيته و المحافظة على قيم و معايير الجماعة.[3]

و نستنتج ممّا سبق، أنّ نشر القميص و إشهاره له مكانته و قدسيته، في كلّ الثّقافات، و هو دليل على محافظة العروس على غشاء بكارتها أثناء عزوبتها،

---

[1] محمد عجاج– أعراف و مراسيم الزواج في قرى الشمال العربية – التّراث الشعبي – العدد السابق – ص 30.

[2] محمود مفلح البكر – المرجع السّابق – ص 46.

[3] انظر : Faouzi Adel : opcite-P 12.

كما أنّه دليلٌ على الطّهارة و النّقاء، و المحافظة على شرف العائلة، كما أنّه أيضًا رمز لتمكّن العائلة من تربية بناتها تربية حسنة، و إعدادها إعدادًا صالحًا.

*الوليمة(المأكولات):

ما يميّز عادات الرّيفيين عن عادات المدنيّين الخاصّة بالمأكولات الشّعبية التّي تقدّم في يوم الزّفاف هو عجن الخبز، حيث تجتمع النّسوة في دار العريس صباح يوم العرس، و تقمن بعجْن الخبز و طهيه في «الكانون».[1] فلهذا الأخير نكهة خاصّة تُميّزه عن الذّي يشترونه من عند الخبّاز.

و بعد ذبح الذّبائح، تقوم النّساء بإعداد «الشُّربة» و أطباق أخرى مثل «اللّحم بالزّيتون»، أو «اللّحم بالزّبيب» أو «باللّوبية الخَضْرَ». فالملاحظ عدم التقيّد بأيّ طبق معيّن بل تتنوع المأكولات حسب عادة كلّ عائلة، و حسب المستوى المعيشي لكلّ أُسرةٍ.

*الأغاني و الرّقص في الرّيف :

إن الرّيفيين لا زالوا يحافظون على الطابع الشّعبي أثناء احتفالاتهم بيوم الزّفاف، و من مظاهر هذا الاحتفال: الأغنية الشّعبية التّي لا زالت تحافظ على مكانتها و قيمتها في المجتمع الرّيفي. «فهي تعبّر عن مشاعر النّاس في شتّى ألوان الحياة و صنوف العيش، و تخدم إلى حدٍّ بعيد الأهداف التّي ترمي إليها، ولكنّ الجميل أنّ هذه الأغنيات لها معانيها الجميلة و الطّريفة، كما أنّها توضّح جانبًا من تقاليد المجتمع».[2]

---

[1] الكانون : هو فرن تقليدي يصنع من التّربة.

[2] محمد عبد الفتّاح إبراهيم – المرجع السّابق – ص 173.

يتلوها الرّقص الذّي هو بدوره تعبير عن الفرحة و البهجة و السّعادة في مثل هذه المناسبات، «كما أنّه مرآة تعكس تاريخ النّاس، و الأحوال الطبيعية التّي يعيشون فيها، و كذلك عاداتهم الخاصّة و الاجتماعية».[1]

فالرّقص و الغناء هما لبنتان من لبنات البنية الفوقية في المجتمع، يعكسا عادات و تقاليد الشّعوب، أي كيف كانوا ينظّمون احتفالاتهم، و يقومون بطقوسهم في سهراتهم، فهي إعادة للماضي ليأخذه الخلف عن السّلف.

و نحن نتناول الأغنية الشّعبية نخصّ بالذّكر «أغنية الصّف» وهي مشهورة في عدّة مناطق : مثل بني وارسوس، بني خلاّد، سبدو، صبرة وغيرها من المناطق الجزائرية الأخرى.

فما هي أغنية الصفّ و ما أصلها و من أين انحدرت ؟ ما سبب انتشارها في مناطق دون أخرى ؟

أ- اغنية الصفّ :

تعريفها:

هي أهزوجة نسويّة جماعية، تؤدّى عادةً في صفّين متوازيين، يُشترط أن يكونا متقابلين تتحكّمُ فيها الحركة في الاقتراب و التّباعد، و لذا من يرى الأداءَ من بعيد يُلاحظ تموجا منقطع النّظير يبعثُ فعلاً على الفرجة».[2]

---

[1] فوزي العنتيل – الفلكلور ما هو ؟ دراسات في التراث الشّعبي مكتبة مدبولي القاهرة – الطبعة الثانية – 1407 هـ – 1987 م – ص 143.

[2] بلعبّاس عبد القادر – أغنية الصفّ منطقة صبرة نموذجا جمع و دراسة – مخطوط ماجستير – مكتبة الثّقافة الشّعبية تلمسان 2002 – 2003 ص 30.

و لكلّ مجموعة من المجموعتين المتقابلتين دور تؤدّيه أثناء الأداء، فالأولى تُردّد الجملة الغنائية و الثّانية تُردّد اللاّزمة الختامية.[1]

و ما نلاحظه في هذين المجموعتين هو وجود انسجام و تضامن بين النّساء في الصفّ. و الصفّ في حدّ ذاته يعني «ذوبان الفرد داخل الجماعة، و هو دلالة على الانصياع و طاعة الأوامر، و كثيرًا ما نسمعُ فلان دخل إلى الصفّ للدّلالة على تمثّله للجماعة و نكرانه للذّات».[2]

و أغنية الصفّ شكل غنائي يحرّكه الإيقاع المتميّز النّاتج عن ضرب البندير و الدّربوكة بحيث يلعبا الدّور الأساسي فيه (خاصّة البندير). و قد جرت العادة في منطقة بني وارسوس مثلاً. عند قدوم الرّبيع تبدأ النّساء في صنع هذه الآلات لتحضيرها و تجهيزها للعرس. و هي حرفة و مهارة و فنّ تعرف بها النّساء القرويات في المنطقة. فهنّ يعرفن كيف ينتقين الجلد الذّي يُصنع منه البندير، و يكون عادة من جلد الماعز. و قبل أن تأخذ المرأة هذا الجلد و تلصقه على الإطار الخشبي بواسطة البيض و العجين، تصنع عقدًا من العقيق الرّقيق فوق الإطار الخشبي و ذلك ليعطي رنينًا قويًّا و طنينًا و لعلّ هذا قد يزيد من تحريك المشاعر و الأحاسيس فيجعل المتفرّج يشارك بالرّقص و الغناء والتّصفيق.

و لعلّ ما يُلفتُ الانتباه هو أن يحمّل شكل البندير عادة برسومات من خلال لون الحنّاء. و أهّم الأشكال التّي ترسم على البندير عادةً هي : النّجمة الخماسية

---

[1] اندريه باريس– ترجمة حسن جلاب–من فنون الرقص الشعبي التراث الشّعبي – العدد الثّاني عشر –دار الجاحظ– السنة العاشرة–1979 – ص 54.

[2] محمد تحريشي- رقصة الصف بين الفرجة و المرجع الثقافي - تراث – تراث معنوي (غير مادّي) مواد، وثائق ودراسة نماذج سلسلة التراث الثّقافي رقم 4. مركز البحث في الأنتربولوجيا الاجتماعية و الثقافية – دفاتر المركز رقم 8 – 2004 – ص 6.

الهلال، الصّليب. و قد ترمز هذه الأشكال إلى «الذّاكرة الدّينية بترسباتها المختلفة النّازلة منذ القدم».[1]

يصاحب أغنية الصفّ رقصة الصفّ و هو رقص جماعي شعبي تبادر إليه الأهالي من تلقاء أنفسهم، فينتظمون في صفّين يتلاقيا ثمّ يبتعدا، و الشرط هو أن يستويا في الصفّ و هذا دليل على التّماسك و التّضامن بين سكان المنطقة كما أشرنا إليه سابقًا.

و قد يثيرُ هذا النّغم و الإيقاع حفيظة الرّجل، فيأبى إلاّ أن يشارك بدوره في هذا المقام، و هو يحمل بندقية أو عصا تُساعدُه على أداء الحركات. و" الرّقص عادة استنهاض و نداء لتجديد العناء و رفع همّته الفنّية و هو مصحوب بتصويتات غير مفهومة و لكنّها خطاب إلى الصفّ للحفاظ على مستوى جيّد من الغناء."[2]

و ممّا هو جدير بالذّكر أنّ مشاركة الرّجل في هذا الرّقص تقتصر إلاّ على من له علاقة قرابة بالعريس كأحد إخوته، أو أعمامه، أو أخواله. ففي الرّيف لا يختلط الرّجال بالنّساء أثناء احتفالاتهم بالأعراس، لكلّ منهما مكان خاص بهم، حتّى أنّنا كثيرا ما نرى أنّ مكان احتفال الرّجال بيوم الزّفاف يكون في منزل أحد الجيران. و يقول نور الدّين طوالبي في هذا الشّأن: «ففي مختلف الاحتفالات المرافقة للطّقوس العامّة المشتركة كانت فيها الجماعة النّسائية محجوبة باستمرار عن أنظار الذّكور».[3]

---

[1] الزّاوي – المرجع السّابق – ص 67.

[2] المرجع نفسه– ص 188.

[3] المرجع نفسه– ص 107.

أصل أغنية الصف

أغنية الصفّ ذو أصل مغربي، و تسمّى أيضًا «باحيدوس»، و هي كلمة أمازيغية، و تعني الرّقص الشعبي الجماعي الأصيل اصطلاحا.[1]

اقتحم هذا الفنّ الجزائر بعد الأربعينات بقليل تزامنًا مع هجرة المغاربة إلى التُّراب الحدودي الجزائري و كان جُلّهم من الشّلوح، و بني زناسن، و هم في الأصل قبائل أمازغيّة، فأدخلوا معهم عادات، و تقاليد عديدة، وثقافة متشبّعة تأثَّرَ بها السُكان الأصليون، و من جملة ما تأثّروا به أغنية الصفّ.[2]

و «أغنية الصفّ أغنية نسويّة جماعية، ذات أصل أمازيغي، لا ريبَ أنّها تكون منحدرة من أصل القبائل الأمازيغية المنتشرة على جبال الأطلس، وسهول بني زناسن...».[3]

كما«تعتبر بالأصل أهازيج لرقصات فلكلورية أمازيغية شلحية لقبائل الشّلوح «بني واسن» بالمغرب، و فروعها المنتشرة عبر الشّريط الحدودي المغربي، من مرسى بن مهيدي إلى نواحي عين الصّفراء».[4]

سبب انتشارها في بعض المناطق و انعدامها في أخرى:

و لعلّ السّبب في كون هذه الأغنية تتردّد في بعض المناطق (أي من مرسى بن مهيدي إلى نواحي عين الصّفراء)، و تنعدم في مناطق أخرى كوهران و قسنطينة والجزائر العاصمة و غيرها، لأنّها لا تقع بعيدًا عن الحدود الجزائرية المغربيّة، و هي مجاورة لأحفير، وجدة، النّاظور(مناطق مغربية)، وهي تُمثّل كلّها وحدة مناخية وجيولوجية، و بينها تقارب جغرافي و حضاري.

---

(1) عمر امرير– مدخل لدراسة الرقصات الامازغية – التراث الشّعبي – العدد الثّاني عشر –وزارة الثقافة و الاعلام– دار الجاحظ–السنة العاشرة–1979 ص 75.

(2) بلعبّاس عبد القادر –المخطوط السّابق – ص 34.

(3) عمّار يزلي – الأهازيج النسويّة – رسالة ماجستير – مكتبة الثّقافة الشعبية – تلمسان – 1990 – ص 50.

(4) عمار يزلي –المخطوط السابق– ص 53.

موضوعات أغنية الصفّ :

موضوعاتها كثيرة و متعدّدة، و ما يهمّنا في هذا البحث الأغاني الخاصّة بالاحتفال بيوم الزّفاف. فهي لم تنشأ لمجرّد التّعبير بالبهجة عن تلك المناسبة السّعيدة، و إنْ كان هذا هُو الغرض الأوّل و الأخير من وراء التغنّي بها عند أهل الرّيف، فمن يُمعن النّظر في هذه الأغاني، يجدها تُعبّر تعبيرًا مباشرًا عن مثل و قيم اجتماعية تحكّمت في الرّيف منذ القدم، و ما تزالُ تتحكم فيه حتّى اليوم، و يمكننا أن نلخّص تلك المثل و القيم فيما يلي:

- مراعاة صفات معيّنة عند اختيار الخطيبة (كعراقة النّسب و الأصل، المهارة في تأدية أعمال البيت، حسن الخلق كالحشمة و الحياء-الطّاعة-الرّزانة...)،

و الأغاني الشعبية الخاصّة بالزّفاف في معظمها مملوءة بالتّفاؤل و الغبطة، تدعو للحبّ، للتقرّب من الحبيب بذكر المحاسن كوصف جمال العيون، والخدود و الرِّجل «السَّاقْ»، و التغنّي بالحسب و النّسب، و هذا ما يرغّب أكثر في الاقتران و التّزاوج، و من أشهر هذه الأغاني[1] :

يا فَاطِمة مُولاتْ السّاقْ الزِّين
دِرِي السَبَّا هَوَّدِي للعيــنْ
أدّاها و خْدُودْهَا وَرْدِيَّـــــة
بَنْتْ الجْدُودْ و العْمُومِيــه
لعروسه و النّصَرْ طاح عْليكْ
بْنَاتْ عمَّكْ قَاعْ دَارُوا بِيكْ
أَدَّاهَا مُولْ اللَّويزْ الرَّاشــي
أَبَــاشْ يْحَمَّــقْ الغَاشِــي

[1] جمعت هذه الأغاني عن السّيدة رحمة : 70 سنة. تسكن بمنطقة بني وارسوس.

كما هناك أغاني توجّه للعريس. و قد اعتبرها الباحثون بأنّها «إعداد نفسي لا غنى عنه للعريس يُهيِّئُهُ للفعل الخصبي، الذّي من أجله تُقامُ الاحتفالات مدّة سبعة أيّام، يستمرُّ الرّقص، الغناء و العزف فيها عدّة ساعات كلّ ليلة قبل أن تبلغ ذروتها يوم العرس»[1].

ومن هذه الأغاني :

هــَذْ اللّيلــة لِيلتْـــكْ آخُويــَا
أقُومْهَــا بْلَتَــايْ و النَّعْنَــاعْ
المْرَاحْ طْويــلْ أُمــَا عَرْضُــو
و الحْمَامْ يْــرُوجْ في وَسْطُو
الدَّارْ عَالْيَة و جْنــَانْ مُرَاهَا
وَرّيوْني شْكُــونْ مــُولاَهَــا
آمُحمّد يــا مــُولْ الخَنَــاتْ
اللاَّ عْليكْ أشَّحْنُــوا لَبْنــَاتْ
يَا مُحمّد يا تَــزْدَامْ الرِّيــش
أَنَــرْفْـــدَكْ أُمَ تْعَيــِّنيــش
أبَلْمْبَارِكْ أَمُولاَيْ السَّلْطَانْ
هَذِي حْمَامة دَاخْلَــة لــدَّارْ
أَمُولايْ السَّلْطانْ سَلَّمْتْ عْليهْ

أوَ الوْزيرْ وَاشْ عَنْدِي فِيهْ

و من الأغاني التّي هي أشدُّ تأثيرًا في النّفس، تلك التّي يمتزجُ فيها الألم بالسّعادة أي سعادة العروس بيوم زفافها، و ألمها لمفارقة أهلها و ذويها. فيكون

[1] محمود مفلح البكر – المرجع السّابق – ص 121.

ذلك اليوم آخر يوم تقضيه في حضن عائلتها فتبكي العروس عند سماعها لهذه الأغنية التّي تقُول :

يَا فاطمة طَلْعِي صبَّاطَكْ

اللُّــوطُــو البَيْضَة جَايَّ تَدّيكْ

أَلَمِّيمَة آدْعِ لـــي بَصْبَــرْ

رَانـــِي مَــاشْيَــة ونَخْلَــيِّــكْ

يــَا حْنَا جينـــَا نَدّيوْهَــا

تْهَلّـــوْا فينـــا يَــا مَّليــهَــا

يا سَعْدْ يَمَّاهَا مَا رَبَّــاتْ

جَاوْا الرّْجَالْ ادَّاوْهَا وَمْشَاتْ

أرَاكْ أَدِّيتْهَا بَنْتْ فَامِلِيّة

أتْــهَــلَّـــى فــالنــّْسُــبيــهْ

يبقى هُنا أن نتساءل لماذا تبكي العروس، و هي في جوّ يجب أن تكون سعيدة ؟ هل لأنّها ستفارق عائلتها أم هناك أسباب أخرى أعمق منها و إن وُجدت فما مدى حضورها في المخيال الشّعبي ؟

هناك عدّة رموز لبكاء العروس يوم زفافها (أثناء الزفّة) و من بينها :

- تبكي العروس على فراق أسرتها من الأب الذّي حبا على تربيتها، و الأمّ التي غمرتها بحنانهَا الصَّادق الدّافئ و إخوتها و أخواتها الذّين عوّدوها على الألفة و المحبّة، و تبادل الحديث.
- و هناك من يرى أن بكاء العروس أثناء زفّتها يرمز للإخصاب. فهو فأل للحظّ السّعيد كما أنّه إشارة للحشمة و الوقار. و يؤكد على هذا الاعتقاد عمر بلعيد المزوغي من خلال بحثه فيقول : «إنّ بكاء العروس ضمان لاستمرار الرّخاء و المطر و الإخصاب في موطن الجماعة الحاملة لهذا المعتقد...كما

أنّه استمرار للحشمة أو الحسب كما يقولون، والقحط والجفاف ونهاية الحياة لا يُصاب بها إلاّ قوم غابت عليهم الحشمة، و قلَّ منهم الحسب...».[1]

من هذا النصّ يتبيّن لنا أنّ هناك تقارب بين الدّموع والمطر لكن هل حقيقة أنَّ الدّموع تُشير و ترمز للمطَر (الإخصاب) ؟

إذا رجعنا إلى الأحلام باعتبارها رموز، نجد نفس التصوّر و التّفسير الذّي يجري في الذهنية الشعبية. فكثيرًا ما تفسّر أمّهاتنا الدّموع (إنسان يبكي) في الأحلام على أنّها إشارة إلى الغيث و تساقط الأمطار و ظهور الفرح لأنّه يحصل فيه الخير و البركة.

و نفس التصوّر يورده بعض الباحثين،فيقول عمر بلعيد مزوغي:" إذا قرأنا كتاب في تراثنا القديم «نهاية الإرب في فنون الأدب» لجمال الدّين أحمد عبد الوهّاب و هو كتاب مصري تناول التصوّرات الشعبية يقول: «بصدد التصوّر الشّعبي حول نزول أبينا آدم و أمّنا حوّاء من الجنّة، قد نزلت بالأراضي المقدّسة، و من دموعها حزنًا على خروجها من الجنّة قد نبت القرنفل و أشجارٌ كثيرة»[2].

و نستنتج ممّا سبق أنّ لبكاء العروس ليلة زفافها رموزا متعدّدة، تعدّدت وظائفها حسب نظرة و تصوّر كلّ مجتمع، فهي رمز للحشمة و الوقار، و دلالة على الحنان والعطف ورقة المشاعر، وإشارة إلى هطول الأمطار والإخصاب.

ب- <u>حفلة التّقْصرة (القلاّل) أو (الشّيُوخْ) :</u>

تُقامُ حفلة «التّقْصرة» يوم الزّفاف في القرية و الأرياف، في ساحة أمام الدّار ليلاً.

---

[1] عمر بلعيد المزوغي –احتفالات و تقاليد الزواج–مجموعة من الكتاب –حلقة العناصر المشتركة في المأثورات الشعبية في الوطن العربي – ص 395.

[2] المرجع نفسه– ص 396.

«يلعبُ فيها رجال على الأقلّ ثلاثة، واحد يضرب على «القَلاَّلْ»، و اثنان ينفخان في بوق يُسمّى القصبة، و قد يزيدُ عددهم على ذلك، و يكون من بينهم من يُغنّي، و يُقال لهم الخمّاسون».[1]

كما ترافق هذه الفرقة امرأة محترفة للرّقص، و تُسمّى «الرقّاصة»، تلبس لباس تقليدي يتمثّل في «بلوزة الزّعيم»[2] و تضع على وجهها منديلاً شفّافًا مطرّزًا بالسّماق، كما تجعل حزامًا على أردافها ليساعدها على أداء الحركات، وجذب انتباه المتفرّجين وابْتزاز أموالهم.

و يرتدي الرّجال «الشّيوخ» زيًّا تقليديًّا يتمثّل في «الرزّة»[3] و«القَشَّابة»[4].و يكون وسطهم «البرّاح» الذّي يصيح قائلاً –بعد أداء كلّ مقطع من الأغنية– «بركات بركات، هذي تبريحة من عند فلان ولد فلان ڤالّك مبروك عليك يا مُولاي السُّلطان...رَبِّ يَخْلَفْ» و بعد هذا تنطلق النّساء بالزّغاريد ويضع البرّاح الدّراهم في «صينية» من نحاس وتواصل الرقّاصة رقصها، والكلّ مندهل و معجب بحيويتها و براقة لبسها و سرعة حركاتها، فيُصبحُ المتفرّجون عرضة للفتنة و الاستفزاز، لدرجة أنّهم أصبحوا يدسّون أوراقهم النقديّة في صدرها.

و ما هو جدير بالذّكر أنّ «الغرامة»، تعتبر دينًا على العريس لا بدّ من تسديدها عند دعوته هو الآخر إلى مناسبة مماثلة.

إلاّ أنّ حاليا، قل هذا النّوع من الحفلات حتّى في الرّيف، و ذلك بسبب التطوّر الاجتماعي، و ظهور الوعي الدّيني، لأنّ في مثل هذه الاحتفالات يكثر الفسق و اللّهو وشرب الخمر، و الإسراف و استفزاز الأموال.

---

[1] شاوش رمضان – المرجع السّابق – ص 384.

[2] بلوزة الزّعيم : قماش مطرّز بالسماق و العقيق.

[3] الرزّة : العمامة.

[4] القَشَّابة : العباءة.

المبحث الرابع: الصّباحية (السّابع، الحزام)

1-تعريف الصباحية:

هو صباح اليوم الذّي يأتي بعد يوم الزّفاف، و يكون عادة يوم الجمعة، وفي الصّباحية يهدي العريس لعروسه هديّة تتمثّل في حلية من الذّهب «كعقد» أو «زَرُّوف» أو خاتم أو «لويزة»، و قد تتمثّل أيضًا في مبلغ من المال خاصّة في القرى و الأرياف.

و السّؤال الذّي يطرح نفسه هنا ما هي أبعاد الهديّة و إلى ماذا تُشير ؟

2-رموز الهدية:

للهديّة في يوم الصّباحية عدّة رموز و من بينها:

- تكون مجاملة للعروس.
- تكون عربون المحبّة و المعاشرة و الوفاء.
- تعتبر رمزًا لصون العروس عرضها، والمحافظة على شرفها (غشاء بكارتها). [1]

و هديّة الصّباحية غير مقتصرة على المجتمع الجزائري فحسب، بل موجودة أيضًا في مجتمعات عربية أخرى، «ففي قرى الشّمال العربيّة، يقدّم العريس لعروسه مبلغًا من المال، و تُسمّى الصبحيّة، و يكون تفاخر بين النّساء بكثرة ذلك المبلغ، لأنّه يدلّ على مدى حبّ الزّوج لها، و مدى مكانتها عنده، ومنهم من يُضيف لها فوق هذا المبلغ النّقدي أشياء عينية غالبًا ما تكون من الحيوانات كأن تكون بقرة، أو عددًا من الأغنام، و هذه الحيوانات توشم بوشم خاصّ بها، و يحتمل أن تشتري بالمبلغ أيضًا أغنامًا لتصبح صاحبة مال في

(1) OUGOUAG kezzal –opcite– P 292.

البيت، و هذا المال ملك شخصي لها، لا أحد لهُ حقّ التصرّف به عداها، و حتّى بعد وفاتها يرثه أبناؤها من بعدها..».[1]

و سمّي هذا اليوم أيضًا «بالسَّابعْ» لأنّ الزّفاف بلغ اليوم السّابع و يحتفل به عائلة الزوج و عائلة الزّوجة معًا، و يرتبط به عادات لا بدّ من مراعاتها، والتزامات يتحتّم القيام بها، خلال هذه المدّة الزمنية : كعدم قيام العريس والعروس بأيّ عمل، عدم خروجهما لوحدهما، عدم بقاء العروس في البيت لوحدها (خطّاف لعرايس)، و غيرها من هذه الاعتقادات السّائدة في المجتمع التلمساني.

و نفس الاعتقاد يجري في العراق «فلا يقوم العريس و عروسه بأيّ عمل غير الفعل الخصبي، خشية أن يرتكب أحدهُمَا شرًّا أو يتعرّض لمكروه، و لذلك لم يكن يسمح للعريس خلال أسبوع بقطع طريق، أو النّزول إلى واد، و لا يسير خارج بيته إلاّ و معه عدد من الشّباب الأشدّاء يحرسونه، كي لا يتجرّأ أحد على خطف عقاله، أو غطاء رأسه، فيدنّس «ملكيته» المقدّسة التّي تعلّق عليها الآمال».[2]

كما يسمّى هذا اليوم أيضًا بيوم «الحْزَامْ»، و يتمُّ الاحتفال به و فق بعض الإجراءات، و الطّقوس المعيّنة و الخاصّة به. و سُمّي «بيوم الحْزامْ» لأنّ في هذا اليوم يُحزّمون للعروس. و قد نتساءل عن سبب الحزام، لكن قبل هذا يجدر بنا أوّلاً أن نعرض وظائف الحزام.

---

[1] محمد عجاج– أعراف و مراسيم الزواج في قرى الشمال العربية – التراث الشّعبي – العدد الأوّل – ص 29.

[2] محمود مفلح البكر – المرجع السّابق – ص 44.

3-وظائف الحزام :

للحزام وظائف متعدّدة في الثّقافة الشعبية منها :

***وظيفة تتعلّق بالجانب الأخلاقي :**

إنّ عدم ارتداء المرأة للحزام –في نظر الرّيفيين– يجعل مَفَاتِنَ جسدها تظهر، و يعتبر هذا الأمر خرقًا لعاداتهم و تقاليدهم، و هي عادة قديمة لكنّها لا زالت سائدة إلى يومنا هذا. «فالبدويّون يرون أنّ هناك عيبًا في عدم ارتداء البدويّة للحزام أمام النّاس، و أنّ خلعه يعني نوعًا من إظهار مفاتن المرأة البدويّة وإظهارًا لأجزاء جسمها، و الواقع أنّ الحزام يُساعد على إخفاء منطقة البطن بالذّات، و هم يعتبرون أنّ ظهور هذه المنطقة أمرًا طبيعيًّا».[1]

***وظيفة تتعلّق بالجانب الجمالي :**

للحزام وظيفة جمالية أيضًا، لأنه يُساعد على حفظ القوام، و إظهار الرّشاقة. فعندما يتمنطق الحزام على بطن المرأة (النّطاق) تبدو جميلة رشيقة.

***وظيفة تتعلّق بالجانب العملي :**

يُساعد الحزام المرأة على الخفّة و سرعة الحركة أثناء القيام بالأعمال المنزلية أو الخارجيّة كجمع الحطب أو إحضار الماء من العين، أو جمع المحصول و غيرها...

***وظيفة تتعلّق بالجانب الاعتقادي :**

يُمثّل الحزام مكانًا تضع فيه المرأة حرزًا، أو حجابًا أو تميمة ليحفظها من الشّر، و يبعد عنها الأذى. كما يجري الاعتقاد أيضًا أنّ عدم ارتداء المرأة للحزام يعرّضها للطّلاق، أي استعماله : «بَشْ المْرَا مَتْهَجَّلْشْ» على حدّ تعبيرهم (أيْ لا تتطلّق).

---

[1] نصر ثريا – المرجع السّابق – ص 68.

4-طقوس لبس الحزام و أسباب استعماله في هذا اليوم:

تَرتبطُ بهذا اليوم عادات لا بدَّ من إتباعها، و مراعاتها، فتقضي التّقاليد سواء في الرّيف أو المدينة أن يزور أهل العروس ابنتهم في صباح هذا اليوم حاملين معهم أنواعًا من الحلويات و المكسّرات، تحملها الفتيات في أوان وصوان و يدخلن بها منزل العريس بالزّغاريد و الغناء.

في هذا اليوم تُعيدُ العروس الحضرية (المدينة) لبس القفطان و تُضيف إليه الفوطة والحزام، يُلّف الحزام فوق الفوطة مرّتين حول الجسم ليمسِكَ الفوطة، ثمَّ يقبض عن طريق مسّاك صلب (سبقت الإشارة إلى هذا).

أمَّا في الرّيف فَيُحَزِّمْنَ للعروس بحزام معدني فوق «البلوزة»، و يجب أن يكون لونها أبيض، فلهذا اللّون مكانته وقدسيته في ثقافة الرّيفيين فهو رمز للطّهارة و النّقاء والنّجاح في مختلف مجالات الحياة.

و من طقوس و عادات «الحْزَامْ» أن يقوم ولد صغير بوضعه على نطاق العروس و بعد ذلك يُسلّم عليها و تعطيه مبلغًا من المال.

إنّ اختيار الولد للقيام بهذه المهمّة فأل خير و ترميزٌ لإنجاب الذّكور (بَاشْ رَبِّ يْعَمَّرْ عْلِيهَا) على حدّ تعبيرهم.

و بعد الجلوس على مأدبة غداء، تقوم أمّ العروس و إحدى قريباتها بإعداد القهوة والشّاي، و توزّع الفتيات أنواعًا من الحلويّات «كالمقروط» و«القْريوَشْ» و«كعب غْزال» و غيرها من الحلوّيات التّقليدية، فالحلاوة رمزٌ للسّعادة والنّجاح في الحياة الزوجية في اعتقاد أهالي منطقة تلمسان.

و في هذا اليوم أيضًا تُقامُ التّصديرة أي أن تغيّر العروس لباسها، بعد كلّ مدّة زمنية معيّنة سواء في الريف أو في المدينة. إلاّ أنّ ما هو جدير بالذّكر أنّ جهاز عروس المدينة (اللّباس) أجمل و أفخم، و أكثر تنوّعًا من جهاز عروس الرّيف، و المأكولات و الحلوّيات التّي يُحضّرها أهل عروس المدينة ألذّ و أكثر

تنوّعًا من التّي يُعدُّها أهل عروس الرّيف و يؤكّد على هذا مصطفى الخشّاب فيقول : «إنّ العائلة الحضرية أكثر تقديرًا للنّاحية الجمالية، تدرك آداب المائدة وتُقيمُ وَزْنًا للنّظام العّام، و الإتيكيت و الرّوح الاجتماعية المعاصرة، أمّا الأسرة الرّيفية فلا تزالُ بعيدةً عن كلّ أو بعض هذه المعاني و القيم».[1]

أمّا استعمال العروس للحزام في هذا اليوم فهو إشارة إلى انخراطها في الحياة الزوجية، و استعدادها لمواجهة تحمّل المسؤولية الملقاة على عاتقها من جهتين الماديّة والمعنوية.

- **<u>الماديّة :</u>** تتمثّل في الشّروع في الأعمال المنزلية من غسل و كنس، و طبخ، و عجن انطلاقًا من قولهم : «المْرَا اللّي مَا تْغَرْبَلْشْ دْقِيقْهَا، غِير تَرْجَعْ علَى ط.ْرِيقْهَا».[2]

فالمهارة و حسن التّدبير شرطان ضروريّان لاستمرار الحياة الزوجيّة ونجاحها، فالعروس التّي كانت ملكة لمدّة سبعة أيّام، يجب عليها ارتداء الحزام للشّروع في القيام بالأعمال المنزليّة.

- **<u>المعنويّة :</u>** الامتثال و الانظباط و تنفيذ الأوامر.

نستنتج من كلّ ما سبق، أنّ «الحْزَامْ» خاتمة لفترة راحة العروس، وإعفائها من كثير من الواجبات، لتبدأ بعد هذا اليوم في تحمّل المسؤولية، و القيام بما تفرضه قواعد الحياة الزوجيّة.

---

[1] دراسة المجتمع – مكتبة الأنجلو مصريّة – 1977 – ص 88.

[2] مثل يتردّد في منطقة تلمسان.

المبحث الخامس: يوم الحمّام

الحمّام ظاهرة حضارية هامة مثل ابرز عناصر العمارة الإسلامية إلى جانب المسجد. و يبدو أن مؤسسة الحمام ظهرت بالشرق في القرن السابع ميلادي مع الأمويين، و قد نشرها العباسيون ببلاد المغرب و الشرق الأوسط وشاعت باسبانيا، و أصبح الحمام نموذج العالمية الإسلامية [1].

و الحمّام هو مكان الاغتسال و التطهر. يسترد فيه المرء طهارته التي يفقدها نتيجة الوظائف الحيوية للجسم و التي تجعله في حالة نجاسة. فهو ينطوي على مفهوم عميق لرؤية الجسد لكل من الذكر و الأنثى[2].

1-تعريف يوم الحمام:

يجري الاحتفال بيوم «الحَمَّامْ» بعد مرور يومين إلى سبعة أيّام من الزّفاف. في هذا اليوم توجَّهُ الدّعوةُ لأقارب العروسين لمرافقة العروس إلى الحمّام، والذّي يكون عادة مخصّصًا لهنّ بعد أن يتمّ غلقه.

عند الوصول، تزغرد النّساء، و تشرع العروس في خلع ملابسها، ثمّ تلبس فوطة المنسوج[3] و القبقاب[4]، و تصطحبها امرأتان حاملتان الشّموع، تنطلق الزّغاريد و يتّجِهْنَ إلى داخل الحمّام (السّْخُونْ)، فلا يجوز للعروس أن تدخل

---

[1] صوفية السحيري بن حتيرة-الجسد و المجتمع دراسة انتربولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد دار محمد علي للنشر تونس-ط1-2008 ص 196(نقلاعن le goff-t truong n –une histoire du corps au moyen age-p 159)

[2] المرجع نفسه– ص 196

[3] فوطة المنسوج : قطعة من قماش المنسوج، مستطيلة الشّكل، تطرّز أطرافها، تستعملها المرأة لتغطية مفاتن أجزاء جسدها (أنظر : R. Dozy Dictionnaire des vêtements chez les arabes – P 106)

و فوطة المنسوج لها مدلولان مدلول يدلُّ على تواصل قيمة الصّناعة التّقليدية للمنسوج بالنّسبة للعروس، و مدلول آخر يتمثّل في اتّصاف المرأة التلمسانية بالإحتشام و الحياء.

[4] القبقاب : من ألبسة القدم : و هو عبارة عن قطعة من الخشب يحفر أسفلها لتكون الكعب، ثمّ يدقّ شريط من الجلد في المقدّمة لإدخال الأصابع فيه (انظر ثريا نصر – المرجع السّابق – ص 304).

لوحدها لتستحمَّ، لأنّ هذا في اعتقادهم قد يعرّضها لما لا يحمدُ عقباه كظاهرة المسِّ بالجنّ والشّياطين.

2-الملابس الخاصة بالحمام:

بعد الانتهاء من الاغتسال تلبس برنوسًا من القطن و قبقابًا آخرًا خاصًّا بالخروج، ثمَّ تلفّ رأسها «بالبْنيقَة»[1] و أخيرًا، تضع على البنيقة منديلاً أبيضًا مطرّزًا بأشكالٍ نباتية حريرية.

القبقاب

[1] البنيقة : أصل الكلمة بنق بمعنى شدَّ، و هي عبارة عن قلنسوة ترتديها المرأة بعد الحمّام، تصنع من القطن أو الساتّان، تطرّز بأشكال هندسية و نباتية (انظر : R. Dozy Dictionnaire des vêtements chez les arabes – P 91)

فوطة المنسوج

المنديل

البنيقة

تخرج العروس مصحوبة بالزّغاريد المتعالية، وتجلس على زربيّة توضع فوق الكرسي. ثمّ تشرع في عمليّة اللّبس.

أوّلاً تلبس ألبسة داخلية جديدة لم يسبق لبسها، ثمّ تُضيف بلوزة المنسوج، بعد ذلك ترتدي الحِزَام، وتتزيّن بأنواع من الحليّ والجواهر، ثمّ تضع على رأسها «بْنِيقَة» أخرى مخصّصة للخروج و تكون مطرَّزَة بخيوط ذهبية و يكون لونها فاتحًا، و في الأخير ترشّ نفسها بالعطر، كما ترشّ كلّ من يوجد في الحمّام فهذا في اعتقادهم رمز للفأل و الحظِّ السّعيد.

بعد ذلك يوزّعون أنواعًا من الحلويات «كالمَقْرُوط» و «القْريوَشْ» ثمّ تقوم العروس بدفع ثمن الحمّام لكلّ من جاء معهَا.

و أخيرًا ترتدي الحايك أو (الجلاّبة)، و يتّجهن إلى دار العريس لتكملة حفل هذا اليوم. بعد ذلك تشرع العروس في عرض ملابسها (جهازها)، و يُسمّى هذا «بالتّسَغْنِيسْ»[1]، ثمَّ تُقام مأدبة غذاء و يشربن القهوة و الشَّاي مع أنواع من الحلويّات التّقليدية.

ظاهرة الاحتفال بالحمّام غير مقتصرة على المجتمع الجزائري فحسب بل موجودة أيضًا في مجتمعات عربية أخرى كالعراق مثلاً

«بعد أن يمضي أسبوع على الزّفاف تحلّ بعده «حَمَّامْ السّبعة»، وفي هذا اليوم يؤجّر أهل العروس أحد الحمّامات العامّة الكبيرة، ويدعون جميع النّساء من أهل العريس، ويَذْهَبْنَ جميعًا مع أكداس من الطّعام، والحلوى والفاكهة، فيقضون النّهار في الحمّام في الأكل والاستحمام والرّقص والغناء لتسلية العروس».[2]

---

[1] الحاج محمّد بن رمضان شاوش – المرجع السّابق – ص 384.

[2] لطفي الخوري – المرجع السّابق – ص 192.

لكن الذّي قد نتساءل عنه لماذا تذهب العروس للحمّام قبل الزّفاف و بعده ؟ أو بصورة أخرى ما هي رموز و دلالات الاستحمام (الماء) ؟

3-رموز و دلالات الاستحمام:

ويجري الاعتقاد عند أهل منطقة تلمسان أنّ استحمام العروس في الحمّام رمزٌ للإخصاب أي (بَشْ المْرَا تَحْمَ) على حدِّ تعبيرهم. فبخار الماء الساخن يُساعدها على أنْ تَحْمِلَ بسُرعة.

ووجود العلاقة بين الماء والإخصاب يؤكدها الموروث الشعبي حيث قديما «كان الماء ً جزءًا من الرّمزية النّسائية مثل المياه الأزلية التّي تمثّلت فيها الأبوّة ثمّ الولادة».[1]

كما انه نفس الاعتقاد الذّي كان يجري في الثّقافة النّيُوليتية." لقد كان الماء رمز للتّكاثر و جريان الحياة، و هو يُساعدُ أيضًا المرأة على الإخصاب. في هذه الثّقافة ربطَ الإنسان الخصوبة بالمرأة التّي كانت ترعى الأرض، و البذور ثمّ بالحيوان، و تكاثره، و تحوّلت قوّة (المقدّس) إلى قوّة خصب تُمثّلها المرأة والآلهة، و قد ظهرت هذه الآلهة أوّلاً قبل الإله ممثّلة للقوّة المقدّسة التّي تضمّ أجزاء الكون في حناياها، كما تضمُّ المرأة جنينها، أو وَليدها، و لمْ يكن الرَّجل آنذاك يعرف دوره في الإخصاب، و لذلك كان يَرَى أنَّ المرأة هي المسؤولة عن التّكاثر و الخصوبة.".. [2]

فالملاحظ أن سلوكات الإنسان يغلب عليها طابع التقديس و ذلك من خلال ما يضفيه عليها من قداسة تتجاوز وجوده البشري لتنتقل إلى ما هو سماوي كوني الهي، و لذلك فقد شبهت المرأة بالأرض المزروعة و الأرض الأم، والفعل الجنسي بالزواج المقدس بين السماء و الأرض و البدار. [3]

---

[1] مانفرد لوركر – المرجع السّابق – ص 215.

[2] خزعل الماجدي – المرجع السّابق – ص 122.

[3] مارسيا الياد رموز و اشارات-ترجمة حسين كاسوحة منشورات بوزارة الثقافة-دمشق-1998-ص157

إن الحمام مكان يوحي بالإثارة الجنسية و هو تحضير للفعل الجنسي فهو في نفس الوقت مقدمة و خاتمة الأعمال الجنسية.هناك ترابط بين التطهر والجنسانية.كما تمثل دوره في تخفيف التوترات الجسدية و النفسية الناجمة عن الفعل الجنسي،فهو لعبة التكيف مع الروحي. [1]

ومن هنا يتحدد دور الطهارة، و يتضح جليا احتواء الغسل على معنى ميتافيزيقي، فهو بالتحديد أسلوب للتغلب على القلق و الاضطرابات بحيث يقوم بامتصاص القوى الغامضة المواكبة للجماع و الحيض و الولادة، و يمكن للإنسان بالتالي معاودة التحكم في جسده و السيطرة عليه و تأتي عملية الذهاب إلى الحمام للطهارة لمعاودة إخضاع تلك القوى الغامضة للسيطرة والتقنين والإدماج [2].

و قد يرمزُ الماء أيضًا إلى استمرار الحياة و الخير و الرّفاهية. «وقديمًا كانت تُوجدُ أحواضًا أمام المعبد من أجل الغسل الطّقسي عدّة مرّات «الماء للحياة جميعها و للخير و الرّفاهية»»[3]، و يُقِرُّ هذا القرآن أيضًا فيقول تعالى : «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» الأنبياء : 30.

كما يرمز الماء أيضًا للنَّظافة و الطَّهارة، و قد اهتمَّ الإسلام بهذا، وقد جاء في قوله تعالى: «وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ» الأنفال: 11.

نستنتج مما سبق أنّ ذهاب العروس إلى الحمّام (استعمال الماء) عمل يحمل في طيّاته (أعماقه) معانٍ و رموزًا كثيرةً. انه مكان العبور و الانتقال من النجاسة إلى الطهارة وهذه النجاسة قد تنتج عن الجنابة وعن الطمث والنفاس، وذلك للاستعداد للعبادة.

---

[1] صوفية السحيري بن حتيرة- المرجع السابق-ص197.

[2] المرجع نفسه -ص 198

[3] مانفرد لوركر-المرجع السابق- ص 88.

الفصل الثالث: الممارسات الشعبية الخاصة بالزفاف

المبحث الأول: الممارسات الشعبية الخاصة بالعروس و العريس

1. ظاهرة الحناء
2. الربيط
3. حرق البخور
4. سكب الماء

المبحث الثاني: الممارسات الشعبية الخاصة بوصول العروس إلى بيت الزوجية

1. الحرون والتمائم
2. تغطية العروس يوم الزفاف
3. حمل العروس وتخطي العتبة
4. استقبال العروس بالسكر ونثر الثمار والمكسرات أثناء وصولها
5. دخول العروس بيت الزوجية بالرجل اليمنى
6. إعطاء العروس الخميرة في يدها
7. تكسير البيضة بين رجلي العروس

المبحث الثالث: الممارسات الشعبية الخاصة بوصول العريس

1. مسح وجه العريس بالمنديل
2. إدخال خيط اللوز في عنق العريس ثم إخراجه سبع مرات
3. مرور العريس تحت رجلي أمه

المبحث الرابع: عادات الزفاف بين المحافظة و العصرنة

1. تعريف الأسرة وأنواعها ونظامها
2. أسباب تخلي الأسرة عن عاداتها وتقاليدها
3. أسباب تمسك الأسرة بعاداتها وتقاليدها

الطقوس و الممارسات الشعبية هاته هي في جوهرها عبارة عن جملة من العادات و التقاليد الشعبية القديمة، مارسها أفراد المجتمعات و الشعوب في مناسبات معينة، و ارتبطت في ذلك كله بعواطفهم، و ما يعبر به عن أفكارهم حتى أصبحت ذات سلطة و هيمنة على مستوى الممارسات، الشيء الذي جعل منها تتبلور في معايير قيمية، يستحيل إغفالها، أو التغاضي عنها لدى أفراد هذه المجتمعات.

وطبيعي أن توجد إعادة صياغة للاحتفاء بهذه الطقوس بما تمليه على الأفراد، وبما تجود به عليهم معطيات العصور، حتى يصبح ذلك كله من العناصر الثقافية التي يتميز بها مجتمع عن آخر و تتوارثه الأجيال عن بعضها البعض.

وقبل سرد هذه الطقوس و تحليلها يجب أولا تعريف الطقس مع ذكر أهم وظائفه.

تعريف الطقس :

إن كلمة طقس rite تشتق من الكلمة اللاتينية ritus وهي عبارة تعني عادات و تقاليد مجتمع معين كما تعني كل أنواع الاحتفالات التي تستدعي معتقدات تكون خارج الإطار التجريبي. [1]

تكمن دعوة الطقس في إثبات استمرارية الحدث التاريخي الشهير. فالطقس يميل أساسا من خلال تكرار و استدامة القواعد التي تثبته إلى تكريس ديمومة الحدث الاجتماعي أو الأسطوري الذي أوجده فهو استنادا إلى ذلك إعادة خلق و تحيين لماض غامض غالبا لكنه يأخذ معناه عند الدين يستخدمونه على انه فعل ديني. [2]

---

[1] نور الدين طوالبي– المرجع السّابق – ص 37.

[2] المرجع نفسه – ص 38.

وظائفه :

يبحث الاحتفال الطقسي عن مناسبة التقرب من القدرة الفوطبيعية التي تقلق وتهيمن في نفس الوقت وعندما يشعر الإنسان بشعور مبهم و محير يلجا إلى المقدس لينظم وضعه المشوش. وعن طريق الطقوس يتقرب من العالم المقدس و هو موضع تهدئة اضطراباته [1].

و الطقس يواصل لعب دور "إدغام" المجتمع في الوحدة الكونية. و ما يعطي القوة للطقس ليس معناه الأصلي و لا فاعليته الحقيقية و لا الأمان الذاتي الذي يمنحه، و إنما قدرته على تعديل المواقف من خلال تمتين تماسك الجماعة التي تقيمه[2].

[1] نور الدين طوالبي– المرجع السّابق –ص 38.

[2] فيليب لابورت تولرا–المرجع السابق–178.

المبحث الأول: الطقوس والممارسات الشعبية الخاصة بالعريس والعروس:

من الطقوس و الممارسات الشعبية ذات الجذور الدينية في الفكر الشعبي التخضب بالحناء

1-تعريف الحناء:

تعرف الحناء " Henné " في اللغة العربية بحناء حناءة ج حنان. و لها أسماء أخرى مثل الفاغية، أرقان الشيان- فغز- الغلام و غيرها[1].

أ- وصف النبات:

الحناء نبات شجيري معمر، مستديمة الخضرة، غزيرة التفريغ ذو اللون الأحمر البني يصل طولها إلى 03 أمتار، الأوراق بسيطة هشهاشة، و عند النضج تعطي لونا أحمر بني يصل طولها 04 سم رمحية الشكل[2].

ب- التركيب الكيميائي:

أوراق الحناء تحتوي على مواد جليكوسيدية منها اللاوسون(Lawsone) و الهيدروكس و نفثوكينون، لها دور أساسي على التأثير البيولوجي طبيا، و كذا مسؤوليتها على الصبغة و اللون، و تحتوي الأزهار على زيت طيار زكي الرائحة و مواد قابضة و مطهرة هامة[3].

ت- أصل الحناء و انتشارها:

يعود أصل الحناء إلى عهد بعيد، و تؤكد مراجع تاريخية أن المصريين القدماء هم أول من استخدم الحناء، حيث تم العثور عليها على أيدي المومياوات المصرية التي يعود تاريخها إلى 500 ق.م[4]، و كانت أجزاؤها مخضبة بمادة

---

(1) يحي محمودي- الأعشاب الطبية من الحديقة النبوية، قصر الكتاب بالبليدة- الجزائر – ط1، 1990، ص193.

(2) عبد العزيز زلماطي- التداوي بالأعشاب الطبية- دار الهدى عين ميلة الجزائر- ص65.

(3) عبد العزيز زلماطي – المرجع السابق- ص65

(4) موقع الانترنيت: www.Khayama.com/hawajhenna.htm

أعطتها لونا أحمرا برتقاليا، و هذا يشهد على وجود هذا النبات منذ القديم، وبالفعل استخدم مسحوق الحناء أثناء الحضارة المصرية لخضاب اليدين والرجلين و الشعر، و كذلك لعلاج بعض الجروح[1].

و يعود تخضيب الجثة المحنطة بمادة الحناء لاحتوائها على مادة مطهرة تقتل الفطريات التي تعمل على تعفن الجثة[2].

ثم أخذ اليونانيون الحناء عن الفراعنة، و استخدموها في طقوسهم الجنائزية، بل و نقلوها إلى الرومانيين، و قد عرف الرومان نبتة الحناء فاستعملوا فروعها و أزهارها في أكاليلهم الجنائزية[3] و كانوا يكسون قبورهم بأزهار الحنة[4].

ث- **فوائد الحناء:**

لها عدة استعمالات:

1- في المجال الطبي:

*** الأمراض العضوية:**

للحناء أثر في التئام الجروح و خاصة التشققات التي تصيب القدمين، كما لها دور فعال في معالجة الالتهابات التي تحدث بين أصابع القدمين.

" يستعمل مسحوق أوراق الحناء على شكل عجينة في علاج الأمراض الجلدية و الفطرية و خصوصا الالتهابات التي توجد بين أصابع الأقدام و الناتجة عن نمو الفطريات" [5].

---

[1] ثريا التيجاني- دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري – وادي سوف نموذجا – دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع- الجزائر – ط1- عام 1998- ص 49.

[2] موقع الانترنيت: www.mzvnh.com

[3] يحي محمودي- المرجع السابق- ص199.

[4] ثريا التيجاني- المرجع السابق- ص48.

[5] يحي محمودي- المرجع السابق- ص202.

كما ثبت أن للحناء تأثيرا فعالا جدا في علاج تساقط الشعر و تثبيته، وإزالة القشرة منه و تقوية جلد الرأس. و قد استعملها الأوربيون و الأمريكيون في صباغة الشعر إذ لا تظر به فضلا عن تقويتها لجلد الرأس[1]

و للحناء أيضا دور فعال في معالجة آلام الرأس. وقد روى ابن ماجة في نسبه حديثا في صحته نظرا هو أن النبي صلى الله عليه و سلم كان إذا صدع غلف رأسه بالحناء و يقول: إنه نافع بإذن الله من الصداع." [2].

*** الأمراض النفسية:**

كما استخدمت الحناء في إطار العلاج من الأمراض النفسية لعلاج السحر (طرد الأرواح الشريرة، درء العين و الحسد) و" قديما كان الفراعنة يضعون الحناء في الأيدي و الأقدام ليحفظون من الشر." [3].

2- في المجال الصناعي:

إضافة على فوائد الحناء العلاجية، لها فوائد أخرى في مجال الصناعة وتتمثل في:

- صبغ المنسوجات الصوفية و القطنية و الحريرية لإكسابها لونا و بتنظيفها من المواد و البقع الذهنية، كما تستخدم في صبغات الشعر، و دبغ الجلود بالإضافة إلى استخلاص زيوت عطرية زكية من أزهارها تستخدم في صناعة العطور[4].

---

[1] يحي محمودي- المرجع السابق - ص199.

[2] المرجع نفسه- ص 195.

[3] موقع الانترنيت: www.Khayama.com

[4] موقع الانترنيت: www.mzvnh.com

- كما كانت تستخدم أزهار الحناء لحفظ الملابس من الإصابة بالحشرات، ويقول التميمي: " و نوار الحناء إذا استودع بين طي ثياب الصوف طيبها، و منع من السوس فيها، و أن يفسدها" [1].

3- في مجال التجميل و الزينة:

الحناء وسيلة من وسائل الزينة، حيث كانت تستعملها المرأة قديما، و لا زالت تستعملها لغاية اليوم كمادة لتجميل اليد و القدم و صباغة الشعر.

و قد رغب الرسول صلى الله عليه و سلم المرأة لتتزين بالحناء، و قد روي عن ابن عباس أن هند بنت عقبة أتت النبي صلى الله عليه وسلم تبايعه، و لم تكن مختصبة فلم يبايعها حتى اختضبت[2].

كما أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد المقرئ أن الحسن بن محمد بن إسحاق أن يوسف بن يعقوب أن محمد بن أبي بكر أن بشر بن المفضل أن أبو العقيل قال:

قالت بهية: سمعت عائشة – رضي الله عنها- تقول: " كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكره أن يرى المرأة ليس في يديها أثر حناء أو أثر خضاب" [3].

كما أن للحناء مكانة كبيرة في الشعر العربي، حيث تغنى الشعراء القدماء بجمالها في راحة يد المرأة، و في بواطن أقدامها، يقول النابغة:[4]

بمخضب رخص كأن بنانه عنم يكـــاد من اللطافـــة يعقد

---

[1] يحي محمودي – المرجع السابق- ص201.

[2] محمود مفلح البكر- المرجع السابق- ص71.

[3] أبو بكر احمد الحسن بن علي البيهقي- السنن الكبرى- الجزء الحادي عشر – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت- لبنان – د. ت- ص 173.

[4] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم التجاني- تحفة العروس ونزهة النفوس- ص 285.

ح.الأهمية الاعتقادية للحناء في احتفالية الزفاف و انتشارها في أغلب بلدان العالم:

للحناء مكانة خاصة منذ القديم، ووجودها مرتبط غالبا بالمناسبات السعيدة كالأعياد ومناسبات الزواج، و ارتبطت الحناء بالأفراح حتى صار يلقب اليوم الأول من الزفاف " بيوم الحناء" على أساس أن أهل العروس يخضبون الحناء للعروس، وقريناتها في هذا اليوم في انتظار قدوم أهل العريس في الغد[1].

" وظاهرة الاهتمام بالحناء في ليلة الزفاف ظاهرة منتشرة في أغلب أنحاء العالم، وتنتشر هذه العادة بدرجة كبيرة بين نساء البربر في شمال غرب أفريقيا، و في شمال شرق القارة ولا تزال هذه العادة قائمة و لاسيما في المناطق الريفية " [2].

ويقول أوقواق كزال Ougouag Kezzal : " إن استعمال الحناء في الأعراس من الطقوس القديمة التي لازالت تمارس إلى يومنا هذا، وهي تمتد من المحيط الأطلسي إلى الهند" [3].

ففي عمان مثلا، تهتم العروس بالحناء، حيث تنقش كلتا يديها وقدميها، في أشكال خطوط كلاسيكية تزيد من جمالها وتتوائم، وما تتصف به في مثل هذه المناسبة الخاصة من رقة وأنوثة شكلا ومعنى[4].

وفي مصر " إنها اللحظة الحاسمة بالنسبة لكل عروس، لأنها تكون، آخر ليلة تقضيها في منزل أبيها، ولذلك تحتفل بها أسرة العروس، وتجعل منها ليلة

---

[1] محمد عاطف غيث- دراسات في علم الاجتماع القروي- ص 129.

[2] محمد عبد الفتاح إبراهيم- التقافات الإفريقية – 1965- ص 262.

[3] Ougouag Kezzal- opcite- p 284.

[4] سعود بن سالم العنسي- العادات العمانية- ص 112.

وداع، فتدعوا النساء والفتيات من الأقارب والجيران لشرب الشربات، وأخذ نصيبهن من الحناء" [1].

وفي المغرب أيضا، تعتبر الحناء من مستلزمات حفل الزفاف المغربي حيث يخصص يوم كامل لحناء العروس، وتنقش كلتا يديها، ورجليها، ويعتبر التخلي عن هذه العادة في المعتقد الشعبي نذير شؤم بالنسبة للعروس في حياتها الزوجية " [2].

تزخر الذاكرة الشعبية بالكثير من الأمثال التي تحث على التخضب بالحناء ليلة الزفاف، ومن أشهرها: " الكبش والحنة، والفرض والسنة " [3].

يتكون هذا المثل من شطرين:

- ❖ الشطر الأول: " الكبش فرض "
- ❖ الشطر الثاني: " الحنة سنة "

يتطابق الشطر الأول مع الحديث الشريف: " أولم ولو بشاة "[4]، ويتضح لنا من كلمة " أولم " أنه فعل أمر، وهو يتطابق مع كلمة " فرض " الموجودة في الشطر الأول من المثل، أما كلمة " الحنة " في الشطر الثاني فهي من السنة، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على التخضب بالحناء، وقد سبقت الإشارة إلى هذا في المبحث السابق، وهناك مثل آخر يؤكد هذا الشطر من المثل السابق ويقول:" اللي ما يديرش حنتي مهوش من أمتي"[5].

واضح من المثل الشعبي هذا، أنه يكتسي أبعادا عريقة من الموروث الثقافي العربي والإسلامي معا وهو ما ضمن استمراره إلى يومنا هذا...فهو يعيد

---

[1] فوزية دياب– المرجع السابق– ص 289.

[2] موقع الانترنت: www.eleph.com

[3] مثل يتردد في منطقة تلمسان.

[4] محمود مهدي الأستانبولي– تحفة العروس أو الزواج الإسلامي السعيد– ص 160.

[5] مثل متداول في منطقة تلمسان.

التاريخ العربي ما قبل الإسلام، وقدامى شعراء الجاهلية قد تغنوا بذلك، بالإضافة إلى حياة العرب الإسلامية بالاستعمال اللفظي " أمتي " لدلالة على الأمة العربية الإسلامية، وهو يبرز صلة بما أشارت إليه السيدة عائشة – رضي الله عنها – وما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، مما يجعل الاحتفال بظاهرة التخضب بالحناء، ضمن الطقوس والممارسات ذات الأصول الدينية في فكرنا الشعبي.

بعدما رأينا أن عادة الحناء منتشرة عبر بلدان العالم، يجدر بنا الآن أن نبين الأهمية الاعتقادية للحناء في مناسبة الزفاف فما هي رموزها ودلالاتها؟.

إن بعض العادات والتقاليد الشعبية ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمعتقدات الشعبية التي مارسها الإنسان منذ القديم، ومن خلال عادات الزواج نرى أنهم يستعملون بعض النباتات والأعشاب اعتقادا منهم بفائدتها.

تستعمل العروس الحناء في هذا اليوم (ليلة الزفاف) للتجميل وللزينة، كما تستعملها لأنها ترطب البشرة وتلطف الجسم، وبذلك تلطف حياة الزوجين السعيدين، وهو ما يؤدي إلى نفس المغزى في معتقدات الشعوب الأخرى، ذلك أن الحناء، رمز الحب السعيد، ودفع الشر عن العروسين[1].

كما يستعمل العروسان الحناء ليلة الزفاف، لأنها ترمز إلى الفرح والعواطف، والمشاعر النبيلة " فاستعمالها يرتبط بالبهجة والسرور لما يدخله لونها الزاهي على النفس من الحبور، وحتى تسميتها " حنة " جاءت من الحنان والعطف بمعنى ترمز على العواطف النبيلة " [2].

---

[1] حسين سالم باصديق– التراث الشعبي اليمني – ص 307.

[2] ثريا التيجاني– المرجع السابق– ص 48.

وقد ترمز أيضا لجذب النظر، وتهييج العواطف، وإثارة الأحاسيس، " لون الحناء ناري محبوب، يهيج، قوي المحبة، وفيها رائحة عطرية وقد كان يخضب به معظم السلف. " [1]

كما ساد الاعتقاد في الأساطير القديمة أن استعمال العروس للحناء ليلة الزفاف " يعود لكون لون الحناء يشبه الدم، وكفداء وتعويض لدم البكارة التي تفقدها العروس في هذه الليلة " [2]." وقد فتحت فكرة الفدو مجالا لأن يرمز بشيء لغيره لعلاقة ما بينها في اللون أو الشكل، أو المادة، ولذلك استخدمت الحناء، وكغيره من الخضاب الأحمر بديلا عن الدم لتغمس فيه أطراف العروسين قبل الشروع بالفعل الخصبي " [3].

يعنى هذا أن للحناء علاقة بدم بكارة العروس وتخضيب أطراف العروسين الأيدي والأرجل بالحناء الشبيه بالدم استعدادا للزفاف هو تعبير عن الانغماس الكلي في الفعل.

نستخلص من كل ما سبق أن للحناء عدة مدلولات مدلول مادي ينم عن استعمالها للزينة و التجميل و التداوي و مدلول معنوي وصل لدرجة المعتقد، وهو وسيلة للتطهير و درء الحسد، و إبعاد العين الشريرة، و إثارة العواطف وغيرها... .

و يتضح من هذا، أن للحناء رموزا كثيرة، تتفرع حسب لونها ووظيفتها عند أفراد المجتمعات البشرية، قديما و حديثا، و هي تختلف و تتعدد باختلاف وتتعدد المجتمعات، و ما يطرأ عليها من جديد من المفاهيم عبر العصور. وتبقى ظاهرة الحناء هاته ذات خصوصيات يختص بها كل مجتمع، و قد يختلف بهذه

---

[1] موقع النترنت: www.55a.net/firas/arabic

[2] محمود مفلح البكر– المرجع السابق– ص 57.

[3] المرجع نفسه– ص 57.

الخصوصية عن غيره من المجتمعات الأخرى، بحيث تمثل عنصرا من العناصر الثقافية، و تتعرض لما تتعرض له هذه الأخيرة.

2-ظاهرة الربيط:

إن الإنسان باعتباره كائنا حضاريا عقد مشكلة الجنس، و جعلها شديدة الاختلاف عن العلاقة الجنسية البسيطة عند الحيوان، و التي تسند إلى الدوافع الغريزية، ولدا فإن غالبية النظم الاجتماعية و الدينية و الأخلاقية تسعى إلى تنظيم علاقة الجنسين من خلال إضافة عليها طابع الشرعية. إلا أن هذا التنظيم خلق نوعا من التعقيد خاصة إذا نزلنا إلى الممارسات الشعبية التي تستمد مشروعيتها من العرف، و العادات و التقاليد، و يتجلى في بعض الاحتياطات اتجاه الجنس باعتباره طابو في المجتمعات العربية الإسلامية، و بالخصوص مجتمع البحث منطقة تلمسان.

هذا الطابو يتجلى في بعض الممارسات السحرية المتعلقة بالزفاف و منها ظاهرة الربيط، فما هو الربيط و ما هي أنواعه؟ و ما هي أشهر طرقه و كيف نستطيع أن نتصدى له ؟

أ- **تعريفه:** هو ما يعرف " بالتقاف" و المقصود به ربط أعضاء الإنسان التناسلية[1]، و هو ممارسة سحرية يقوم بها " الطلبة"[2] و المشعوذون لمنع الرجل أو المرأة من أداء دوره الجنسي ليلة الزفاف.

و من شروط القيام به معرفة اسم الزوج و الزوجة ليتحقق المفعول السحري (أي ربط العضو). و هو موجود في الريف و في المدينة.

---

[1] وحيد عبد السلام بالي – الصارم البتار في التحدي للسحرة الأشرار – مكتبة الإمام مالك- الجزائر- الطبعة العاشرة- ص105.

[2] "الطلبة" جمع طالب، و هو من أقام تحضير الحرز مهنة و تطلق أيضا على حافظ و معلم القرآن.

ب- **أنواعه:** هو نوعان: النوع الأول لإلحاق الضرر، و النوع الثاني للتحصين.

بعض طرق النوع الأول (إلحاق الأذى):

1 . أن يأخذ الساحر كف تراب بيده الشمال، من تحت رجل المراد الشمال، و يقرأ عليها العزيمة سبع مرات، ثم يرش التراب على ظهر المعمول له ينعقد، و هذه هي العزيمة كموش صلوات، شلطيح توكلوا يا خدام هذه الأسماء... كذا عن...كذا[1].

2 . رباط على بيضة يوم السبت اكتب الأسماء على البيضة و تدفن في طريق المعمول له، و هذا ما تكتب دلى مرحز مرخى و هول منكل توكلوا يا خدام هذه الأسماء و اعقدوا... كذا عن... كذا[2].

3 . يأخذ الساحر سبع شعيرات من ذيل بغل، فيعقد في كل واحدة عقدة وهو يقول: " فإذا نقر في الناقور، فذلك يوم عسير على الكافرين غير يسير " اعقدوا ذكر فلان عن فرج فلانة، إنك ميت، و إنهم ميتون " ماتت النفوس و انقطعت الجنوس، و نزل الكابوس على ذكر فلان ابن فلانة إذا قام انحنى، و إذا طعن به التوى، و أخذته بما أخذ الله به القرى و هي ظالمة، إن أخذه ألم شديد[3].

4 . و من أشهر الطرق في الربيط أيضا، طريقة يستطيع أن يقوم بها أي شخص. كأن ننادي العريس أو العروس باسمه بعد أن يكون المنادي قد فتح مقصا، أو سكينا أو قفلا، فما أن يجيب العريس أو العروس بنعم حتى يغلق الفاعل ما أحضره...

---

(1) محمد أحمد غنيم- السحر و الحسد في المجتمعات الريفية- -ص29.

(2) المرجع نفسه- ص29.

(3) بن مشرنن نور الدين – عادات الزواج و الإنجاب في تلمسان- ص115.

من خلال تتبعنا لطرق الربيط، نلاحظ أن الساحر يستعين بالشياطين (أثناء ذكره لأسمائهم). للتأثير على أرواح البشر و إلحاق الأذى بهم، و قد يحقق له الشياطين ما يسعى إليه لأن " من طبيعة الشيطان الكبرياء، و الأذى وإلحاق الضرر بالإنسان، فهو عدو له، دون سبب أو سابق معرفة، لا يدفعه إلى ذلك سوى الحقد."[1]

كما نلاحظ أيضا أن الساحر يستخدم العقدة للقيام بمهمته، و هي من الرموز القديمة للسحر، " فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالسحر الخاص بالفك والربط، واختصت العقدة بقوة سحرية سريعة."[2] ونلاحظ أيضا أن هؤلاء السحرة يلجأون لاستعمال آيات قرآنية استعمالا خاصا يخدم الغرض الذي يهدف إليه الطقس السحري. فيخرج هذه الكلمات القرآنية و هي مثقلة بطاقاتها الدلالية و الرمزية من سياقها القرآني المقدس إلى سياق سحري مدنس، وهدفه الحصول على القوة لفك الأزمة و حل المشكلة.

وما نلاحظه أيضا أنهم يخلطون السحر بالدين وذلك ليضمنوا سهولة التأثير على الناس، ولكي ينجحوا في ترويج بضاعتهم، و كسب المال الوفير.[3]

***طرق العلاج:**

لعلاج الربيط طرق متعددة، و نقتصر على ذكر البعض منهما:

الطريقة الأولى:

يحضر إناء به ماء، و تقرأ عليه الأدعية و المعوذات الآتية: [4]

- اللهم رب الناس إذهب، و أشفي أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك.

---

[1] دكتور السيد الجميلي- السحر وتحضير الأرواح بين البدع و الحقائق- مكتبة التراث الإسلامية- القاهرة- ص191.

[2] مانفرد لوركر- المرجع السابق- ص184.

[3] سامية حسن الساعاتي -السحر و المجتمع- دراسة نظرية و بحث ميداني-دار النهضة العربية للطباعة و النشر- بيروت-الطبعة الثانية-1983-ص 217

[4] أحمد غنيم- المرجع السابق- ص 44.

- باسم الله أرقيك، و الله يشفيك من كل داء يؤذيك، و من كل نفس عين حاسد الله يشفيك.
- " أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق"
- باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض، و لا في السماء، وهو السميع العليم"
- اللهم أبطل هذا السحر بقوتك يا جبار السموات والأرض

و" تقرأ هذه الأدعية سبع مرات على الماء، و يشرب و يغسل منه ثلاثة أيام، فيبطل السحر، و يفك الربط إن شاء الله.

الطريقة الثانية:

قراءة المعوذتين، " ومن شر النفاثات في العقد"[1]

و قد قالت عائشة رضي الله عنها " فكان الرسول صلى الله عليه و سلم لا يقرأ على عقدة من تلك العقد إلا انحلت" [2]

فالقرآن دواء و شفاء من كل داء و يقول تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ" يونس 57.

الطريقة الثالثة:

يأخذ الكاهن خيطا، و يبدأ في قراءة الرقية، و هو يعقد عليه عقدة بعد عقدة، و ينفث فيها، و ذلك لفك الزوج المعقود [3].

---

[1] ابن خلدون– المقدمة– ص496

[2] المرجع نفسه– ص496.

[3] خليل أحمد خليل– مضمون الأسطورة في الفكر العربي– دار الطليعة للطباعة والنشر–بيروت– ط3– 1986– ص79.

الطريقة الرابعة:

و من علاج الربط أيضا أن يأخذ المريض (المربوط) كأسا و يجعل فيه كمية من " الفاسوخ"، و قليل من العسل، و يخلطه جيدا، و يأكل منه كل صباح على " الريق" (أي قبل أن يشرب القهوة)- لمدة أسبوع، و يفك الربط بإذن الله[1].

الطريقة الخامسة:

" الطريقة التي يتوصل بها القروي لحل مشكلة الزوج المربوط هي: أن يحضر السيد إلى بيته، و ما أن يحضر هذا حتى يخلى البيت من ساكنه عدا الزوج و زوجته، و يبدأ بالقيام بعملية (التعزيم)، و التغريم شعوذة تتلخص في أن يغطي السيد، أو ما يسمى في بعض القرى، بالشيخ أو الملا، إناء ماء بعباءة سوداء سميكة، ثم يغمس يده اليسرى في الإناء تحت العباءة، و يضع اليمنى على رأس الزوج، و يبدأ بقراءة جملة طقوس لا تعدو بضعة كلمات، و شيء من الدعاء، و ما أن ينتهي من طقوسه حتى يغمس منديلا صغيرا في الإناء، ثم يعصب به رأس الزوج، و يأمره بالاختلاء بزوجته فورا" [2].

الطريقة السادسة:

هذه الطريقة مشهورة أيضا في القرى و أرياف العراق " حيث يقومون بسرق (قفلا) يعود لمن دارت حولها الشكوك، و بعد يجري عليه السيد طقوسه يقفله، و يأمر العريس بفتحه، ومن ثم رميه في النهر أو العين، أو أي مجرى ماء وجد ثم يعود فورا إلى لقاء عروسه."[3]

---

[1] السيدة عائشة- 72 سنة تسكن " بعين يوسف" تحترف الربيط.

[2] لطفي الخوري- العناصر المشتركة في المأثورات الشعبية في الوطن العربي- ص188.

[3] المرجع نفسه- ص188.

يلاحظ من كل ما سبق أن الظاهرة ليست مقتصرة على المجتمع الجزائري فحسب، بل موجودة أيضا في مجتمعات عربية أخرى، ففشل الزوج في أداء مهمته ليلة الدخلة، تفسرها جملة من الآراء و المعتقدات في الموضوع و منها: أن الزوج قد تعرض لعملية " الربيط" و الذي عادة ما تكون المرأة هي الفاعلة (هي التي تربط الرجل) نتيجة الحقد و الغيرة، (إن كيدهن لعظيم)، و طبقا لقول المثل الشعبي: " إلا حلف فيك الرجال بات راقد، و لا حلف فيك النسا بات قاعد." أي انتقامها يكون باستعمال السحر

النوع الثاني: للتحصين (التصفيح):

وهي ممارسة سحرية غايتها صيانة جسد الطفلة مشروع المرأة من أي اختراق وحجبه عن الآخر(الرجل).تتكون العملية من فصلين الأول قبل الزواج و يسمى التصفيح، يمارس على البنت قبل سن الرشد. و الثاني ليلة زفافها ويسمى حل التصفيح. [1]

جرت العادة في منطقة تلمسان أن تربط الأم ابنتها جنسيا، إذ تأخذها عند امرأة تحترف الربيط، حاملة لها معها بعض الهدايا كالسكر و الحلويات.

تبدأ العملية بتجريد الفتاة من ثيابها، ثم تضربها على أردافها، و تأمرها أن تمر سبع مرات فوق المنسج[2] (تدخل فيه ثم تخرج منه سبع مرات)، و تردد المرأة المقولة التالية " بنتي حيط، وولد الناس خيط" [3].

إذا تمعنا المقولة السابق نجدها تتكون من شطرين: الأول يمثل القوة و يعود على الفتاة، و الثاني يمثل الضعف، و يعود على الفتى.

---

[1] صوفية السحيري بن حتيرة –المرجع السابق–ص55.

[2] المنسج: آلة يتم بها نسج الصوف.

[3] المقولة ترددها المرأة المحترفة للربيط، تبلغ 75 سنة تسكن بالرمشي.

فتمثيل الفتاة بالحيط يرمز للقوة و الصلابة، فهو حاجز لا يمكن المرور منه، و تمثيل الفتى بالخيط يرمز للارتخاء و الضعف. و مدلول هذا القول أن الربيط سلاح يحمي غشاء بكارة الفتاة " لأن عذريتها محاطة بمحرم سحري، و تتخذه التمثلات الجماعية على أنه حقيقة" [1].

هذا بالنسبة لربط الفتاة، أما بالنسبة لربط الفتى أن تأخذ الأم قفلا أو سكينا، أو مقصا جديدا، و يكون مفتوحا، و تنادي على الابن، و عندما يجيب بنعم، تغلقه فورا دون علمه، و تحتفظ به إلى أن يأتي يوم زواجه (زفافه) فتحله. وهذه الطريقة تقوم بها الكثير من الأمهات خوفا على أبنائهن من أن يتخذوا خليلات أو يتزوجوا دون علمهن.

إذا تمعنا الطريقة الأولى نجد فيها عنصرا هاما ألا و هو العدد " سبعة".فما هي دلالاته و رموزه و ما مكانته في الذاكرة الشعبية؟

لقد اتخذ الإنسان العدد رمزا ليحل لديه محل شيء آخر غيره و يصبح بديلا ممثلا له. و على أساس هذا التحديد أصبحت له دلالة ثابتة هي رغبة الإنسان في إدراك الحقيقة و الواقع. كما أن المعنى الذي وضع له طغت عليه الفردية فتعددت معانيه و اختلفت باختلاف الأفراد و الجماعات و مع ذلك يلاحظ أن معانيه معنوية تهدف إلى إضفاء كيفيات على ما يرمز إليه.

و تكرر العدد و استعماله، أي حضوره الدائم أحاله إلى درجة أعلى من الثبات و التأصل فحصل له بذلك ولاء الناس و احترامهم له و من ثم الخضوع له.يحصل هذا خاصة إذا كان للعدد صلة بالدين و المعتقد "الذي يتطلب استجابات بطرق معينة [2].

---

[1] نور الدين طوالبي – الدين و الطقوس و التغيرات – ص 47.

[2] أبو هلال–مقدمة إلى الانتربولوجيا التربوية–ط2–مكتبة النهضة الإسلامية–عمان–1979–ص 165

لقد نال هذا العدد (7) الكثير من التقديس و التبجيل و ذلك لما يتضمنه من أسرار موسومة بالغرابة و الغموض و هي عندهم "محاطة بسياج من السرية.[1]

والملاحظ أن الطقوس و الممارسات التي تحمل العدد" سبعة"هي تجليات حاضرة لفعل تاريخي له أصول قديمة بل يمكن القول بأنها مقتبسة من سكان مصر القديمة أو بلاد الرافدين الذين كانوا يعتقدون في الأعداد مثل العدد سبعة[2]، لقد تجلى هذا العدد في السحر حيث أصبح له قوة تأثير روحية و قوة على الفعل .

و يدخل السحر في الغزل و الحياكة من خلال الأعداد و العقد المربوطة، فالأعداد ضرورية للنسيج، و قد يتحول تكرارها إلى نوع من التعاويذ السحرية، و ربط العقد وحلها آلية من آليات السحر[3].

و في دراسة قام بها عبد الملك مرتاض " التراث الشعبي في " اللاز" كشف شغف الجزائريين في استعمال هذا العدد و هذا قوله: و في الأساطير الشعبية لا نجد أولا نكاد نجد إلا هذا، فللغول التي حاربها علي بن أبي طالب سبعة رؤوس، و الغول خطافة العرائس، لها سبعة رؤوس أيضا و نحو ذلك نجده في السحر و الشعوذة، حيث أن السحرة يولعون إيلاعا شديدا بهذا العدد السحري الفلكلوري الديني جميعا، فتراهم يستظهرون في عزائمهم، و طقوسهم المختلفة، فالمسحور يخطو فوق مجمر البخور سبع مرات لكي يبطل السحر المسلط عليه..." [4].

---

[1] احمد سليم سعيدان–مقدمة لتاريخ الفكر العلمي –عالم المعرفة–الكويت–1988– ص58

[2] مارسيا الياد– المرجع السّابق – ص 80

[3] خزعل الماجدي– المرجع السابق– ص 128.

[4] عبد الملك مرتاض – عناصر التراث الشعبي في اللاز– ص2.

و من هنا نرى أن العدد سبعة حاضر في كل التراث الشعبي نظرا لأهميته و قدسيته، و مكانته في حياة البشر. و قد اتخذته الذهنية الشعبية لفك الأزمة وحل المشكلة (أي إبعاد الشر و صرف الأذى).

***طرق فك الربيط (للتحصين):**

الطريقة الأولى:

قد تتم عملية الفك بنفس الطريقة التي تم الربط بها. إذ تأخذ الأم القفل أو المقص أو السكين الذي احتفظت به منذ يوم الربط، و تقوم بحله، و لا يكون ذلك إلا يوم الزفاف.

الطريقة الثانية:

تأمر المرأة المحترفة للربيط الفتاة المربوطة أن تتجرد من ثيابها، و تغتسل و تتوضأ على مفتاح، و قليل من الملح، و أثناء ذلك تردد المرأة بعض الكلمات التي تخدم الغرض الطقسي.

لكن قد نتساءل لماذا تستعمل هذين العنصرين المفتاح و الملح ؟

بعدما سألنا هذه المرأة[1] أجابت أن المفتاح رمز للخير و التوفيق في الحياة، كما أنه رمز لليسر و حل كل شيء مغلق. أما استعمال الملح فهو في الوجدان الشعبي رمز لإبعاد الشياطين، و الاستعانة بالله فهو على حد تعبيرهم" يسمي الله". كما قد يعود استعماله لكونه يمثل البركة و الخير. وذكر البغوي في تفسيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: " إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد، و النار، و الماء، و الملح" [2].

و نخلص من كل ما سبق أن الغرض من هذا النوع من الممارسات (الربيط للتحصين) هو الاحتياط و التحرز، و الخوف من عقدة الذنب المتمثلة في الجنس

---

[1] السيدة فاطنة: 72 سنة- تحترف الربيط- تسكن بالرمشي.

[2] ابن قيم الجوزية- الطب النبوي- ص519.

الذي نجده يطلق نوعا من الهوس، و الوساوس لدى أفراد المجتمع، لذلك وظف العرف هذه الظاهرة كحماية و كسلاح للمقاومة و التخفيف من شدة التوتر والقلق الذي يخيم على الذات، فاستخدم جميع الوسائل لمحاربة و مطاردة القوى الشريرة التي تلحق من الآخر.

إذن هذا الطقس (الممارسة) تفريجي ووقائي لأنه يحمي عرض (غشاء البكارة) الفتاة من التعرض إلى الاغتصاب، و لازال بعض الناس يمارسونه حتى الآن، خصوصا في المناطق الريفية.

لكن السؤال الذي قد يطرح نفسه هنا هل الربيط حقيقة أم خيال، و هل يرجع عجز الرجل و المرأة يوم الزفاف إلى ظاهرة الربيط أم هناك أسباب أخرى ؟

بعد نزولنا إلى الميدان، و تحدثنا مع ثلاث شرائح من المجتمع (شريحة الشيخوخة، شريحة الكهولة، شريحة الشباب)، سألناهم عن ظاهرة الربيط هل هي حقيقة أم خيال ؟ فكان جوابهم كالتالي:

1 . الشريحة الأولى (الشيخوخة): إنه حقيقة، و نحن نؤمن به، و نؤكد على وجوده. لقد أثبتته لنا خبرتنا و تجاربنا في الحياة.

2 . الشريحة الثانية (الكهولة): إنه من العادات و الممارسات القديمة، ونحن نؤمن به حتى و لو أننا لا نمارسه، و هو نوع من السحر، و السحر موجود في القرآن الكريم و الدليل على ذلك: قوله تعالى " **يفرقون ما بين المرء وزوجه**".

3 . الشريحة الثالثة (الشباب): أغلبهم ينكر حقيقة هذه الظاهرة، و يقول أنها مجرد ضرب من ضروب الخيال، و جزء من الاعتقادات و الخرافات القديمة، و من يؤمن بالله، و يستعن به لا يصيبه أي مكروه.

من خلال مناقشتي لهذه الشرائح المختلفة، بدا لي أن الأمر متعلق بعوامل نفسية و ذهنية سادت لفترة طويلة، كما لاحظت أن أكثر الناس الذين يؤمنون بهذه الظاهرة النساء، و هن يترددن باستمرار على الطلبة و المشعوذين اعتقادا منهن أنهم قادرين على فك أزماتهن و حل مشاكلهن. كما نلاحظ أن هذه ظاهرة قديمة، و لها جذور ضاربة في التاريخ، و هي غير مقتصرة على المجتمع الجزائري فحسب بل موجودة في مجتمعات عربية أخرى كالمجتمع المصري والعراقي و الفلسطيني و الكويتي و غيرها... و يقول أيوب حسن أيوب من خلال بحثه " ذكرياتنا الكويتية": " هناك نفر من المشعوذين تخصصوا في التعامل مع الناس (بالطب و السحر)، فكانوا يوهمونهم بأنهم قادرون على فك العقد، و حل المشاكل المستعصية و التغلب على المستحيل، فترى المشعوذ يؤمه السذج و الجهلة من الناس، و ما أكثرهم في تلك الأيام و خصوصا النساء"[1].

و من حسن الحظ أن مثل هذه الأمور في طريق الزوال نتيجة للوعي الديني و الحضاري، و العكس عند من يرون فيها مصدرا لرزقهم" فمصائب قوم عند قوم فوائد".

أما بالنسبة للسؤال هل عجز الرجل و المرأة يوم الزفاف يرجع إلى ظاهرة الربيط أم هناك أسباب أخرى ؟

فهناك رأيان: رأي خاص بعامة الناس و هي الطبقة غير المتعلمة و هناك رأي خاص بالطبقة المثقفة المتعلمة:

فالأولى: ترى أن العجز و عدم التمكن من فض البكارة يرجع إلى أن العريس أو العروس ربط في يوم الدخلة و الحل في رأيها فك الربيط.

أما الثانية: ترجعه إلى عوامل نفسية اجتماعية ذهنية و الكثير من العلماء يفسرون هذه الإعاقة في ضوء العلم و من أشهرهم مصطفى عشوي فيقول

---

[1] أيوب حسن أيوب– المرجع السابق– ص 241.

أن هذا يرجع " لعوامل تربوية ذات علاقة بالوسط الاجتماعي الذي ينشأ فيه الفرد."[1]

و يؤكد على هذا أيضا عبد الرحمن الوافي في قوله: " إن مسؤولية الهورمونات الجنسية في إثارة الدافع الجنسي أو توقفه، يتأثر تأثرا كبيرا بالعادات و العوامل النفسية الاجتماعية" [2].

يعنى هدا إن الفرد (الفتى أو الفتاة) عندما ينشأ في أسرة ترهبه و تخوفه باستمرار من الاقتراب من الجنس، فلا شك أن هذا يزرع في نفسه عقدة و قلقا و خوفا و ارتباكا، مما يسبب له مشكلة نفسية يوم زفافه.

و من الأسباب النفسية أيضا التي تجعل العريس غير قادر على إنجاز مهمته ليلة الدخلة حسب العلماء و الباحثين، إذا كان هذا الشخص من النوع الذي له ارتباط شديد بأمه، و يعرض لنا هذا عبد المنان الطبي في قوله: " لقد وجد أنه في بعض الحالات التي يكون فيها ارتباط الصبي بأمه ارتباطا شديدا، تمتزج فيه مشاعر الحب بمشاعر التقديس، قد يؤثر هذا على الصبي في شبابه، فيجعله يعاني من الضعف الجنسي، إذ أنه لا يريد أن يدنس المرأة أيا كانت، فجميع النساء في مفهومه هن بمثابة أمه التي أحاطها بهالة من التقديس بعيدا عن أي دنس. كما أنه في حالات أخرى نجد أن حب الابن الشديد لأمه و لارتباطه بها يجعله لا يطيق أن يراها و هي تتألم سواء من ممارسة جنسية، أو من آلام حمل أو وضع، فقد ارتبطت هذه الصور في ذهنه بذكريات رآها في طفولته جعلته يعتقد أن الجنس يسبب الألم للمرأة، و هو لا يريد أن يكون سببا في إيلامها."[3]

---

[1] مدخل إلى علم النفس المعاصر– ديوان المطبوعات الجامعية– الجزائر– ط2– 2003– ص126.

[2] المختصر في مبادئ علم النفس – ديوان المطبوعات الجامعية – الساحة المركزية بن عكنون الجزائر– ط2– ص103.

[3] عكاشة عبد المنان الطيبي– المرجع السابق– ص180.

كما قد يرجع سبب الإعاقة أيضا حسب العلماء و الباحثين إلى التعب والإرهاق، لأن عملية الزواج صعبة التحضير ماديا و معنويا، و لذلك من المفروض أن لا ينجزا مهمتهما (فض البكارة) في تلك الليلة بالذات و في حضور الأهل و الأقارب و الجيران. و يؤكد على هذا عكاشة عبد المنان الطيبي في قوله: " يستحسن عدم ممارسة الجنس في هذه الليلة، بل يكون من الأفضل أخذ راحة تامة و الحصول على قسط كاف من النوع لتعويض الإرهاق الذهني الجسدي قبل و أثناء الزفاف"[1].

نستخلص من كل ما سبق أن ظاهرة " الربيط" جزء من الاعتقادات والخرافات، و تقليد سار عليه الأولون، و اعتقدوا به ردحا من الزمن، و لا زالت بعض الأوساط الشعبية تؤمن به، و لكنه حتما في طريقه إلى الاندثار، وذلك بسبب الوعي الديني و الحضاري. فالعلم و الدين حاربا الكثير من هذه الأمور، و اعتبراها اعتقادات من نسج الخيال، لا صحة و لا أساس لها.

3-حرق البخور

لا شك أن معتقدات الإنسان في أي عصر، و في أي مكان من العالم، إنما هي جزء من الوفر المختزن من خبرته، و إن كانت في نفس الوقت جزءا من المجموع الكلي أو الحصيلة الكلية لخبرة العالم من حوله و قد تتماثل المعتقدات في طابعها العام، و في تفاصيلها و قد تتقاطع، أو قد تتناقص، و لكن مهما تكن الحال فإنها حقيقة من واقع الإنسان، و من واقع خبراته التي يكتسبها.

و من بين هذه المعتقدات: ظاهرة العين و رغم أن الاعتقاد بالعين الشريرة تعود أصوله إلى آلاف السنين، أي في المرحلة البدائية لحياة الإنسان إلا أنها لا

[1] عكاشة عبد المنان الطيبي المرجع السابق– ص180.

زالت قائمة لحد الآن و خاصة أن الإسلام أكدها و يعترف بها كحقيقة موجودة و قد جاء في قوله تعالى: " وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ" الفلق: 5

فقد ثبت على الحاسد صفة الشر. و بذلك و بتوفر الظروف الموضوعية والتي تتحكم بحياة الإنسان ازداد الاعتقاد بالحسد و أصبح من أحد السمات البارزة للنفسية العربية حتى يومنا هذا[1] .

و لقد نشأت الأسطورة بأن العين هي أساسا أداة للحسد، وأنه ليس من الضروري أن يعبر الحاسد عن حسده بالكلمات أو الإشارات، وإنما يكفي أن ينظر بعينه فيصيب بهذا الشيء المحسود بالسوء أو الضرر، ولذا أصبحت كلمة " أصابته عين " أو إصابة عين" مرادفا للحسد و ما يرافقه من حلول الشر[2].

و البعد السيكولوجي للحسد عند الحاسد فهو، كما نتوقع، يعود إلى الغير من عدم الامتلاك، أو عدم الوصول إلى الغاية التي امتلكها أو التي وصل إليها الآخرون و بالتالي فهي حالة من الشعور بالنقص المادي أو المعنوي مستندة إلى نوع من العجز في ذات الحاسد لا يستطيع أن يتغلب عليه. فهو لا يرى وسيلة لتغطية نقصه ليصل إلى درجة التساوي مع الآخرين أو التفوق عليهم إلا بأن يصيبهم ما يفقدهم عنصر التفوق، و هو إذ لا يستطيع ذلك ماديا أي لا يستطيع سلبهم من عناصر تفوقهم النسبي لا يجد حيلة إلا أن يتمنى لهم الشر و الفقدان. وهو بذلك " يحسدهم" [3].

أما بالنسبة للمحسود فلقد نشأت فكرة الخوف من الحسد من جهل الإنسان في مطلع تحضره، و أساسا إلى عدم قدرته على تفسير بعض الظواهر البسيطة والفجائية التي كان هو أو عشرته أو ممتلكاته موضوعا لها.

---

[1] محمد عبد الفتاح إبراهيم- المرجع السابق- ص 138.

[2] إبراهيم بدران- - المرجع السابق-ص250.

[3] المرجع نفسه - ص249.

و لعل المرض و الموت، و موت الماشية، و جفاف الزرع... كل ذلك لم يكن الإنسان بقادر على تعليله التعليل العلمي، و كان لابد له من أن يبحث عن السبب[1].

و من خلال طبيعة الحياة اليومية غير المستقرة أو المضمونة، تنشأ اعتقادات الإنسان و التي هي جزء لا يتجزأ من كيانه، و يتوقع الشر من الحاسد و يحاول الإنسان درأه بحرق البخور و سكب الماء و بالتمائم و الأحجية و الخرزة الزرقاء... .

و في منطقة تلمسان تجري ممارسات للعريس و العروس يوم الزفاف أو قبله بأيام قليلة، و هي تعبر عن هذا الاعتقاد الدفين و الغرض منه الحماية والوقاية و العلاج (درء العين).

" لقد كان لحرق البخور في أول الأمر غرضا تطهيريا، لأن البخور يطهر ويزين، كما يحرر الشخص من القوى الشريرة. و اعتبر البخور نفسه مظهرا خارقا للطبيعة، و اصطلح على تسميته" عرق الإله" الذي سقط على الأرض"[2].

و حرق البخور هي تفاعل النار مع البخور، و هي التي تكون لها القوة الفعالة و القدرة الكامنة لصرف الأذى وطرد الشياطين. فقداستها نابعة من خطورتها، لذلك يقال لها " العافية " تفاؤلا بها و درءا لخطرها. " لقد ارتبط معناها الديني بتجربة البشر مع قوتها التدميرية، و من ثم قوتها النافعة. كما اعتبرت الشعلة رمزا للتطهير و الطهارة" [3].

ومن جملة الاعتقادات السائدة في مجتمع البحث (منطقة تلمسان) قبل الزفاف بأيام قليلة، أو في هذا اليوم نفسه، اعتادت الأم أن تقوم بحرق البخور،

---

[1] ابراهيم بدران –المرجع السابق– ص 249.

[2] ما نفرد لوركر– المرجع السابق– ص 117.

[3] ما نفرد لوركر– المرجع السابق – ص231.

فيعبق رائحته و يتصاعد دخانه، و ذلك لدرك العين الشريرة، و لإبعاد الشياطين عن العريس و العروس ليلة العرس.

و ظاهرة حرق البخور ليلة الزفاف غير مقتصرة على المجتمع الجزائري فحسب، بل موجودة أيضا في المجتمعات العربية الأخرى كالعراق مثلا " حيث تحاط العروس بمثل هذه التبريكات و التي تبلغ ذروتها في ساعات الزفاف، فيعيق البخور و التي كانت و ما زالت ترافقها الأدعية والتعاويذ... لتبعد الشر و تجلب البركة، و تحميها من أعين الحاسدين" [1].

كما أن هذه الظاهرة موجودة أيضا في المجتمع اليمني" فأخذ مجمرة البخور و المرور بها مع دخانها المتصاعد إلى كل جدران و أركان الغرف يصرف الشيطان"[2].

و نستنتج من كل ما سبق ان استعمال النار و حرق البخور لها جذورها الدفنية و معناها العميق في النفس البشرية، و قد تكون من رسوبات العادات القديمة اليهودية و يقول حسين سالم: " لا شك أنها موروثات من طقوس دينية قديمة منذ ما قبل الإسلام و لا نشك أن تكون طقوسا دينية يهودية لانتشار اليهودية في الجنوب العربي منذ التتابعة الحميرية" [3].

و ترى ثريا التيجاني نفس الرأي فتقول: " إن حرق البخور عادة مترسبة في نفسيات الأفراد منذ عصور ما قبل الإسلام، لأن الوثنيين كانوا يحرقون البخور لآلهتهم، و معبوداتهم تذرعا لها في تحقيق مقاصدهم، و كذلك طلبا لرضاها، وبعد مجيء الإسلام بقيت هذه العادة سارية المفعول و بقي المسلمون يحرقون

---

[1] محمود مفلح البكر– المرجع السابق– ص 75.

[2] حسين سالم– المرجع السابق– ص 279.

[3] المرجع نفسه– ص 279.

البخور في المساجد و الأضرحة و في أماكن التبرك قصد تعطيرها تقربا من الله و الأنبياء الصالحين و إرضاء للجن" [1].

و نخلص من كل ما سبق أن عادة " حرق البخور" ممارسة شعبية قديمة جدا، منتشرة في كل مكان و زمان، وهي عبارة عن طقس تطهيري ووقائي غرضه حماية العريس و العروس من الشرور و الأذى، و لازال مستعملا لحد الآن عند الحضر و عند البدو.

4-ظاهرة رمي الماء:

الماء مادة الحياة، و سيد الشراب، و أحد أركان العالم، بل ركنه الأصلي: فإن السموات خلقت من بخار، و الأرض من زبده، و قد جعل الله منه كل شيء حيا طبقا لقوله تعالى: " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ" الأنبياء: 30.

و الماء رمز الطهارة في الإسلام، و ما يؤكد هذا الغسولات الشعائرية التي يجب على المؤمنين إجرائها قبل كل واحدة من الصلوات الخمس المفروضة في اليوم و يقول تعالى: " يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ" الأنفال:11.

و نظرا لقدسية الماء، و لكونه رمزا للطهارة و النظافة و استمرار الحياة يحرص أهالي منطقة تلمسان على ممارسة بعض العادات التي تتعلق بالماء ليلة الزفاف. فعندما تصل العروس إلى بيت العريس تجد دلوا من الماء في العتبة تضربه برجلها ثم تدخل.

وحسب اعتقاد أهالي منطقة تلمسان ان استعمال الماء هنا لا للنظافة والطهارة فقط، و لكن لأنه أيضا رمز لتخطي السحر الذي ربما يكون قد حضر للعروس. كما ان استعماله أيضا – في هذه الليلة– إشارة للإخصاب و التوفيق في الحياة لأن الماء يمثل الخير و البركة و الحياة كلها في الاعتقاد السائد.

---

[1] ثريا التيجاني– المرجع السابق– ص50.

و نفس الاعتقاد يجري في المجتمع العراقي" عندما تصل العروس إلى بيت العريس تجد قدرا أو إناءا كبيرا مليء بالماء فترفسه برجلها، و تدخل الدار حيث عد لها مكان الصدارة، يحيط بها عدد كبير من المحتفلات... و سكب الماء من قبل الزوجة على عتبة باب البيت يعني أنها أتت و البركة في أعقابها، و هي لذلك تكرر العملية بشكل آخر في مساء اليوم السابع لزواجها حيث تذهب مع نساء القرية إلى مصدر الماء نهرا كان أو بئرا، أو عينا لتملأ جرتها، وتأتي بها لتكسب ماءها على عتبة البيت مؤكدة بذلك نفس المعتقد" [1].

كما نجد هذه الممارسة في فلسطين أيضا " فعند دخول العروس إلى بيت زوجها، يجب صب الماء أمام العروس و خلفها، حتى يدخل الشرف والثراء معها" [2].

و قد يرافق " رمي الماء" العريس أيضا، فقبل تخطيه عتبة بيته تضع له أمه إناءا من الماء في مدخل البيت يضربه برجله، فيتدفق الماء مؤكدين بذلك نفس المعتقد الخاص بالعروس.

و نفس الممارسة، تقام في العراق، إذ يسكب العريس ماء إبريق، وضع له عند مدخل المخدع، فالماء دائما يرمز في القرية العراقية إلى الخير، و التوفيق في كل مجالات حياة القروي[3].

للماء مكانة و قدسية في المخيال الشعبي، في كل مكان وزمان. " فهو يطهر، ذلك هو أمر معروف عالميا، ففي كافة الثقافات تقريبا يستخدم لتطهيرات طقوسيه[4].

---

[1] لطفي الخوري- المرجع السابق- ص 186.

[2] نمر سرحان- المرجع السابق- ص 232.

[3] لطفي الخوري- المرجع السابق- ص 188.

[4] علاء الدّين كفافي – المرجع السّابق – ص 417

" وفي مصر على الأقل في العهد المتأخر، كان الكهنة يغتسلون في بحيرة مقدسة قبل الفجر، مطهرين أجسادهم هكذا، ثم يجرون دورة المعبد مهرقين الماء، و مشعلين البخور[1]. وعند حفلة الزواج، في الهند البرهمانية يعيد الزوج إراقة الماء في يدي الزوجة، هذا الماء الذي يكون أحد البراهمة قد صبه في يديه."[2].

و نستنتج من كل ما سبق، ان تقديس الماء و استعماله في عدة مناسبات، وأشهرها مناسبة الزفاف له رموزه و دلالاته و معانيه العميقة منذ أقدم العصور، فمن خلال خبراتهم و تجاربهم في الحياة، و جدوا أن له مفعولا عجيبا من شأنه أن يطهر و أن يزرع الخير و البركة، و يساعد على الإخصاب، ويحمى العروسين من الشرور (السحر- الشياطين).

[1] المرجع نفسه – ص 417

[2] المرجع نفسه- ص 355.

المبحث الثاني: الممارسات الشعبية الخاصة بالعروس ليلة الزفاف

1- التمائم و الحروز:

توارث الإنسان بعض القضايا التي قام بتجربتها فاعتقد بها و أحبها، لاعتقاده بخيرها، و فائدتها له في عمله و حياته و من هذه القضايا: وقاية النفس ودرء الحسد عنها بالتمائم و الحروز و قبل أن نشرع في الحديث عنهما لابد من تعريفهما.

" **التميمة**": هي خرقة أو خيط يوضع على اليد أو الخصر، و فيها تميمات أو قطع رصاص يعتقد أنها تقي حاملها من الشر أو السحر أو الحسد "

" **والحرز**":هو ورقة تكتب فيها أدعية لنفس الغرض[1] ويغلق الحرز بالجلد، و لاتزيد مساحته عن 36 سم مربعا يتضمن أوراقا مكتوبة بخط اليد تحتوي على طلاسم و أدعية و رموز لا يفهمهما إلا كاتبها الذي تخصص بهذا النوع[2].

و لا يكون للحجاب مفعولا إلا إذا كتبه شخص من أهل الله، و أهل الله قوم من الصالحين منحوا أحفادهم القدرة على كتابة الحجابات الشافية، و تعاطي الطب الشعبي المبني على قوة العقيدة لا على المواد و الأعشاب كما هو الحال عند الطبيب الشعبي المحترف[3].

"و قد يوضع للحرز خيط ليعلق في الرقبة سواء أكان ذكرا أم أنثى، فالصغير من الناس لا بأس به إذا علقها برقبته، و جعلها ظاهرة مدلاة فوق صدره، أما الكبير فيأخذه الخجل نوعا فيخفيها تحت ملابسه، و أن يربطها بزنده. و فائدتها كما في زعمهم أنها تقي صاحبها من الشرور و الأمراض، وتحجب عنه أعين الحساد"[4].

---

[1] حسين سالم- المرجع السابق- ص 281.

[2] أيوب حسين أيوب- المرجع السابق- ص 232.

[3] لطفي الخوري – المرجع السابق- ص 212.

[4] أيوب حسن أيوب – المرجع السابق- ص 232.

و جرت العادة في تلمسان، و خاصة في المناطق الريفية، قبل أن تزف العروس، تذهب أمها عند " الطلبة " أو " المشعوذين" لتكتب لها " حرزا" أو "كتابا" ليقيها من أعين الحاسدين، و ليفك عنها القلق و الخوف ليلة دخلتها، وليبعد عنها الشر و يصرف عنها الأذى " لأن المرأة أكثر عرضة للشر، خاصة إذا كانت عروسا" [1].

كما تحمل العروس ليلة زفافها تمائم ذات أشكال متعددة و ألوان مختلفة، ونجدها خاصة في الحلي و الجواهر التي تتزين بها في تلك الليلة، و من هذه الأشكال:

ا.العين (الخرزة الزرقاء): ارتداء الخرزة الزرقاء التي تكون على شكل عين من التمائم التي كان يستخدمها المصريون القدماء، وكانت تصنع أيضا من الأحجار الكريمة كالذهب والعقيق، والفيروز لكي تصرف عين الحاسد[2].

ب.الخامسة: لها مدلول جمالي، ومدلول سحري." فيمكن النظر إلى كل شيء يصنعه الإنسان من زاويتين الأولى جمالية بالمعنى الدقيق أي من خلال الشعور الفوري بالبهجة أو اللذة (أو الانزعاج أو الاشمئزاز) الذي يولده لدى من يراه، و الثانية مفهوميه أو سيميائية، أي حسب المعنى أو الدور أو المنفعة التي ينشدها الصانع أو المستخدم لهذا الشيء (و المستخدم هو غالبا جماعة) [3].

تلبس العروس هذه الحلية لتتزين بها، ولتحمي نفسها من العين. و هي قد تكون عادة مترسبة عن الحضارات القديمة حيث كان يستعملها الفراعنة قديما لإبعاد الشر عنهم، وتقول الدكتورة فاتن شريف: " عُثِرَ في مقابر الفراعنة على

---

[1] عبد الملك مرتاض– مدخل إلى نظرية الثقافة الشعبية أعمال الملتقى الدولي حول الشفاهيات الشعبية الإفريقية– الجزائر – ج2– طبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية– الجزائر– 1992– ص51.

[2] فاتن محمد الشريف– المرجع السابق– ص 49.

[3] فيليب لابورت تولرا– المرجع السّابق – ص 250

بعض الصور من الرقي والتعاويذ والتمائم كعين حورس، والكف، والخرزة الزرقاء، وغيرها لحمايتهم من الأرواح والعين الشريرة في حياتهم وبعد موتهم، وهي لازالت تستخدم في العصر الحالي لدرء الحسد " [1].

ت." الحوتة " السمكة:

قطعة من ذهب صغيرة على شكل حوتة يضعونها أهل تلمسان في الجوهر، أو في سلسلة صغيرة، أو في خاتم، فهي في اعتقادهم رمز للإخصاب وجلب الحظ السعيد " فالحوتة لكثرة بيضها هي رمز للخصوبة " [2]، كما أنها رمز لصرف العين الشريرة وحماية النفس من الشرور.

ث.الأفعى:

كثيرا ما نرى أن العروس تلبس قطعا تنتهي برأس أفعى سواء في اليد" الإسورة" أو في الرجل (الخلخال)، اعتقادا منهم أن هذا الشكل يرمز للنجاح والتوفيق في الحياة، كما أنه يقي العروس من التعرض للعين والحسد.

" وتقديس الأفعى بشتى أشكاله وتصوراته هو من بين أكثر المعتقدات انتشارا بين الناس في أنحاء العالم كافة، وقد كانت رموز الأفاعي طاغية أيضا كضمانة (كتعويذة) للنجاح والحياة السعيدة، إنها من المعتقدات القديمة جدا وما أكثرها في المعابد الفرعونية المصرية القديمة " [3].

والأفعى كتعويذة تجلب الحظ والسعادة، وحدث عند بعض الشعوب الأوروبية، بل أن بعض هذه الشعوب قد ذهبت شآوا بعيدا في سالف العصور، حينما حرمت حتى تسمية الأفاعي بأسمائها الاعتيادية، وفرضت تسميات رمزية ترتبط بالأرض والحياة وتكرس فكرة كسب ود الأفاعي على وجه العموم " [4].

---

[1] السحر و الحسد في المجتمعات الريفية – ص 54.

[2] فريدة بن ونيش– المرجع السابق– ص 11.

[3] عصام عبد اللطيف احمد – الأفاعي بين التعويذة و الرمز– التراث الشعبي– العدد الثالث– ص 231.

[4] فاتن محمد شريف – المرجع السابق– ص 232.

ج.الثعبان:

أما الثعبان فهو رمز للقوة والخلود من أسطورة تقول : إن أول أسرة في الوجود كانت تتكون من رجل وامرأة وطفل...وقد وعدها الخالق الأعظم بأن تحيا خالدة إلى الأبد، وذلك بأن يهب لها جلودا جديدة يلبسونها كلما بليت جلودهم...وتنفيذا لهذا الوعد، وضع الخالق كمية كبيرة من الجلود الجديدة في صرة وأعطاها لكلب ليوصلها للأسرة وفي الطريق التقى الكلب بكلاب تتناول طعام العشاء، فتوقف ووضع الصرة على الأرض ليشارك الكلاب في عشائهم... وفي الظلام تسلل ثعبان وسرق الصرة بما فيها من جلود... ومنذ ذلك اليوم تعيش الثعابين بجلود جديدة تغيرها كل عام " [1].

كانت تلك أهم أشكال التمائم التي تلبسها العروس، زيادة على الحرز "الكتاب" الذي تحمله معها لحمايتها من الشرور والأذى، ودرء العين والحسد عنها.

وإذا بحثنا عن أصل ونشأة هذه العقائد والديانات السحرية " لا شك أنها ظهرت في معظمها أثناء الباليوليت، إلا أن ممارستها كانت تزداد نشاطا كلما اتجهنا نحو النيوليت، وقد شهد عصر الميزوليت نشاطا واسعا بسبب بدء استقرار الإنسان في المستوطنات والقرى، وحاجته للسيطرة " التدريجية " على عوامل الطبيعة عن طريق العلم الأول الذي هو السحر " [2].

ومن العقائد السحرية الأساسية الفتيشية وهي تعني الاعتقاد بقوة الأشياء، وأن التمائم و الحرز والأحجار كانت مادتها، وكان الإنسان يعتقد أن قوة الكون

---

[1] محمد كامل عبد الصمد – غرائب المعتقدات والعادات مفاهيم وعادات غريبة ما زالت قائمة– ج2– مكتبة الدار العربية للكتاب – القاهرة– ص 35–36.

[2] خزعل الماجدي– المرجع السابق– ص 63.

كله تكمن فيها وأنها تؤثر على ما حوله، ولذلك يرتديها الإنسان، وهو يخوض في عمليات الصيد أو الرعي لتحافظ على حياته [1].

نصل من كل ما سبق إلى أن لبس وحمل التمائم و الحروز جزء من المعتقدات والخرافات القديمة، كما أنها مخلفات من الماضي البعيد الذي كانت فيه خبرة الإنسان محدودة، وهي أيضا من صنع العقلية الساذجة التي ورثناها عن آبائنا.

لقد حرم الإسلام هذا المعتقد، وذلك لاستغلال الناس واستفزاز أموالهم، ولكن جهلة الفقهاء استغلوا بها الفقراء للكسب، وكعادة الإنسان، آمن بها واعتقد بفائدتها وتمسك بها، فأصبح يصرف عليها أموالا طائلة، ونخص بالذكر المرأة التي تتردد باستمرار على هؤلاء الطلبة والمشعوذين، اعتقادا منها أنهم قادرون على فك أزمتها، وحل مشكلتها، ولكنها لم تستمر طويلا، فمع انتشار العلم، وتطور الدين أدرك الإنسان خطورتها، واعتبرها شعوذات تافهة.

2- تغطية العروس يوم الزفاف:

جرت العادة في تلمسان، بعد تزيين العروس أن يضعوا على وجهها وشاحا أو نقابا، والذي يكشفه عنها زوجها، مباشرة بعد دخوله عليها، ومن الطقوس المرعية لهذا اليوم، أن لا يراها أحد قبل أن يراها عريسها.

كما أن العروس مجبولة على ارتداء" الحايك" في هذا اليوم (عند خروجها من بيت أبيها كما سبقت الإشارة إليه سابقا)، بحيث لا يترك لها سوى فتحة صغيرة تسمح لها بالمشي ورؤية الطريق أمامها.

ويرجع أهالي منطقة تلمسان هذه العادة إلى أنها رمز للحياء والاحتشام كما أنها إشارة لكي لا يصيبها مكروه، ويلحق بها الأذى: كدرء العين والحسد، ودلالة على احترام قداسة بعض الأماكن، والاعتقاد بقوتها السحرية الخفية

---

[1] المرجع نفسه – ص 63.

الخارقة، انطلاقا من أسطورة تقول: إن عروسا خرجت مكشوفة (بدون غطاء)، فعند مرور الموكب على ضريح، تحولت إلى طائر جامد،وهناك من يقول أنها أصبحت بكماء. ففي اعتقادهم أن هذا المكروه الذي أصاب العروس ناتج عن غضب الضريح الولي الصالح.

إن تحجب النساء بصفة عامة ظاهرة موجودة منذ القدم" إن وسترماك يرجع التحجب للنساء عند العرب الأوائل قبل الإسلام ليس بغرض الاحتشام فقط، ولكن أيضا لحمايتهن من العين الحاسدة، ومن الطرق الشائعة لدرء الحسد بين قبائل الأمهارا AMHARA إخفاء الوجه بنقاب رقيق وخاصة الأنف والفم"[1].

ونفس الظاهرة موجودة في المغرب حيث تغطي العروس وجهها أثناء انتقالها لمسكن الزوجية لكي تحمي نفسها من الحسد، وفي نفس الوقت، لا تنظر هي الأخرى إلى أحد فتؤذيه.ففي الاعتقاد الشعبي إن العروس إذا نظرت إلى أي شخص أو حيوان في طريقها لزوجها يصاب بحادث أو شر ما[2].

ونستخلص من كل ما سبق أن هذه الممارسة قديمة جدا، لها جذور ضاربة في التاريخ ولها دلالات متنوعة، فالتحجب وتغطية العروس لا يرمز فقط للحياء والاحتشام وإنما هو رمز لحمايتها من أعين الحاسدين وخاصة وأن العروس في هذا اليوم تكون بأبهى الحلل وأجمل الزينة. وفي اعتقاد البعض الآخر أنها هي أيضا تصيب الناس بالعين فهي تؤثر وتتأثر أي فاعلة ومنفعلة.

3- حمل العروس وتخطي العتبة:

حمل العروس من العادات الشعبية التي تخلى عنها الناس ممارسة، ولكنها لا تزال راسبة في أذهانهم، ففي تلمسان وضواحيها كانوا يحملون العروس إلى

---

[1] فاتن محمد شريف– المرجع السابق– ص 45.

[2] المرجع نفسه– ص 45.

بيت زوجها دون أن تمس رجلها عتبة الدار، اعتقادا منهم أن العتبة تعد مسكنا للأرواح الشريرة.وهذا المعتقد منتشر في كثير من بلدان العالم، وقد فسره الباحثون تفسيرات عديدة.

ففي أرمينيا يعتقدون أن المتزوجين حديثا يكونون بصفة خاصة معرضين لتأثير الأرواح الشريرة، كما يعتقدون أن الأعتاب تعد مسكنا لها، وعلى ذلك فهم يجعلون رجلا يقف في انتظار الزوجين لحمايتهما وهو شاهر سيفه[1].

ولهذه المعتقدات امتدادا عند بعض الشعوب فللصين العادة نفسها، إذ تقوم امرأة عجوز يختارها الزوج لمساعدة العروس عندما تصل إلى بيت زوجها وتحملها فوق العتبة، والعروس جالسة على الكرسي، كما توضع فوق العتبة حديدة المحراث القاطعة بعد حرقها في النار، وغسلها في الخل بعد أن تحملها العجوز يلتقفها أقرباءها الذين على الجانب الآخر من العتبة[2].

وفي سيراليون تحمل امرأة عجوز العروس فوق ظهرها بعد تغطيتها برداء جميل: وهم يعتقدون في ذلك كله أن أرواح البيت تتخذ مكانا لها تحت الأعتاب وأن المتزوجين حديثا هم أكثر الناس عرضة لتأثير الأرواح[3].

وتشبه هذه العادة، العادة الموجودة في مصر فتقول نبيلة إبراهيم: " إذا وصلت العروس إلى عتبة الباب حملت فوقها مخافة أن يكون قد عمل لها عملا واخفي تحتها." [4].

---

[1] زياني عائشة – موسوعة أغرب عادات شعوب العالم– الجزء الأول جميع حقوق محفوظة– دار الفرقان– 2004– ص 42.

[2] المرجع نفسه– ص 43.

[3] المرجع نفسه– ص 43.

[4] مجموعة من الباحثين –العناصر المشتركة في المأثورات الشعبية في الوطن العربي – ص 260.

كما قد يعود سبب حمل العروس لتجنب آثار قدميها، " وترجع أهمية الآثار التي تخلفها القدمان على الأرض على أنها علامات أو آثار لجسد صاحبها، ومن ثم يمكن التأثير عليه تأثيرا سحريا من خلالها" [1].

ويعتقد بعض القبائل الأسترالية أنه من الممكن إصابة شخص بالعرج عن طريق وضع أحجار ذات حروف مدببة، أو بعض قطع الزجاج المكسور فوق الآثار التي خلفتها قدماه على الأرض، وفي بوماريا وشمالي الهند يعتقدون أن الأوجاع التي تصيب القدمين ترجع في الغالب إلى استغلال عدو أو ساحر لأثار وأقدام ذلك المريض[2].

ويعتقد بعض زنوج جنوبي الولايات المتحدة أنك إذا حملت تراب آثار قدمين أحد الأشخاص في خرقة حمراء، وحملت معك تلك الخرقة، فإن صاحب الآثار سوف يكون مرغما على أن يتبعك حيثما ذهبت، ومن الواضح أن هذه الوصفة تنتشر في مجال الحب بشكل خاص[3].

إلا أن ما تجب الإشارة إليه أن عادة حمل العروس من العادات القديمة المنقرضة، لكنها لازالت قائمة بطريقة أخرى ألا وهي6 " تخطي العروس العتبة " وذكر " بسم الله " قبل الدخول. لأن العتبة في اعتقاد أهل تلمسان وغيرهم: تعد مسكنا للأرواح الشريرة ومكانا لتحضير السحر (سواء تخطى هذا السحر، أو أخذ آثار قدمي العروس للتأثير عليه تأثيرا سحريا كما أشرنا إليه سابقا).

ونستخلص من كل ما سبق ان حمل العروس أو تخطي العتبة طقس وقائي غرضه حفظ هذه الزوجة (العروس) من الأذى والشر..

---

[1] محمد الجوهري- علم الفلكلور – الجزء الثاني- دراسة المعتقدات الشعبية- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية- ص 590.

[2] المرجع نفسه- ص 590.

[3] المرجع نفسه- ص 591.

4-استقبال العروس بالسكريات:

جرت العادة في تلمسان، خاصة في الريف عند وصول العروس، أن ترمي أم العريس طبقا من السكريات والحلويات والمكسرات وقليل من القمح، على سيارة العروس مباشرة بعد وصول الموكب، أما في المدينة فتستقبل أم العريس العروس عند الباب، وتضع في فمها السكر أو ملعقة من العسل، وذلك اعتقادا منهم أن استعمال السكر في هذه المناسبة إشارة إلى الحلاوة والمودة والتفاهم، أما العسل فهو رمز للصحة والعافية، وقال ابن جريج قال الزهري: "عليك بالعسل فإنه جيد للحفظ " [1]. كما نوه القرآن به في سورة النحل "**وأوحى ربك إلى النحل إن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**" النحل 69.

أما استعمال القمح وبعض المكسرات في هذا اليوم إشارة إلى جلب الخير والرفاهية، كما أنه أيضا رمز لإبعاد العين والحسد في الاعتقاد السائد

إلا أن ما يلاحظ أن مثل هذه العادات غير مقتصرة على المجتمع الجزائري عامة والتلمساني خاصة بل موجودة أيضا في مجتمعات أخرى، " ففي سوريا مثلا تلقى على الموكب وعلى العروس طول الطريق من الأصدقاء، حب القمح أو الأرز أو أرغفة الخبز، وعند دخولها تنثر أيضا السكاكر، والكراميل وبعض النقوط الصغيرة درءا للعين " [2].

ونفس العادة تجري في بولندا فتقول كريستينا :" وإذا انتقلنا إلى بولندا في قرية (ليشجوفاتته) نجد أن العروس تقوم عند خروجها من الكنيسة عقب عقد

---

[1] ابن القيم الجوزية- المرجع السابق- ص 465.

[2] حسن حمامي- حلقة العناصر المشتركة في المأثورات الشعبية- ص 305.

القران بتقسيم قطعة من الخبز مغطاة بالعسل والسكر إلى نصفين، يعطى أحدها للعريس ثم يأخذان في أكل قطعتيهما سويا " [1].

***حكم نثر المكسرات:**

هل يحل نثر اللوز و الجوز والسكر في مثل هذه المناسبة ؟ هل هي عادة إسلامية أم بدعة ؟

يحل في هذه الوليمة نثر اللوز و الجوز والسكر ونحوها، قال الماوردي من الشافعية : " أجمع عليه الأصحاب في العرس والختان، لما في سنن البيهقي: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم : كان إذا تزوج نثر تمرا، والنثر بالثاء المثلثة مصدر نثر: ألقاه. انتهى. ولم يكره أبو حنفية وابن المنذر وعن أحمد روايتان وقال ابن سيرين: " أدركت قوما صالحين، إذا أتوا بالسكر وضعوه، وكرهوا النثار، وممن كرهه الإمام مالك. ويحل التقاطه إلا إذا عرف أن الناثر يوثر بعضهم على بعض، ولا يقدح الالتقاط في تروية لأنه صلى الله عليه وسلم لما نحر البدنات قال: " **من شاء اقتطع** " رواه أبو داود، قال ابن المنذر : " فأباح لهم الأخذ من لحومهن " فكذا إذا أباح لهم اللوز ونحوه، فلهم أخذه، وقال البيهقي : " وليس في إباحته حديث صحيح، والذي في البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النهبى "[2]" [3].

وجميع ما ورد فيه الرخصة ضعيف، نحو قول معاذ: " أن النبي عليه الصلاة والسلام حضر إملاك رجل من أصحابه، فجيء بأطباق عليها فاكهة وسكر" وفي رواية : " جوز ولوز وتمر، فقال الرسول عليه الصلاة و السلام:

---

[1] د. كريستينا سكار جينسكا- مجلة التراث الشعبي- ع2- السنة الثامنة – 1977- ص 40.

[2] النهبى: من النهبة اسم الانتهاب والنهب والانتهاب أن يأخذه من شاء والإنهاب إباحته لمن شاء.

[3] شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي(تحقيق نزار أباضة) –المرجع السابق- ص 97.

انتهبوا فقال يا رسول الله إنك نهيت عن النهبى فقال : " **إنما نهيتكم عن نهبى العساكر، أما العرسان فلا، خذوا على اسم الله.** فجاذبنا وجاذبناه " [1].

5-دخول العروس بيت الزوجية بالرجل اليمنى:

من العادات المرتبطة بدخول العروس إلى بيت الزوجية: عادة دخولها بالرجل اليمنى، أي لا بد أن تخطو أول خطوة بقدمها اليمنى، وذلك رمزا للتفاؤل، ولكي تكون دائما من أهل اليمين، وليجعل الله قدومها قدوم خير كما يعتقدون.

6-إعطاء العروس الخميرة في يدها عند دخولها لبيت الزوجية:

من الطقوس المرعية التي ترافق العروس يوم الزفاف في منطقة تلمسان عند دخولها لبيت الزوجية، إعطائها القليل من الخميرة في يدها، ولكن قد نتساءل لماذا الخميرة بالذات وما مكانتها في الذاكرة الجماعية؟

إذا رجعنا إلى الرموز القديمة نجد أن العجين مادة أو لحم الغلة المحصودة، أو المقتولة، وهي إلهة أو إله الخصب، ولذلك فهو مقدس، وتشكل الخميرة المادة المسكونة بالأرواح لأنها تسرع في تخمير العجين، وتهيئه إضافة إلى ما تمنحه النار لهذا العجين وجعله خبزا " [2].

نستخلص مما سبق ان للخميرة مكانة مقدسة في الذاكرة الشعبية الجماعية، واستعمالها في هذه المناسبة لها رموزها ودلالاتها، فهي من جهة تساعد العروس على الحمل والإنجاب بكثرة الذي يعتبر الوظيفة الأساسية للزواج في كل أنحاء العالم، ومن جهة تكون فأل خير أي تجلب معها الخير والثراء للمنزل الذي سوف تستقر فيه.

---

[1] شمس الدين محمد بن علي بن طولون –المرجع السابق– ص 97.

[2] خزعل الماجدي– المرجع السابق– ص 128.

و يلاحظ أن هذه الممارسة ليست مقتصرة على المجتمع الجزائري فحسب بل موجودة أيضا في مجتمعات أخرى.ففي مصر مثلا تقول نبيلة إبراهيم: " فإذا وصلت... تكون حماتها في انتظارها فتسلمها في إحدى يديها عودا أخضر، وفي يدها الثانية قلة وضعت في فوهتها قطعة من الخميرة ليكون لها مفعول السحر فتنجب بوفرة " [1].

كذلك في المغرب يطلب من العروس أن تهيئ في الصباح الباكر الخميرة التي ستخمر الخبز لتدخل عل بيتها الخير والبركة " [2].

وفي فلسطين أيضا نجد نفس العادة، فتستقبل أو العريس العروس، وتعطيها قطعة من الخميرة أو الحنا لتضعها على جدار البيت الذي تدخله من الخارج جلبا للخير والبهجة[3].

7-تكسير البيض بين رجلي العروس:

يتبع الإجراء السابق بإجراء آخر ألا وهو تكسير بيضة بين رجلي العروس عند دخولها لبيت الزوجية، والذي يثير تساؤلنا لماذا هذه العادة وما هي رموز البيض في مثل هذه الاحتفالات؟

كان للبيضة دور هام في الأفكار الخاصة ببداية العالم لأن الحياة خرجت منها، وطبقا لأسطورة قديمة خرج الإله الأول إلى الوجود من بيضة وضعت في أحراش إحدى المستنقعات[4].

وتكسير البيض يشير إلى البيضة الكونية في التراث البرهماني ويقصد بها البيضة التي خرج منها فجر الأزمنة الإله الأول والخالق الذي أطلقت عليه التسميات المختلفة من بينها الجنين الذهبي[1].

---

[1] خزعل الماجدي- المرجع السابق – ص 260.

[2] نينا جميل – الطعام في الثقافة العربية- ص 139.

[3] نمر سرحان- المرجع السابق- ص 232.

[4] مانفرد لوركر- المرجع السابق- ص 80.

إن استعمال البيض وتكسيره في مثل هذه الاحتفالات، ليس فعلا آليا ساذجا وإنما عملا يحمل في طياته معنى عميقا ألا وهو الإخصاب، وتسهيل عملية الحمل، وبالتالي درء العين، وطرد الأرواح الشريرة في اعتقاد أهالي منطقة تلمسان.

والواقع أن لهذه الممارسة، جذور وصلت بمعتقدات شعوب أخرى، إذ يعتقد أن هذا رمز للخصوبة، كما أن تكسيره في الأعراس يؤدي إلى طرد الأرواح الشريرة، ويقال أنه يرمز إلى فقدان العروس لبكارتها، وتعتبره بعض الشعوب البدائية نوعا من الممارسة السحرية تجعل الحمل بالأطفال سهلا "[2]

---

[1] مارسيا إلياد- رموز وإشارات - ص 104- 105.

[2] بن مشرنن نور الدين- المخطوط السابق- ص 56(فوزي العنتيل-+ بين الفلكلور والثقافة الشعبية- دار الثقافة للطباعة والنشر- القاهرة- 1982- ص 399.

المبحث الثالث: الممارسات الشعبية الخاصة بالعريس

1-مسح وجه العريس بالمنديل:

من بين الطقوس المرافقة لدخول العريس عادة مسح وجه العريس بالمنديل، فهذا في اعتقاد أهالي تلمسان رمز " لتحمرة الوجه "أي أن العريس يصبح قادرا على فض البكارة، وبالتالي يثبت رجولته في هذه الليلة.

2- إدخال خيط اللويز وإخراجه سبع مرات في عنق العريس:

من العادات الأكثر ممارسة، خاصة في القرى، عملية إدخال خيط اللويز في عنق العريس ثم إخراجه سبع مرات، وعندما سألنا عن رمزية ودلالة هذه الممارسة قالوا إنها لتفك الربيط، لأن العريس عادة ما يربط ليلة دخلته، بسبب الغيرة والحسد. وقالوا أيضا إن استعمال الذهب في اعتقادهم رمز للطهارة والصفاء والنقاء، كما انه يدل على الإخصاب.

وقد نجد جذور لهذا المعتقد الشعبي، حيث " كان الإنسان القديم يعتقد بأن للذهب مفعولا عجيبا من شأنه أن يعيد الشباب، ويطيل الحياة، ويكثر النسل "[1].

وهي تشبه طريقة الدفن عند الفراعنة عندما كانوا يضعون قطعة ذهب مع موتاهم، وذلك اعتقادا منهم بأن حياتهم سوف تتجدد، وتبقى خالدة مثلما يبقى الذهب نقيا وصافيا.

" لقد كان للذهب عند المصريين معنا مقدسا لصلته بإله المشرق الشمسي...وكان بقاء المعدن الثمين رمزا للخلود بعد الموت " [2].

كما قد يعود استعمال الذهب في مثل هذه المناسبات لأنه " زينة الدنيا، وطلسم الوجود، ومفرح النفوس، ومقوي الظهور، وسر الله في أرضه، مزاجه في سائر الكيفيات، وفيه حرارة لطيفة تدخل في سائر المعجونات اللطيفة

---

[1] بشير زهدي- مقدمة في الميثولوجيا- مجلة المعرفة – ع 179- تموز- 1978- ص 30.

[2] مانفرد لوركر- المرجع السابق- ص 137.

والمفرحات، وهو أعدل المعدنيات على الإطلاق وأشرفها، وله خاصية عجيبة في تقوية النفوس، لأجلها أبيح في الحرب والسلاح منه ما أبيح.وقد روى الترمذي من حديث مزيدة العصري رضي الله عنه قال: " دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، وعلى سيفه ذهب وفضة " [1].

وهو أيضا معشوق النفوس لما يحمله من قيمة جمالية وقيمة نقدية، وقال تعالى :" زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة والأنعام والحرث " آل عمران...

3- مرور العريس تحت رجل أمه:

من العادات الشائعة في منطقة تلمسان ليلة الزفاف عند دخول العريس إلى بيته عادة مروره تحت رجل أمه. فانحناء العريس ودخوله تحت الرجل إشارة إلى الطاعة والولاء والخضوع للأم، وأن زمام الأمور ستكون بيدها، وليس بيد العروس، حيث الصراع قديم بينهما، وعلى حد تعبير أهالي تلمسان " بش يبقى ولدها تحت كراعها.

ويعد هذا الطقس من طقوس العبور أي حالة الانتقال من مرحلة إلى أخرى جديدة. أي الانتقال من العزوبية إلى حياة الزوجية، "فالزوج يترك جماعة العزاب لكي ينظم من بعد إلى جماعة أرباب الأسر"[2] كما انه استلام لسر، فهو تغير جدري في الحالة الاجتماعية للشخص."وقد كان الإغريق يطلقون على الزواج مصطلح (تيلوسtelos) أي تطويب، من الطوبى، و كان طقس العرس عندهم شبيها بطقس استلام الأسرار أو المسارة[3].

---

[1] ابن القيم الجوزية- المرجع السابق- ص 435.

[2] مارسيا الياد-المقدس و الدنيوي-ترجمة نهاد خياطة-العربي للطباعة و النشر و التوزيع -ط1-1978- ص 172

[3] ف.ج رايت-مبادئ علم الاجتماع-ترجمة محمد شيا مكتبة مدبولي القاهرة- -ص 62

و" الطقوس الأكثر أهمية هي طقوس العبور. ولقد استمدت طقوس العبور تسميتها من فان جينيب (Vangennep) وهي المرتبطة بالتحولات الكبرى والتي تطبع المحطات الأساسية في الحياة الولادة و المسارة والزواج والموت ولقد برهن فان جينيب بأنها تخضع لمنطق عالمي شامل، مهما اختلفت مظاهرها. وهي تستخدم لنقل الأشخاص من وضع معين إلى وضع أخر، و بين الوضعيتين توجد فترة انتقالية تمثل "هامشا " يمر فيه الشخص، وبطرق شديدة الغرابة أحيانا، بشيء يشبه موتا يتلوه بعث هكذا يكون للطقس دور خلق إنسان جديد يحمل في الغالب اسما جديدا و يستأمن على سر المسارة الذي لا يهدف إلا إلى تامين التماسك و الخضوع الاجتماعيين." [1]

[1] فيليب لابورت تولرا– المرجع السّابق – ص 178

المبحث الرابع : عادات وتقاليد الزواج بين المحافظة والعصرنة

الزواج مؤسسة اجتماعية لها نصوصها و أحكامها، و عاداتها و تقاليدها. "و العادة الاجتماعية هي كل سلوك متكرر، يكتسب اجتماعيا، و يمارس اجتماعيا، و يتوارث اجتماعيا." [1].

و الإنسان تصنعه أعراف و تقاليد. و هو يوجد داخل قيود سابقة لوجوده يجدها جاهزة، فيخضع لها و يتمسك بها و يسير على منوالها. فهي آمرة ومنحدرة من الماضي و موروث من الأسلاف جدير بالاحترام و المحبة. و من هنا كان الاعتزاز بها من قبل الأفراد و الجماعات، و الذوذ عنها و حمايتها، والعمل على إيصالها إلى الخلف بحرص كبير حتى يتم التواصل و الانتماء. وهذا ما يؤكده (gillim) بقوله الإنسان حيوان صانع عادات" [2].

و نخلص من هذا إلى القول: إن العادة الاجتماعية ظاهرة وأسلوب اجتماعي، أي يمارسها أفراد المجتمع، وهذا ما يجعلها أساسا للتفاعل بين الناس، و أداة للتواصل بين الماضي والحاضر.

كما لا يمكن تصور قيام مجتمع منظم دون عادات اجتماعية، فهي بإجماع علماء الاجتماع :الدعائم التي يقوم عليها الثرات الثقافي في كل بيئة اجتماعية، كما أنها التنظيم الاجتماعي الذي ينبني عليه استقرار المجتمع[3].

والسؤال الذي قد يطرح هنا:ما مكانة العادات والطقوس في الوقت الحالي؟هل لا زالت الأسرة تحافظ على الماضي الموروث أم تخلت عنه؟

قبل الإجابة على هذا السؤال يجدر بنا أن نعرف أولا الأسرة، و نظامها، وأشكالها ومدى تطورها.

1- تعريف الأسرة وأنواعها و نظامها

---

[1] فوزية دياب–المرجع السابق–ص106.

[2] مصطفى ناصف –اللغة و البلاغة و الميلاد الجديد –ط.–دار سعاد الصباح –ص140

[3] كريب رمضان –العادة من منظور أدبي –مجلة الثقافة الشعبية –العدد رقم 7–تلمسان جوان –1998–ص 24.

أ- تعريف الأسرة

تعرف الأسرة بأنها جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك و تعاون اقتصادي، و وظيفة تكاثرية، و يوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع، و تتكون على الأقل من ذكر بالغ و أنثى بالغة وطفل سواء أكان من نسلها أو عن طريق التبني[1]،و ذلك لان "مجرد اختلاط الرجل بالمرأة-كما كانت الحال في العصر الجاهلي-يتفق كثيرا مع القواعد البيولوجية التي يخضع لها النوع، علما بان عدد الأفراد سيتكاثر، بفعل ما يطلق عليه (الاتصال في نطاق الحرية الجنسية)" [2].

ب- أنواع الأسرة

وعلى الرغم من وضوح هذا التعريف الشامل فان أنواع الأسر قد حددت في شكلين اثنين:

الأول:الأسرة الممتدة: و يقصد بها الأسرة التي تمتد جذور شجرتها لتشمل جميع أفرادها الكبرى وهي تتكون عادة من الجد والجدة والأب والأم والأولاد والبنات والأعمام وغيرهم، ويشترط أن يقيموا جميعا تحت سقف واحد، وهي تسمى بالدار الكبرى عند الحضر و الخيمة عند البدو[3].

و يعمل الفرد داخل الأسرة الممتدة من اجل توفير المعيشة إذ هو مسؤول أمام جماعته بفضل ذلك التعاون و الإخاء. و يكون الجد هو الرئيس الروحي لها،حيث يشرف على السير الحسن داخل الجماعة و يحافظ على الانضباط، كما يسير الملكية المشتركة.

-و من خصائص الأسرة الممتدة :

---

[1] عاطف وصفي :الانتربولوجيا الاجتماعية-دار النهضة للطباعة و النشر -بيروت-ط3-1981-ص91.

[2] مالك بن نبي:ميلاد مجتمع:شبكة العلاقات الاجتماعية -ص 49.

[3] مصطفى بوتفنوشت-العائلة الجزائرية -ص37.

1-الثبات و الاستقرار، و ذلك بالرغم من تعاقب الأجيال إذ مهما تغيرت أفراد الأسرة فإنها تظل محتفظة بنمطية الارتباط العائلي تجاه أفرادها[1].

2-ازدياد حجم و نوعية العلاقات الاجتماعية بين أفرادها. فالفرد في هذا النمط الأسري لا يرتبط بعدد كبير من الأفراد فحسب بل يرتبط مع هؤلاء الأفراد بشبكة واسعة من العلاقات الاجتماعية، مما يترتب عليه الضعف التدريجي في سلم العلاقات الاجتماعية بين فردين في الأسرة.

3-التقارب المكاني بين أفرادها، و مما يتيحه هذا الجوار لرؤية الأفراد بعضهم ببعض، كما يسهل لأفراد معينين في الأسرة مراقبة الأفراد الآخرين و ملاحظة سلوكم و محاسبتهم على أي انحراف أو خروج عن القيم الاجتماعية التي ينبغي أن تلتزم بها الأسرة[2].

ثانيا:الأسرة النووية (المستقلة): وهي النواة أو الخلية الأولى للمجتمع الإنساني و أحيانا يوجد من يسميها "الأسرة الصغيرة".و تتكون من زوج واحد وزوجة واحدة و أطفالهما [3].

-و من مميزات هذه الأسرة :

1- الحرية و الاستقلال: لا يخضع الابن لأبيه، إذ هو حر في سلوكه وأعماله بل و في مسكنه، حتى و إن كلفه الأمر إلى أن يعيش مع عائلة زوجته بعدما كانت هذه العادة محتقرة عند معظم العائلات التقليدية.

2- البعد المكاني يؤدي إلى التقليل من فرص التناحر و التباغض بسبب الملكية المشتركة، سواء كانت قطعة ارض أو مسكن و غيره من التركة.

3- القدرة على إعالة الزوجة و الأبناء و العيش في جو هادئ.

---

[1] عمر ديدي – المخطوط السابق-ص87.

[2] مسعودة كمال -مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري-ص22.

[3] عاطف وصفي -الانتربولوجيا الثقافية-ص165.

و بعدما عرفنا الأسرة و أشكالها و مميزاتها نسلط الضوء على نظام الأسرة.

ت- نظام الأسرة

1.النظام الأبوي: يسمح نظام الأسرة الممتدة بالنظام الأبوي المتسلط أو السلطوي patriarcal بحكم أن رئيس العائلة يجمع بين يديه غالبية السلطات الاقتصادية و الاجتماعية و القانونية بحكم علاقات الأب أو الأخ الأكبر بالأبناء و الإخوة الأصغر [1].

و من خصوصيات هذا النظام :

1- التسلط على الزوجة و الأولاد.
2- التسلط على المال.
3- التصرف المطلق في كل الشؤون دون أن يكون للزوجة الحق في الاستشارة.

و الملاحظة أن معظم الأسر في المجتمع الجزائري لا تزال تتبع أحكام العائلة الأبوية التي عرفتها المجتمعات القديمة.و من أشهر الأمم التي حافظت على نظام العائلة الأبوية هم اليهود و العرب، و لذا فان المطلع بمجرد سماعه اسم الثوراة، يتذكر في الحال حكومة الآباء و رئاستهم و حقوقهم على الزوجات و الأولاد و العبيد و الماشية، و سلطتهم التي لا حد لها بما فيها معاقبة الأولاد بالقتل و حصر الإرث في الذكور و حرمان الإناث من الزوجات و البنين و تفضيل الحواشي الذكور عليهن في المواريث[2].

لكن هذا الكلام لا يتطابق مع عصرنا الحاضر و مع بلدنا الإسلامي، إذ هو على عكس ما جاء به الإسلام، فمن الصحيح انه جعل قوامة الأسرة على

---

[1] محمد رياض-المرجع السابق -ص 516

[2] عمر كحالة -النسل، الجمال،جولة في ربوع التربية ج1-سوريا-ص17.

يد الرجل و مع ذلك لم يهن المرأة و لم يحتقرها إذ أمر الرجل أن يكن لها كل التقدير و الاحترام [1].

مع الإشارة إلى ظهور نظريات كثيرة تنادي بحق الرجل في قيادة الأسرة، انطلاقا من انه المهيء الأول جسديا و معنويا لهذه المهمة [2].

2 –النظام الأموي:

في الأول لا بد أن نتساءل عن كيفية نشوء الأمومة؟اختلف العلماء في أمر نشأة الأمومة و تباينت آراؤهم في أمر ظهورها فذهب بوشفن «bouchofen» إلى أنها نشأت من نكاح المشاركة أو بعبارة ثانية من نكاح الاختلاط فتولد من هذا النوع من النكاح الفوضوي، إذ ليس من السهل أن يعرف الولد أباه،فينتسب إليه و يلتحق به و لدا كان النسب محصورا في الأم و قرابتها و حسب،و أصبحت لها مكانتها العالية عند القوم لأنها في الحقيقة الوالدة الوحيدة المعروفة من أبوي الولد مما أدى بها إلى تزعمها الهيئة الاجتماعية ردحا من الزمن[3].

و يذهب العالم كوونت cuwont أيضا إلى أن الأمومة ظهرت بظهور عصر الزراعة و ذلك لان الأم في ذلك الوقت كانت تتعهد الأرض بالغرس و الزرع تعهدا كليا،و كانت تشرف على البيت إشرافا تاما لا ينازعها السلطة عليه احد، متحملة التبعات العظيمة التي ألقيت على عاتقها مما جعلها تهتم بالناحيتين الداخلية و الاقتصادية، بينما كان الرجل بعيدا عن البيت و عن هذه المظاهر المختلفة إلا للقيام بواجب الدفاع أيام الغزوات و الحروب وغير ذلك [4].

---

[1] طبقا لقوله تعالى:"الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و بما أنفقوا من أموالهم.".

[2] محمد رياض –المرجع السابق–ص127.

[3] عمر كحالة –المرجع السابق–ص13.

[4] عمر كحالة–المرجع السابق –ص14/13.

ما نستخلصه من هذه النظرية الأخيرة أنها جعلت مهمة الرجل في نظام الأسرة الأموية تنتهي عند الدفاع عن الأسرة دون إعالتها،لكن ما نقوله أن مهما كانت درجة و قيمة المرأة إلا أنها بحاجة لمساعدة الرجل" فهو المعيل و صار بقية أفراد العائلة عيالا مهما كانت درجة مشاركتهم في العمل ومهما كانت علاقات الإعالة و الاعتماد متبادلة" [1].

و على خلاف العائلة الأبوية، فان سلطة التسيير الاقتصادية خاصة في الأسرة الأموية تقع على عاتق الجدة أو الأم أو الأخت أو غيرهن من الإناث[2].

فالإشراف على تسيير البيت تتحمله عادة –في هذا النوع من الأسر – المرأة إذ هي التي تتكفل بجميع المصاريف التي تتطلبها الأسرة، مع الإشارة إلى أن الممول الأصلي يبقى الرجل إذ هو الذي يقدم المادة الأساسية إلى زوجته أو أمه التي تقوم بدورها بالصهر على تسيير ميزانية البيت.

و نظرا إلى تقلص مسؤولية الرجل في الأسرة الأموية، فانه يصبح في نظر أفراد أسرته مجرد عضو مستهلك، و ذلك على الرغم من العلاقة الضيقة التي تربطه بزوجته، تبقى عادية داخل أسرته [3]. إذ إن تحمل المرأة للمسؤولية لا يجعلها تعتقد أن مفتاح سيطرتها على زوجها قد أصبح بين يديها إذ لو كان ذلك صحيحا، لما عرف هذا النوع من العائلات تعدد الزوجات.

و عليه يمكن أن نقول إن الأسرة هي "عبارة عن وحدة من وحدات التنظيم الاجتماعي،و لكن صورة العائلة و علاقة أفرادها بعضهم ببعض، و علاقتهم بالأفراد الآخرين داخل المجتمع الواحد أو خارجه،تحكمها معايير و محددات

---

[1] حليم بركات–النظام الاجتماعي و علاقته بمشكلة المرأة العربية –ط1–بيروت–1982–ص63.

[2] محمد رياض–المرجع السابق–ص 516.

[3] المرجع نفسه–ص526.

ثقافية.فتجد مثلا ثقافة مجتمع ما يسود فيها نمط الأسرة الأحادية، في حين يسود في مجتمع آخر نمط الأسرة المتعددة الزوجات، كما قد يسود في ثقافة ما نمط السلطة الأبوية المطلقة، فيما تنعدم هذه السلطة للأب و توزع على الكبار من أفراد العائلة (كالإخوة و الأعمام)أو تتمركز في يد الأم وحدها، أو يتقاسم كل من الأب و الأم هذه السلطة في ثقافات أخرى و هكذا... [1].

و من خلال ما سبق، يمكن أن نقول إن الأسرة تطورت فبعدما كانت الأسرة الممتدة تتمركز في اغلب المناطق :"فان اتجاه التغير الآن يجعل كل ابن متزوج يستقل فورا عن أسرته الكبيرة و تختلف درجة الاستقلال باختلاف الظروف،فقد يستقل الابن استقلالا اقتصاديا و يظل اجتماعيا مرتبطا بالأسرة، و قد يكون استقلاله تاما خصوصا إذا هاجر من القرية و إن ظل على صلة بالأسرة يعاونها اقتصاديا" [2].

لقد أخد نطاق الأسرة يضيق شيئا فشيئا حتى وصل إلى الحد الذي استقر عليه الآن في معظم المجتمعات الحاضرة حيث أصبحت لا تشمل سوى الزوج و الزوجة و ذريتهم [3].

و مما يؤكد عدم استمرارية الأسرة الممتدة "إن بمجرد موت الوالدين تكثر الخلافات، فيذهب كل واحد يفتش عن مصلحته بعيدا عن إخوته و من ثم لا يبقى لهذه العائلة اثر، فأواصرها تنمحي بمرور الزمن خاصة إذا ما تزوج الأبناء و البنات من خارج الأسرة" [4].

---

[1] احمد بن نعمان –المرجع السابق –ص136.

[2] محمد.عاطف غيث–دراسات في علم الاجتماع القروي– دار النهضة العربية للطباعة و النشر –بيروت–ص 170

[3] عبد الحليم لطفي –علم الاجتماع–دار النهضة العربية للطباعة و النشر –بيروت–1981–ص123.

[4] عاطف وصفي –المرجع السابق– ص 173.

هذا لا يجعلنا ننفي وجود الأسرة الممتدة في وقتنا الحاضر و في مجتمعنا الجزائري بصفة عامة، لأننا لا زلنا نرى بعض العائلات التقليدية تحافظ على نمطية الشكل القديم للأسرة و تعاقب كل من حاول الخروج عنها.

و بعد تعريف الأسرة وتقديم أشكالها و مدى تطورها،نحاول إعطاء لمحة عن الحداثة أو التحديث و بعدها نرجع لنجيب على السؤال المطروح و الذي يتمثل في: هل لا زالت الأسرة تحافظ على عاداتها و تقاليدها أم لا؟

تعريف التحديث :

يعرفه الأميركي ن س ايسنشتات عام 1963 بما يلي "يمثل التحديث تاريخيا عملية التحول نحو تلك الأنماط الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية التي تطورت في أوربا الغربية و في أمريكا الشمالية منذ القرن السابع عشر وحتى التاسع عشر، و التي انتشرت بعد ذلك لتعم بلدانا أخرى. "[1] إن نمط التحديث حسب تعابير ايسنشتات نفسه (eisenstadt)، "ينتشر خارج منطقته الأصلية، أو" يشيع " بتعبير آخر. إن نظرية التحديث هي نظرية انتشار، وهي بالتالي مرتبطة بتيار في علم الاجتماع يعتبر أن التغيرات الثقافية تحدث بانتشار التجديد – و دائما حسب تعبير ايسنشتات –فان التحديث "هو عملية تغيير"و لكن التحديث هو الذي يقيم التغيير و التجديد. فكل ما هو جديد يعتبر تقدما، والمجتمع العصري هو المجتمع الذي يعتقد انه يتجه نحو المستقبل أكثر من اتجاهه نحو الماضي و هكذا تصبح الحداثة إحدى القيم، و تستجلب بالتالي مناصرين و مناهضين "[2]

[1] فيليب لابورت–تولرا– المرجع السّابق – ص 10

[2] المرجع نفسه– ص 11

2-أسباب تخلي الأسرة عن عاداتها و تقاليدها:

إن من جملة الأسباب التي جعلت الأسرة تتجه نحو الحداثة(لا تحتفظ بعاداتها و تقاليدها): التغيرات و التحولات التي طرأت عليها. و أهم تغير يتمثل في تحول العائلة من ممتدة إلى نووية. وهو لم يترك أثره على الناحية الشكلية فحسب بل غاص في أعماقها و افسد العلاقات و الروابط بين أعضائها.

فالعائلة –الأسرة– العربية في المجتمع العربي تمر بتغيرات ذات أهمية بالغة ألقت بظلها على تركيبته العضوية،ففي الوقت الذي كان المجتمع قبل بضع سنوات مجتمعا قرويا محافظا على المبنى الأسري التقليدي حيث كانت الأسرة النواة التي تدور حولها كل القضايا الحياتية و الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية، مما أدى إلى تفتت و إضعاف العلاقات و الروابط بين أبناء الأسرة الواحدة،و هذا بدوره أدى إلى إخلال في توازن داخل الأسرة و خارجها." [1].

فبعدما كانت العلاقات بين الناس مطبوعة ببساطة و تلقائية تجعل من سكان المنطقة أسرة واحدة و متضامنة خاصة في مثل هذه المناسبات (كالزفاف مثلا)حيث يشكل هذا الحفل مناسبة تاخد فيه هذه الحميمية كل أبعادها أصبح العرس اليوم حفلا راقيا يخص الطبقات العليا فقط يقام في قاعات كبيرة مخصصة له (salle). فلقد تحول الزفاف إلى مظهر ثقافي يعكس طبيعة المجتمع الذي ينحو نحو العصرنة و التقدم.

و بدخول التصنيع و التحضر تحولت العائلة في المدينة من ممتدة إلى نووية تستطيع التكييف و الانسجام مع البيئة الصناعية و الحضرية أكثر من العائلة الممتدة. "فالعائلة النووية تستطيع التكييف مع عمليات الانتقال الجغرافي و المهني و الاجتماعي التي يتعرض لها الفرد في المجتمع الصناعي، بينما لا

---

[1] أبو حميدة مرعي مريم–قراءة في الواقع التربوي و الثقافي للطفل الفلسطيني –مجلة البيادر –منظمة التحرير الفلسطينية –ع.1991،6–ص 109.

تستطيع العائلة الممتدة القيام بهذه المهمة. و العائلة التي تقطن في البيئة الحضرية تسكن في بيت جديد و لا تسكن مع أقاربها. و هنا تضعف العلاقات القرابية و تزداد حالات الانتقال الاجتماعي و الجغرافي. إذن تلبي العائلة النووية حاجات و متطلبات المجتمع الصناعي و الحضري أكثر من العائلة الممتدة." [1].

كما أكد "وليام جود"وليام William Goode في كتابه "الثورة العالمية وأنماط الأسرة" Révolution and family patterns إن دول العالم التي أصبحت صناعية و متحضرة تتحول أنساقها الأسرية في اتجاه نسق الأسرة الزوجية، و هو يرى أن السبب في ذلك هو ملائمة شكل الأسرة الزوجية للمجتمع الصناعي الحديث، و يقول"بينما يتغلغل النسق الاقتصادي و يمتد من خلال التصنيع، تتغير أنماط الأسرة، و تضعف روابط القرابة الممتدة، و تتحلل أنماط البيئة، و تتجه نحو بعض أشكال النسق الزوجي الذي يبدأ في الظهور، وهذه هي الأسرة النواة التي تصبح وحدة قرابية مستقلة." [2].

و هناك عوامل عديدة صاحبت التصنيع تتجه إلى تحريك بناء الأسرة نحو شكل النسق الزوجي،فالأعمال في النسق الحديث في الصناعة تعتمد على الانجاز أكثر من اعتمادها على "النسب" و هذا يعني أن الإنسان سوف ينجح أو يفشل تبعا لكيفية أدائه لعمله،و بالتالي يميل الأفراد إلى التحرر من الروابط القرابية (التي لم يعد لها قيمة أو فائدة)لكي يصبحوا أكثر حرية من التنقل المكاني و الاجتماعي دون أن تقف هذه الروابط عائقا في طريق تقدمهم ونجاحهم[3].

---

[1] إحسان محمد الحسن –العائلة و القرابة و الزواج–دراسة تحليلية في تغير نظم العائلة و القرابة و الزواج في المجتمع العربي –دار الطليعة للطباعة و النشر –بيروت–الطبعة الاولى –1981–ص125.

[2] سناء الخولي–الأسرة و الحياة العائلية –دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع –الإسكندرية –ص66.

[3] سناء الخولي– المرجع السابق–ص66.

كما ان من أسباب تغير العائلة من ممتدة إلى نووية و الذي كان له الأثر الواضح في اندثار العادات و تلاشيها هو الاستقلال الاقتصادي لأفراد العائلة الواحدة. "فالعائلة قبل التصنيع كانت تعتمد على دخل موحد كان مصدره المهنة الواحدة التي يزاولها أفرادها و كانت تنفق هذا الدخل على سد و إشباع متطلباتهم المعيشية و الحياتية لكنه بعد التصنيع و بفضل تخصص أفراد العائلة من مهن و أعمال مختلفة تزاول خارج البيت أصبح كل عضو من أعضاء العائلة يتقاضى أجرا أو راتبا مستقلا و هذا ما نتج في الاستقلال الاقتصادي لأعضاء الأسرة و عدم اعتمادهم على العائلة الممتدة أو الحمولة في سد متطلباتهم المعيشية. و هذه الحقيقة بدون شك ساهمت مساهمة فعالة في تفكك عرى العلاقات الاجتماعية و الروحية بين أفراد الأسرة الواحدة. و لم يستقل الفرد عن أسرته اقتصاديا فقط بل استقل فكريا و ثقافيا و عقائديا و سياسيا." [1].

كما أن من بين تغير العادات و اندثارها:تقلص السلطة الأبوية و سيطرة النظام الأموي.و لعل السبب يرجع إلى تغير مركز المرأة بسبب خروجها للتعليم و العمل. فبعد أن كانت المرأة إلى عهد قريب، تخضع كلية لوصاية الرجل سواء كان أبوها قبل الزواج أو زوجها بعد ذلك. و كانت تعتمد اعتمادا كاملا على أسرتها إلى أن تنتقل إلى بيت الزوجية فيتحمل الزوج مسؤولية الإنفاق عليها، و تقوم الزوجة من جانبها بتدبير شؤون الأسرة، و إنجاب الأطفال وتربيتهم، ورعاية الزوج و السهر على راحته. بيد أن هذا الموقف قد تغير في الوقت الحاضر بعد أن نالت المرأة قسطا ملائما من التعليم و تحررت من القيود التي فرضتها ثقافة الرجل و وضعيتها في مرتبة ثانوية و نزلت إلى ميدان العمل الخارجي و حققت لنفسها استقلالا اقتصاديا نسبا[2].

---

[1] حسان محمد الحسن –علم اجتماع العائلة–دار وائل للنشر و التوزيع –الأردن الطبعة الاولى2005–ص132.

[2] محمود حسن –الأسرة ومشكلاتها –دار النهضة العربية للطباعة و النشر –بيروت–ص207.

و الكلام لا يقتصر على المرأة الجزائرية فحسب بل إن انتشار معالم التصنيع و التحضر في كل مكان و دخول الأفكار الحديثة من البلدان الأجنبية المتعلقة بتحرير المرأة و مساواتها مع الرجل قد أضعفت قوة التقاليد والعادات... .

و إن تزعم المرأة السلطة داخل البيت و خارجه و تطلعها على الثقافات المختلفة جعلها تتخلى عن بعض العادات الموروثة من الماضي و تعتنق عادات دخيلة ترى فيها الفخامة و الأبهة (العصرنة و التقدم).

إلا أن ليس معنى هذا أن كل امرأة متعلمة و ليس كل أسرة نووية تخلت عن عادات و تقاليد آبائها.فهناك عائلات رغم استقلالها و تطورها لا زالت على اتصال بأفراد أقاربها، و هي متمسكة بموروثاتها إذ ترى فيها البركة و الخير والنجاح.

3-أسباب تمسك الأسرة بعاداتها و تقاليدها:

تؤدي العادات و التقاليد وظيفة اجتماعية معينة ترتبط بظروف مجتمع معين أو واقعة معينة خلال فترة تاريخية محددة بزمان معين، ومن هنا ينظر إليها علماء الفلكلور المعاصرون كتعبير عن واقع اجتماعي معين تمارسه الجماعة بسلوك خاص يكتسب مع الزمان قوة القانون العرفي الذي يجب أن تمتثل لسلطانه الجماعة. [1]

تمارس الأسرة هذه العادات في مناسبات معينة كمناسبة الزفاف، لدرجة أنها أصبحت ذات سلطة و هيمنة على مستوى الممارسات حتى صارت من المقدسات.

[1] ابراهيم الداقوقي-تأثير الفلكلور العربي في الفلكلور التركي -التراث الشعبي-العدد السابق-ص92 – المرجع السّابق – ص 417

و يلعب الأولياء الدور المباشر في الحث على إتباع هذه العادات ويقومون بتدريب أبنائهم على الاقتداء بها، و ذلك من خلال إعادتها و تكرارها في مناسبة الأعراس، ليحافظوا عليها،و ليتلقاها الخلف عن السلف .

تنطوي هذه الطقوس على مجموعة من القواعد الاجتماعية و الأخلاقية التي تضمن استمرار المعتقد و رسوخ الممارسة، و على هذا نجد الثقافة الشعبية تحذر من ينتهك شروطها، و تصبغ مجموعة من المعتقدات و الحكايات حول العقوبات و الأضرار التي قد تلحق بمن يخالفها. و كلما توارثت هذه المعتقدات و الحكايات حول العقوبات و الأضرار التي قد تلحق بمن يخالفها.و كلما توارثت هذه المعتقدات و الحكايات كلما ساعدت على تعميق التصور و تدعيم الممارسة. و خير مثال على ذلك ظاهرة تغطية العروس أثناء زفتها. فهم يعتقدون بان مرور الموكب على الأضرحة و الأولياء يلحق بالعروس الأذى إذا كانت مكشوفة الرأس.و هم ينسجون أسطورة تقول أن قديما مرت عروس "بسيدي جبور"[1] و هي غير مستورة. ففي تلك اللحظة تحولت إلى طائر جامد.و هناك من يقول ان العروس أصبحت بكماء و غيرها من الأقاويل. وكان ذلك نتيجة غضب الضريح و سخطه عليها سبق و أن اشرنا إلى هذا.

كما تتعدد العقوبات التي تلحق بالمخالفين في اعتقاد هؤلاء و تتمثل في:

-إلحاق الضرر بالعروس و العريس كمرض أو موت أو إحداهما.

-حدوث الطلاق بين الزوجين في بداية حياتهما الزوجية.

-تعرض احد أقاربهما إلى حادث.

لقد تفطن علماء الانتربولوجيا، و علماء النفس و كذا علماء الاجتماع إلى ذلك الرباط الروحي الذي يربط حركته العائلة بعاداتها و تقاليدها على مر الزمن و الذي قد يشكل المخبأ الدائم يعود إليه الفرد عند كل أزمة أو كبوة ليجد فيه

[1] سيدي جبور :ولي ببني وارسوس في منطقة تلمسان.

الأمن والاطمئنان حماية لذاته ولهويته الثقافية و الاجتماعية المعرضة في كثير من الأحيان إلى هزات عنيفة وهجومات تدميرية. فقد كانت فضاءات العادات والتقاليد المادية منها و غير المادية عنوانا و ملجأ تستقر فيه شخصية العائلة، كما كانت رمزا للعائلة في خضم المعارك الاجتماعية و الثقافية التي تخوضها يوميا أمام الممارسات الجديدة و خاصة منها تلك التي يسودها و يسيرها مبدأ التضاد و التناقض و التدمير[1].

إن اللجوء إلى العادات الموروثة تجعل الإنسان يشعر بالاطمئنان والراحة،كما إنها "تقيه من الشعور بالغربة و من الإحساس بالقلق "[2] و تعيد له التوازن المفقود و تهدئ اضطراباته.

و ليس المهم أن نسرد كل العادات و الممارسات التي حاول الشعب المحافظة عليها لأنها عديدة و متنوعة تتعدى طاقاتنا و طاقات هذه الأوراق،ولكن لا يسعنا القول إلا أنها مست كل جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية و الاقتصادية و السياسية و الفكرية.

فهي ممارسات أنتجها الوجدان الشعبي تلبية لرغباته المعاشة، فظلت حية بحياته،تتحرك بحركاته على مدى تاريخه الثقافي و الاجتماعي و السياسي والاقتصادي المحلي،بكل ما تمتاز به و ما تحمله بين طياتها من عراقة و آصاله و واقعية و جماعية، فهي تتعدى الوظيفة التي أراد أن يلبسها إياها البعض حين حصروا ذكرها و الحديث عنها في مناسبات الفرحة و التسلية و إبراز ما فيها من طابع العجائبي و الغرائبي. فهي غير ذلك، إنها تترجم نمط تفكير و فلسفة شعبية و تدابير مادية و معنوية من اجل مجابهة متطلبات الحياة. لقد ظلت

---

[1] د-محمد. السعيدي-العائلة عاداتها و تقاليدها بين الماضي و الحاضر-الظاهرة الاحتفالية بالأعياد نموذجا مجلة إنسانيات المجلة الجزائرية في الانتربولوجيا و العلوم الاجتماعية -عدد4-جانفي افريل -1998 _ص42.

[2] هاني ابراهيم-المرجع السابق-ص131

العائلة المحلية محافظة على عاداتها و تقاليدها، تحياها و تعيشها بدون هوادة ولا انقطاع... [1].

و نصل من كل ما سبق إلى أن الأسرة تواجه في منطقة تلمسان – بوصفها نموذجا للجزائر عامة. بعاملين متعارضين:

1- عامل العصرنة والتطور بحيث تمارس العائلة عادات غريبة دخيلة أقحمتها داخل البيوت عوامل متعددة كسهولة الاتصال و الاحتكاك بشعوب أخرى(الغرب)، أو وسائل الاتصال الجماهيري خاصة المرئي منها الأمر الذي أدى إلى التعرف على عادات أخرى... .

2- و عامل المحافظة و التقليد: فهي تمارس العادات الموروثة من الماضي و هي تحمل بين طياتها مبدأ الأصالة و الهوية.

إن الكيان الأول يدعي العصرنة و الحداثة و التجديد و في اعتقاده أن هذه العادات والتقاليد الموروثة بالية و قديمة لا تجدي نفعا.،فهي تعرقل أفكاره ونشاطاته. و في الوقت نفسه يرى في هذا النمط الجديد رمزا للتطور والالتحاق بركب الحضارات المتقدمة.

أما الكيان الثاني، يدعي الأصالة و الانتماء و المحافظة على الهوية. والحاضر في نظره هو امتداد للماضي أي أنه يصب الماضي في الحاضر. فهو يتمسك تمسكا شديدا بالماضي فهذه العادات الموروثة متأصلة في نفسه مترعرعة في وجدانه، قد تصل لدرجة التقديس.

و خلاصة القول نقول انه مهما تحاول أية مجموعة بشرية أن تحافظ على ثقافتها و لا تتأثر بغيرها، إلا و نجدها تخضع للتغيير و التجديد. و يشير إلى هذا الدكتور عبد الله عبد الغني غانم "و قد وصلنا الآن إلى مرحلة حيث ازداد الاحتكاك و الاتصال بين الثقافات المختلفة و المجتمعات المختلفة، و ليس هناك

---

[1] محمد السعيدي- المرجع السابق-ص44.

قارة لم تتأثر أو تخضع لتأثير التكنولوجيا ، و عبر التاريخ نجد أن المجتمعات المنعزلة خضعت لضغوط جعلتها في النهاية تغير نظمها بسرعة، وبطريقة تحكمية، و القليل من السكان مع ذلك يعيش في منطقة منعزلة تماما، و كانوا يستجيبون بشكل بطيء لعمليات الاختراع و الانتشار، و في القرن العشرين فان كل الثقافات الأصلية –تقريبا –دخلت في عمليات اتصال مع ثقافات و حضارات أخرى." [1]

معنى هذا أن أي مجتمع هو مضطر ليتلبس بالحداثة. و" الحداثة تواتر زمني يتجاوز ذاته باستمرار لا عن طريق نفي ماضيه و أزمنته السحيقة (التقليد) بل عن طريق صوغها و إعادة عجنها ضمن تركيبة جديدة يمثلها المستقبل" [2].

[1] قراءات و تطبيقات في طرق البحث الانتربولوجي–المكتب الجامعي الحديث–الإسكندرية–الطبعة الأولى–2004–ص192

[2] محمد الشيخ–جاذبية–الحداثة–و مقاومة التقليد–مطارحات في الفكر الفلسفي المغربي المعاصر–عبد الله العروي – عبد الكبير الخطيبي –محمد عابد الجابري–علي اومليل–طه عبد الرحمان–محمد سبيلا–دار الهادي للطباعة و النشر–والتوزيع–ط1–2005ص –278

خاتمة:

أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة:

الاحتفالات التي يقيمها الناس في مختلف المناسبات تعد في واقعها نوعا من الممارسات الشعبية التي تتصف بالمظهر الرسمي، و هي عبارة عن عادات شعبية مورست في مناسبات مختلفة و ارتبطت بعواطف الناس، و تبلورت حول قيم و معان و أحداث لا يمكن للأفراد التخلي عنها، بل ترجمتها و إعادتها وتكرارها و نقلها من التجريد إلى الواقع.

كما تبين لنا أيضا أن الاحتفال بالزفاف في منطقة تلمسان يحمل في ثناياه شعائر و طقوس و مراسم و رموز تؤثر في الأفراد فتجعلهم يتجاوبون عاطفيا مع ما تتضمنه من أفكار و ما تثيره من صور ذهنية، و الغريب في هذا الأمر أن هذا التأثير العاطفي في الأفراد يحدث بطريقة مبهمة تعلو على التحليل العقلي و التفسير المنطقي تضغط عليهم و يجدون أنفسهم مضطرين إلى الاخد بها.

وقد لاحظنا أن أكثر الطقوس الشعبية التي ترافق العروس و العريس ليلة الزفاف تمارس في القرى والأرياف، وذلك لأن الريفيين لازالوا يحافظون على عاداتهم وتقاليدهم أكثر من المدنيين، كما يقول أحد الباحثين كلما كان المجتمع صغيرا كانت العادة فيه أكثر محافظة.كما يلاحظ أن المرأة هي الأكثر ممارسة ومحافظة على هذه العادات، وقد يرجع السبب إلى أن هذه العادات والتقاليد نشأت عند الإنسان القديم منذ عهد الأمومة، أي عندما كانت الأم هي المسيطرة على الأسرة لتنظيم حياتها، وتسيير أعمالها.

ويلاحظ أيضا أن هناك تشابها كبيرا بين الطقوس المرافقة للزفاف بين المجتمع الجزائري والمجتمعات الأخرى، وقد يرجع السبب إلى أن تراثنا الثقافي

امتلأ بالكثير من مخلفات العقائد والفلسفات والثقافات القديمة سواء أكان دلك عن طريق التجارة، أم الرحلات، أم عن طريق الحرب، أم عن طريق التزاوج والمعاشرة.

وقد تبين لنا أيضا من خلال هذا البحث أن هناك، عادات واجبة فيها نوع من السلطنة، وعادات اختيارية، فقبلنا بعضها ورفضنا البعض الآخر، الذي لا يتناسب والزمن المتغير. ولكن رغم التحولات والتطورات الثقافية إلا أننا لن نستطيع محو ما سبق من اعتقادات أي لا يمكن محو المعتقدات والخرافات من ذاكرة المجتمع لأنها كما يقول يونغ تعبر عن اللاشعور الجمعي الذي نرثه عن أجدادنا وآبائنا، فإن اختفت بعضها ممارسة، فلازال بعضها راسخا في الأذهان، فهي متعمقة ومتأصلة في نفوسنا، وهي تنحو نحو المحافظة أكثر مما تنحو نحو التجديد.

كما يجد أهالي منطقة تلمسان في الاحتفال بالزفاف فرصة للتقارب والتماسك الاجتماعي من جهة، و من جهة أخرى فرصة لإثبات الذات الجماعية و إثبات الهوية الثقافية. إن عادات الزفاف في منطقة تلمسان ليست للفرجة و التسلية، بل هي تترجم نمط تفكير و فلسفة شعبية و تدابير مادية ومعنوية من اجل مجابهة متطلبات الحياة.

كما توصلنا أيضا إلى أن منطقة تلمسان مرت بأربع مراحل:

دخول الأندلسيين إلى الجزائر عامة و تلمسان خاصة،مكوث العثمانيين في بلادنا حوالي ثلاثة قرون، الوجود الاستعماري الفرنسي،الوجود المغربي(حسن الجوار). كل هذا أدى إلى ترك بصمات هذه الشعوب على شعبنا فتداخلت العادات و اختلطت و تبادلت الثقافات.

المصادر و المراجع باللغة العربية:

- القرآن الكريم
- 1- إبراهيم محمد عبد الفتاح -الثقافات الإفريقية-1965.
- 2لإبراهيمي محمد البشير ا – عيون البصائر – الجزائر.
- 3- ابن خلدون- المقدمة- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت- لبنان- 1422هـ- 2002م
- 4- ابن سيرين- تفسير الأحلام الكبير -دار الكتب العلمية بيروت- ط1- 1999.
- 5- ابن منظور – لسان العرب – المجلّد الخامس. و الثالث عشر-دار صادر-بيروت-الطبعةالأولى1374-1955م 1412-1992م.
- 6- ابن حتيرة صوفية السحيري -الجسد و المجتمع-دراسة انتروبولوجية لبعض الاعتقادات و التصورات حول الجسد-دار محمد على للنشر -تونس-الطيعة الأولى- 2008.
- 7-ابن طولون بن شمس الدّين محمّد بن عليّ الدّمشقي الصّالحي – 880-952هـ /147- 1546- فصّ الخواتم فيما قيل في الولائم – تحقيق نزار أباضة – دار الفكر بدمشق – ط1 – 1403هـ/1983م.
- 8- أبو هلال -مقدمة إلى الانتربولوجيا التربوية -ط2-مكتبة النهضة الإسلامية -عمان -1979.
- 9-احمد سالم الأحمر-علم اجتماع الأسرة بين التنظير و الواقع المتغير -دار الكتاب الجديد المتحدة-لبنان-الطبعة الأولى-2004.
- 10- الألباني محمد ناصر الدّين – آداب الزّفاف – حقوق الطبع محفوظة للمكتب الإسلامي لصاحبه زهير الشاويش المكتب الإسلامي – بيروت- 1989.
- 11- إلياد مارسيا :- رموز وإشارات – ترجمة حسين كاسوحة – منشورات بوزارة الثقافة- دمشق- 1998.

–المقدس و الدنيوي–ترجمة نهاد خياطة العربي للطباعة والنشر و التوزيع –ط1–1987.

12– إليس هانري هافلوك:– الشذوذ الجنسي عند الجنس– منشورات دار محبو للنشر والطباعة– بيروت.

– الجنس و الزّواج و فنّ الحبّ – ترجمة عبد الإله الكويتي – المؤسسة العربية للدّراسات و النّشر المركز الرّئيسي – بيروت – ط2 –1991.

13.– أمين أحمد – حيزية– الملحمة الجزائرية (القصة والقصيدة) – دار المصباح للنشر –دار المصباح– رقم النشر 91/9.

14– باصديق حسين سالم – التراث اليمني – مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء– 1990.

15–. بالي وحيد عبد السلام – الصارم التبار في التحدي للسحرة الأشرار – مكتبة الإمام مالك– الجزائر– الطبعة العاشرة.

16– البخاري أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل الصحيح– ج2 ج3,ج5– دار الهدى للطباعة و النشر–الجزائر–1992

17– بدران إبراهيم الخماش سلوى – دراسات في العقلية العربية– 1– الخرافة دار الحقيقة بيروت– الطبعة الثانية– 1979.

18– البكر محمود مفلح – العرس الشعبي– بيسان.

19– بركات حلمي –النظام الاجتماعي و علاقته بمشكلة المرأة العربية–ط1–بيروت–1982.

20– بن نبي مالك– ميلاد مجتمع – شبكة العلاقات الاجتماعية – تر عبد الصبور شاهين – ج1 – دار الفكر مشق – ط2 1974.

21– بن نعمان احمد–سمات الشخصية الجزائرية من منظور الانتربولوجيا النفسية–المؤسسة الوطنية للكتابة الجزائر –1988.

22 – بن ونيش فريدة– المجوهرات والحلي في الجزائر– سلسلة الفن والثقافة وزارة الإعلام والثقافة– الجزائر– 1976.

📖23- بوتفشونت مصطفى – العائلة الجزائرية – التطور الخصائص الحديثة – ترجمة أحمد دمري – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر- 1984.

📖24- البيهقي أبو بكر احمد بن الحسين بن عليّ – السّنن الكبرى الجزء العاشر والحادي عشر – دار الفكر للطّباعة و النّشر و التّوزيع بيروت لبنان.

📖25- التهامي عائشة عبد العزيز – النسيج في العالم الإسلامي منذ القرن (8- 11هـ/ 14- 17م) دراسة أثرية فنية- دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية- ط1- 2003.

📖26 – التيجاني ثريا – دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري – وادي سوف نموذجا – دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع- الجزائر – ط1 عام 1998.

📖27- التجاني أبو القاسم – تحفة العروس ونزهة النفوس- مكتبة الثرات الإسلامي القاهرة.

📖28- نصر ثريا – تاريخ أزياء الشعوب- القاهرة- 1998

📖29- الفضيلات جبر محمود – بناء الأسرة المسلمة – على ضوء الفقه والقانون – دار الشهاب للطّباعة و النّشر – باتنة الجزائر- 1987.

📖30- ثامر ناجية – كتاب البعث المرأة و الحياة – ط1 جميع الحقوق محفوظة – الكتاب العاشر – 1956.

📖31- جابر هاني ابراهيم –الفنون الشعبية بين الواقع و المستقبل–الهيئة المصرية العامة للكتاب–1995.

📖32- الجميلي سيد – السحر و تحضير الأرواح بين البدع و الحقائق- مكتبة التراث الإسلامية- القاهرة.

📖33- الجوزية ابن قيم – شمس الدين أبو عبد الله : الطب النبوي- تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي- دار الأقصى القاهرة- ط15- 1990.

📖34- الجوهري محمد - علم الفلكلور – الجزء الثاني- دراسة المعتقدات الشعبية- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية.

📖35-. حسان محمد حسين –علم اجتماع العائلة–دائر وائل للنشر و التوزيع –الاردن–الطيعة الأولى 2005

📖36- حسن أيوب – مع ذكرياتنا الكويتية- منشورات ذات السلاسل الكويتية- الطبعة الثانية- 1984.

📖37- خزار عبد الحميد – فلسفة الزواج و بناء الأسرة في الإسلام ط2- الجزائر 1987.

📖38- الخشّاب مصطفى – دراسة المجتمع – مكتبة الأنجلو مصريّة – 1977.

📖39- خليفة ربيع حامد - الفنون الإسلامية في العصر العثماني – مكتبة زهراء الرشق القاهرة- ط1- 2001.

📖40- خليل أحمد خليل- مضمون الأسطورة في الفكر العربي- دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت- ط3- 1986.

📖41- الخولي سناء –الأسرة و الحياة العائلية –دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر و التوزيع–الإسكندرية

📖 42 –دياب فوزية – القيم و العادات الاجتماعية – دار النهضة للطباعة و النشر بيروت – 1980.

📖43- رياض محمد – الإنسان دراسة في النوع و الحضارة – دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت.

📖44- زلماطي عبد العزيز - التداوي بالأعشاب الطبية- دار الهدى عين ميلة- الجزائر.

📖45- زياني عائشة – موسوعة أغرب عادات شعوب العالم- الجزء الأول جميع حقوق محفوظة- دار الفرقان- 2004.

📖46-. سابق سيّد – فقه السنّة – المجلّد الثاني – ط4 -1983.

📖47- الساعاتي سامية حسن -السحر و المجتمع -دراسة نظرية و بحث ميداني-دار النهضة العربية للطباعة و النشر-بيروت-ط2- 1983.

📖48- سعد عبد العزيز – الزّواج و الطّلاق في قانون الأسرة الجزائرية، ط1 – دار البعث للطّباعة و النّشر -قسنطينة 1986.

📖.49 – سعد الله أبو القاسم- تاريخ الجزائر الثّقافي من القرن العاشر إلى الرّابع عشر الهجري (16-20 م) – الجزء الثّاني – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – الطبعة الثانية 1985.

📖50- سعيدان احمد سليم -مقدمة لتاريخ الفكر العلمي -عالم المعرفة- الكويت-1988

📖51- سيرنج فيليب – الرموز في الفن- الأديان- الحياة- تر- عبد الهادي عباس- الناشر دار دمشق ط1- 1992.

📖52- شاوش الحاج محمّد بن رمضان – باقة السّوسان في التّعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان – ديوان المطبوعات الجامعيّة – الجزائر -1995.

📖53 – الشرقاوي عفّت – دروس و نصوص في الأدب الجاهلي – دار النهضة العربية للطّباعة و النّشر بيروت – 1979.

📖54- الشيخ محمد -جادبية الحداثة و مقاومة التقليد-مطارحات في الفكر الفلسفي المغربي المعاصر-عبد الله العروي-عبد الكبير الخطيبي-محمد عابد الجابري-علي اومليل-طه عبد الرحمان-محمد سبيلا-دار الهادي للطباعة والنشر و التوزيع-مركز دراسات فلسفة الدين -بغداد-ط1 -2005.

📖55- صناوي سعدي – مدخل إلى علم اجتماع الأدب- دار الفكر العربي- بيروت- ط1 1994.

56-الطمار محمد بن عمرو- تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة حضارة الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر- 1984.

57- طوالبي نور الدين - الدين والتغيرات والطقوس- تر: وجيه البعيني- منشورات عويدات - بيروت باريس- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر- ط1- 1988.

58- الطيبي عكاشة عبد المنان - الزواج المثالي - دار رحاب للنشر والفنون المطبعية - الجزائر.

59- عبد الصمد محمد كامل- غرائب المعتقدات والعادات مفاهيم وعادات غريبة ما زالت قائمة- ج2- مكتبة الدار العربية للكتاب - القاهرة.

60 -عبد الناصر ياسين - الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي- دار الوفاء للطباعة والنشر الإسكندرية 2002.

61- عبد الغني عبد الله -قراءات و تطبيقات في طرق البحث الانتربولوجي -المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية-ط1-2004.

62- عشوي مصطفى - مدخل إلى علم النفس المعاصر- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر- ط2- 2003.

63- العطية فوزية - المرأة و التغير الاجتماعي في الوطن العربي - معهد البحوث والدراسات العربية ببغداد - 1983.

64- العنتيل فوزي - الفلكلور ما هو ؟ دراسات في التراث الشّعبي مكتبة مدبولي القاهرة - الطبعة الثانية - 1407 هـ 1987 م.

65- العنسي سعود بن سالم ، العادات العمانية- وزارة التراث القومي و الثقافة - سلطنة عمان- ط1- 1991.

66. عبد المعطي عليّ محمّد - جماليات الفنّ - المناهج و المذاهب والنّظريات- دار المعرفة الجماليّة - الإسكندرية 1998.

📖67 - عيسى الشماس-مدخل إلى علم الإنسان -الانتربولوجيا- منشورات اتحاد الكتاب العرب-دمشق-2004.

📖68- غنيم أحمد- فاتن محمد شريف- السحر والحسد في المجتمعات الريفية- من نشأة المعارف بالإسكندرية.

📖69- غيث محمد عاطف – دراسات في علم الاجتماع القروي دار النهضة للطباعة والنشر- بيروت.

📖70- ف.ج رايت-مبادئ علم الاجتماع -ترجمة محمد شيا-مكتبة مدبولي-القاهرة

📖71- الفوال صلاح مصطفى: علم الاجتماع البدوي – تقديم أحمد محمد خليفة – دار النهضة العربية القاهرة – 1974.

📖72- كحّالة عمر رضا :- الــزّواج سلسلة بحوث اجتماعية – الجزء الأول – سوريا- 1984.

- النسل، الجمال،جولة في ربوع التربية -ج1-سوريا.

📖73- الكعّاك عثمان – التّقاليد التّونسية – النّشرة الثّالثة الدّار التونسية للنّشر – 1981.

📖74- كفافي علاء الدّين – الإرشاد و العلاج النّفسي الأسري – المنظور النفسي الاتصالي – ط1 – دار الفكر العربي القاهرة- 1999.

📖75- كمال مسعودة – مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري – ديوان المطبوعات الجامعية – 1986.

📖76- كوش دنيس -مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ترجمة منير السعيداني -مراجعة الطاهر لبيب-مركز دراسات الوحدة العربية-لبنان -ط1-2007

📖77-. لابورت فيليب -تولرا-جان بيار فارنييه-اثنولوجيا انتربولوجيا-ترجمة مصباح الصمد -المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع لبنان -2004.

78- لطفي عبد الحميد – علم الاجتماع – دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت – 1981.

79- لوركر مانفرد معجم المعبودات و الرّموز في مصر القديمة – تر: صلاح الدّين رمضان مراجعة الدّكتور محمد ماهر – مكتبة مدبولي – القاهرة – ط1 –2000.

80- محمودي يحي – الأعشاب الطبية من الحديقة النبوية، قصر الكتاب بالبليدة الجزائر – ط1، 1990.

81- مجموعة من الباحثين–الإنسان و المقدس–دار محمد علي الحامي للنشر و التوزيع–تونس–ط1–1994.

82- مجموعة من الباحثين –الموسوعة الجنسية – العلاقات الجنسية عبر التاريخ– مكتبة الحياة – بيروت.

83 – مجموعة من الكتاب– حلقة العناصر المشتركة في المأثورات الشعبية في الوطن العربي– القاهرة– 1971.

84- مجموعة من الباحثين –المنجد في اللغة والأعلام– دار المشرق– بيروت– 1986.

85- مجموعة من الباحثين – قاموس المصطلحات الأثرية والفنية– مكتبة الشركة العصرية العالمية للنشر لونجمات..

86- مرتاض عبد الملك : -عناصر التراث الشعبي في "اللاز" – دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية– ديوان المطبوعات الجامعية– الجزائر.

87- مدخل إلى نظرية الثقافة الشعبية أعمال الملتقى الدولي حول الشفاهيات الشعبية الإفريقية الجزائر – ج2– طبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر– 1992.

88- النثيمي محمد احمد – الزواج قديما في الكويت– ط1– 1974.

89- نظير وليم – المرأة في تاريخ مصر القديم– دار القلم– القاهرة.

90- نينا جميل ، الطعام في الثقافة العربية، نيسان، ط1، 1994.

📖91- الوافي عبد الرحمان - المختصر في مبادئ علم النفس – ديوان المطبوعات الجامعية – الساحة المركزية بن عكنون الجزائر- ط2-

📖92-الوحيشي أحمد البيري، الأسرة و الزواج، مقدمة في علم الاجتماع العائلي، الجامعة المفتوحة طرابلس، الجماهرية العظمى 1988.

📖93- وصفي عاطف-الانتربولوجيا الاجتماعية -دار النهضة للطباعة والنشر -بيروت-ط3-1981.

المجلات و الدوريات :

📖 1-مجلة إنسانيات -المجلة الجزائرية في الانتربولوجيا و العلوم الاجتماعية -ع4-افريل- 1998.

📖 2- مجلة البيادر -منظمة التحرير الفلسطينية -ع6-1991.

📖 3-مجلة التراث الشعبي – العدد الأول- السنة التاسعة- بغداد – 1978.

📖 4- مجلة التراث الشعبي -العدد الثاني-السنة الثامنة -بغداد-1977.

📖 5-مجلّة التّراث الشّعبي- العدد الثّالث- وزارة الثقافة والفنون – بغداد- السنة التاسعة- 1978.

📖 6-مجلة التراث الشعبي -العدد الثاني عشر-بغداد-السنة العاشرة -1979.

📖 7-مجلة الثقافة الشعبية- العدد7-تلمسان -جوان1998.

📖 8-مجلة التراث – تراث معنوي (غير مادّي) مواد، وثائق و دراسة نماذج سلسلة التراث الثّقافي رقم 4. مركز البحث في الأنتربولوجيا الاجتماعية والثقافية – دفاتر المركز رقم 8 2004.

📖 9-مجلة العربي – العدد 87 -الكويت-1966.

📖 10- مجلة المعرفة – ع 179- تموز- 1978.

الرسائل الجامعية :

📖1- بشير محمد – بحث في أبعاد الثقافة العمالية لدى عمال المؤسسة الوطنية للنسيجية – رسالة لنيل شهادة الماجستير مكتبة معهد الثقافة الشعبية – جامعة تلمسان 1991-1992.

📖2- بلمنصور مليكة – الطب الشعبي النباتي بالغرب الشمالي الجزائري- دراسة ميداني- رسالة دكتوراه- مكتبة الثقافة الشعبية – تلمسان- 2003- 2004.

📖3- بلعبّاس عبد القادر- أغنية الصفّ منطقة صبرة نموذجا جمع و دراسة – مخطوط ماجستير – مكتبة الثّقافة الشّعبية تلمسان 2002 – 2003.

📖4- بن مشرنن نور الدين- عادات الّزواج و الإنجاب في تلمسان روافدها ووظائفها – رسالة ماجستير – معهد الثقافة الشعبية – تلمسان- تلمسان – 1999-2000.

📖5- بن هاشم الطيب- العادات و التقاليد في ولاية تلمسان و علاقتها بالشريعة الإسلامية – رسالة نيل شهادة الماجستير مكتبة الثقافة الشعبية – تلمسان 2001-2002.

📖6- ديدي عمر- العرف كمصدر للقانون و الثّقافة – رسالة لنيل شهادة الماجستير مكتبة الثقافة الشعبية – تلمسان 1994-1995.

📖7- الزّاوي التيجاني- الأغنية الفلكلورية في مسيردة مضامينها و فنياتها – رسالة ماجستير – جامعة وهران معهد اللّغة و الأدب العربي – 87 – 88.

📖8 – صوفي فاطمة الزهراء- اللباس التقليدي للعروس في الجزائر من خلال بعض النّماذج – دراسة و صفية فنية رسالة النيل شهادة الماجستير – مكتبة الثقافة الشعبية – تلمسان -200-2001.

📖9- علام ساجي -نظام تعدد الزوجات بين التشريع و الواقع-دراسة ميدانية-ولاية تلمسان نموذجا-رسالة دكتوراه-قسم الثقافة الشعبية-جامعى تلمسان2005-2006.

📖10- غمشي بن عمر – سيميولوجية اللون في التشكيل الإسلامي- المنمنمات على مقامات الحريري نموذجا- رسالة لنيل شهادة الماجستير – مكتبة الثقافة الشعبية تلمسان 2001-2002.

📖11- ماحي عبد اللطيف ، رمزية العدد في الفكر الشعبي، بين مقدس و الدنيوي، رسالة ماجستير مكتبة الثقافة الشعبية تلمسان 2003- 2004.

📖12- يزلي عمّار – الأهازيج النسويّة – رسالة ماجستير – مكتبة الثّقافة الشعبية تلمسان – 1990.

الرسائل باللغة الأجنبية :

Ouvrages:

1- Bourdieu Pierre – Sociologie de l‹Algérie – que sais –je N°802 –Paris - 1974

.2 - CHAULET (cl) : la terre, les frères et l‹argent – ALGER-OPU-1987.

3- DIB MAHROUF CHAFIKA - collection, AL MOUJTAMMA Fonction de la dot dans la Cité Algérienne : le cas d‹une Ville moyenne – Tlemcen et son HAWZ – ALGER –O.P.U.1984

4- DOZY. R. dictionnaire détaillé de vêtements chez les arabes, Amsterdam, 1849.

5- KOUAOUCI ALI– Familles, femmes et contraception contribution à une étude sociologique de la famille Algérienne – ALGER –CENEAP – PNUAP -1992.

6- MERNISSI FATIMA – sexe idiologie islam – traduit de l‹anglais par DIANE BROWER et ANNE MARIE pollrtin ed.tience-1983.

7- MUCHIELLI ROGER – Psychologie de la vie conjugale 3ème édition – les éditions ESF661980.

Revues:

1- Annuaire de l‹Afrique du nord XVIII- 1979- édition du CNRS- Paris- 1980.

2- catalogue de l‹exposition organisée à l‹occasion de la femme 1992 – édité par le centre de la recherche de documentation et d‹information sur la femme credif.

3-Guide touristique de Tlemcen et sa région Tlemcen ville d‹art et d‹histoire- conçu et réalisé par l‹office du touriste de Tlemcen- 1994.

📖4- INSANIYAT -Revu Algérienne d،anthropologie et de science sociales N°4 janvier – avril، 1998 (vol II ; 1)CLASC.

📖5- Les bijoux – une publication : trois continents – cette édition de poche a été tiré du livre : le grand livre des bijoux d،Ernest A.. et Jeanne Heiniger ; paru au édition EDITA S.A- 1998.

📖6-Revue Africaine- Numéro 51- Année 1907- offices des publications universitaire – Benaknoun- Alger.

📖7-Revue libyca - tome SXXXXXXI–1982- 1983.

📖8-Revue libyca- Algérie-1970.

مواقع الأنترنت :

- htt//Fr/ wiki/ louis monnaie
- htt//Fr/ www. Culture. Cg44.fr
- htt//Fr/ wikipédia. Org/ wiki/ louis monnaie
- www.khayama.com/ houajhenna.htm
- www.mzvnh.com
- www55a.net/ finas/ arabic.

فهرس الموضوعات

مقدمة	05
الفصل الأول: مرحلة الخطوبة	11
المبحث الأول: الخطبة التمهيدية	13
1-الاختيار للزواج	15
*الاختيار الأسري	15
*الاختيار الشخصي	16
2-أنواع الزواج	17
*الزواج الداخلي	18
*الزواج الخارجي	20
المبحث الثاني: قواعد ومقاييس اختيار شريكة الحياة	22
1-الحسب و النّسب	23
2-الخلق والجمال	28
3-المهارة	31
4-صغر السن (الزواج المبكر)	32
5-البكارة	35
المبحث الثالث: الخطبة الرسمية	40
1-المهر	40
2-قراءة الفاتحة	44
3-حفلة الإملاك (الملاك)	45
4-الزيارات التفقدية (التفقيدة)	53

5-عقد القران	55
الفصل الثاني: الزفاف	57
المبحث الأول: يوم الحنة	59
1-الحنة الصغيرة	59
2-الحنة الكبيرة	60
3-طقوس ومراسيم ربط الحنة	61
المبحث الثاني: الزفاف في المدينة	65
1-لباس العروس	65
*أصله	66
*طرزه وزخرفته	67
*وصف لباس العروس التلمسانية	75
*الأجزاء المكملة للقفطان	79
*الحلي و الجواهر	86
*طريقة ارتداء القفطان والمجوهرات الخاصة به	104
2-وصف الاحتفال	109
*زفة العروس التلمسانية	109
*زفة العريس	115
*الدخلة	119
*الوليمة (المأكولات)	121
*الغناء والرقص	122
*مكان إقامة الحفل (الصالة)	125

المبحث الثالث : طقوس الاحتفال بيوم الزفاف في الريف	132
1-طريقة تهييء وتزيين العروس	133
*لباس العروس	133
*الحلي والمجوهرات	135
*تزيين وجه العروس وطريقة مشط شعرها	135
2-وصف الاحتفال	136
*زفة العروس	136
*زفة العريس	137
*الدخلة	138
*الوليمة (المأكولات)	141
*الأغاني والرقص	141
أ-أغنية الصف	142
ب-حفلة التقصرة (القلال)	149
المبحث الرابع : يوم الصباحية (السابع)	151
1-تعريف الصباحية	151
2-رموز الهدية	151
3-وظائف الحزام	153
4-طقوس لبس الحزام وأسباب استعماله في هذا اليوم	154
المبحث الخامس: يوم الحمام	156
1-تعريف يوم الحمام	156
2-الألبسة الخاصة بالحمام	157
3-رموز ودلالات الاستحمام	160

الفصل الثالث : الممارسات الشعبية الخاصة بالزفاف	165
المبحث الأول: الممارسات الشعبية الخاصة بالعروس والعريس	168
1-ظاهرة الحناء	168
2-الربيط	176
3-حرق البخور	188
4-سكب الماء	192
المبحث الثاني: الممارسات الشعبية الخاصة بوصول العروس إلى بيت الزوجية	195
1-الحروز والتمائم	195
2-تغطية العروس يوم الزفاف	199
3-حمل العروس و تخطي العتبة	201
4-استقبال العروس بالسكر و نثر الثمار والمسكرات أثناء وصولها	203
5-دخول العروس بيت الزوجية بالرجل اليمنى	205
6-إعطاء العروس الخميرة في يدها	205
7-تكسير البيضة بين رجلي العروس	207
المبحث الثالث : الممارسات الشعبية الخاصة بوصول العريس	208
1-مسح وجه العريس بالمنديل	208
2-إدخال خيط اللويزة في عنق العريس ثم إخراجه سبع مرات	208
3-مرور العريس تحت رجلي أمه	209
المبحث الرابع: عادات الزفاف بين المحافظة والعصرنة	211
1-تعريف الأسرة وأنواعها ونظامها	212

2-أسباب تخلي الأسرة عنة عاداتها وتقاليدها	219
3-أسباب تمسك الأسرة بعاداتها و تقاليدها	222
خاتمة	227
البيبليوغرافيا	230
فهرس المحتويات	243